

شافل جديد

المكتبة ٧٤

للثقافة الإنسانية والتقدم

عدد

رابع والسبعون

بربان - ١٩٨٦

- المفهوم القانوني لقرار مجلس
- الامن رقم ٢٤٢ وحق تقرير المصير
- التكنولوجيا والحياة الدولية .
- النظرية الماركسية في المعرفة .
- دراسة في المكتبات .
- طه حسين ، بين الاصاله والتحديث
- مقابلة مع عبد الله البندك
- ١٩١٠ - ١٩٧٤ .
- ملاحظات حول تكنولوجيا زيت
- الزيتون .
- العلاقة بين الفكر واللغة العربية .
- التشكيليون يحتفلون بالاول من
- ايار عيد العمال العالمي .
- ١٨٨٦ - ١٩٨٦ .
- في الربيع والخريف - هل كان حنا
- مينه يكتب عن تجربته ؟
- قراءة في كتاب رحلاتي في الخارج
- للدكتورة نوال السعداوى .
- فلسطين في عين تشيلي .

بحزق البيروك رسالة تفضع جوهرا الكنفدرالية

AL-KATEB

For human culture
and progress

Editor -

Asa'd Al-Asa'd

P.O.Box 20489

Jerusalem

Tel: 856931

صاحب الإصدار - المراسل
أبو عبد الله محمد
القدس

الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم

رئيس التحرير

أبو عبد الله محمد

سيد التحرير: محمد شاهين

الإصدارات:

بالدولار أو ما يعادل من سنة واحدة

محليا ٥٠ دولار

بلدان أخرى ٤٠ دولار

المؤشرات

المحلية ٥٠ دولار

بلدان أخرى ١٠٠ دولار

هيئة التحرير

بسام الصهايني تيسير عاروري

جميل السلحوت فضل البورنو

محمد البطراوي محمود الشيخ

المؤردين: يحيى شقير

صفحة محتاج: عبد الرحمن

ترتيب المواد في هذا العدد يخضع لضوابط تقنية

لا نرد المواد لمراجعة أو النشر.

المراسلات:

الكاتب - ص.ب. ٢٠٤٨٩ القدس

تلفون ٨٥٦٩٣١



كلمات:

١٩٨٦ - ١٨٨٦
٨٢ - فلسطين في عين تشيلي
٨٥

- مجزرة اليرموك رسالة تفضح
جوهر الكنفدرالية .

نقد ادبي:

٢

دراسات وأبحاث:

● أسعد الاسعد

- في الربيع والخريف - هل كان
حنا مينة يكتب عن تجربته ؟

٧٥

مع الكتب:

● جميل اللحوت

- قراءة في كتاب رحلاتي في
الخارج للدكتور توفيق السعداوي

١٠١

قصص:

● محمود شقير

- الانتظار

١٠٨

● وليم فوسكر جيان

- بضعة الامتار - تلك

١١٠

شعر:

● مالك صلاحية

- فجر الامال

١١٣

● مارينا لوزينسكايا

- ان يكون الانسان شاعرا ،

١١٤

● مسؤولية كبيرة

● يوسف حامد

- وأقفل الليل ليلس عليه

١١٩

● المدينة في غضب

شعريات:

- قاموس المصطلحات الاشتراكية

١٢١

العلمية

١٢٤

- رسائل وردود

١٢٦

- اصداؤ ثقافية

● سميح البرغوثي

- ملاحظات حول تكنولوجيا زيت

١٣

الزيتون .

بنهام بطرس

٣٣

- التكنولوجيا والحياة الدولية

● محمد المناصرة

- النظرية الماركسية في المعرفة

(الحلقة الاخيرة)

٤٦

● طه عبد الهادي سويلم

٥٨

- دراسة في المكتبات

● نظمي عادي

- طه حسين ، بين الاصاله

والتحديث .

٨٦

لقاء:

● د . موسى البديري

- مقابلة مع عبدالله البندك

٢٣

١٩٧٤ - ١٩١٠

مداخلات:

● شوكت البرغوثي

- المفهوم القانوني لقرار مجلس

٥

الامن رقم ٢٤٢ وحق تقرير المصير

● مرزوق عبد ربه

- العلاقة بين الفكر واللغة العربية

٧٨

● علي الجريري

- التشكيليون يحتفلون بالاول من

ايار عيد العمال العالمي

مجزة اليرموك رسالة تقضح جوهر الكفدرالية



اثارت المجزة النكراء التي ارتكبتها قوى القمع الاردنية في حرم جامعة اليرموك في اريد غضبا واستنكارا شديدين في اوساط الجماهير الفلسطينية الراححة تحت الاحتلال ، ومن المفارقة ان تأتي اخبار هذه المجزة في ذات الوقت الذي كان فيه طلبة جامعة النجاح الوطنية في نابلس يمدون جراحهم النازفة بعد قمع قوات الاحتلال لمظاهرة الاحتجاج التي نظموها في ذكرى الخامس عشر من ايار .

اعادت مجزة جامعة اليرموك البشة الى الازهان التاريخ الحافل بالجرائم والمجازر التي ارتكبتها حكام عمان ضد الشعبين الشقيقين الاردني والفلسطيني . ابتداءً بجر مناصلي عصبة التحرر الوطني مصفيين بالاغلال ، وراء حيل الفرسان سيئي الذكر من سجن نابلس الى سجن عمان عام ١٩٥١ . بسبب معارضتهم لاحاق الضفة الغربية بالعرش الهاشمي ، مروا بالمجازر التي ارتكبتها قوات البادية الهمجية ضد مظاهرات الاحتجاج على مؤامرات توطين اللاجئين وحلف بغداد في اواسط الخمسينات ، ثم الجرائم التي ارتكبتها جلادو النظام ضد الوف المعتقلين السياسيين تحت اشراف الخبير الالماني في السجون والمعتقلات الاردنية بعد الانقلاب الاسود في اوائل عام ١٩٥٧ ، ثم ضحايا مظاهرات السموع عام ١٩٦٦ وقصف المخيمات والاحياء الشعبية في عمان والمدن الاخرى في ايلول عام ١٩٧٠ التي اودت بحياة الوف الابرياء من الاطفال والشيوخ والنساء . ودفن الجرحى وهم احياء بالجرفافات في احراج جرش وعجلون في تموز ١٩٧١ . وقمع طلبة الجامعة الاردنية لانهم رفعوا صوت التضامن مع انتفاضة جماهير المناطق المحتلة في عام ١٩٧٤ ، او لانهم نظموا حملات التبرع بالدم لاختونهم ضحايا الاجتياح الاسرائيلي للجنوب اللبناني عام ١٩٧٨ .

في هذا السياق لا تبدو المجزة الاخيرة في حرم جامعة اليرموك خارجة على المألوف في نهج واساليب حكام عمان وان كانت قد ابرزت مواهب فريدة لاجهزتهم القمعية في القتل والاذلال للطلبة العزل . عجزت عنها اعلى الانظمة الدكتاتورية والعنصرية في جنوب افريقيا وتشيلي وغيرها .

أكدت مجزرة جامعة اليرموك النكراء ، ونحن امام ذكرى حزيران التاسعة عشرة ، ان حكام عمان ما زالوا يتمسكون بالنهج الذي انجب حزيران ، نهج العداء للشعب ، ونهج مضادة ابسط الحقوق السياسية والانسانية للمواطنين . اما الجديد في نهج حكام عمان ، فهو ازدياد همجية اساليبهم وتصاعد بربريتهم .

لقد كشفت مجزرة اليرموك من جديد ، عن زيف البراقع التي اعناد حكام عمان تقديم انفسهم بها ، (كحماة) و(درع) للعالم العربي و(حراس) لاطول خط للمواجهة ولصناع النفط . فقد ابرزوا في جامعة اليرموك معالم خط المواجهة الذي يحرسون وبينوا طبيعة العدو الذي يواجهون - تماما كما فعلوا سابقا في كل مرة وجهوا فيها اسلحتهم .

لقد أكد حكام عمان في جريمتهم النكراء في جامعة اليرموك ما هبة الوظيفة التي يتفانون في ادائها كحارس لحدود اسرائيل ، ومكمل لها في قمع الحركة الوطنية الفلسطينية والاردنية ، ولعل براعتهم في اداء وظيفتهم هذه هي اكثر ما يستهوى حكام اسرائيل ، وهو بالضبط ما يرغبون بمقايضته في عملية السلام المزعومة التي يسعون لتحقيقها مع هذا النظام . ان حكام اسرائيل يحلمون باليوم الذي يوكلون فيه مهمة قمع الجماهير في المناطق المحتلة لقوى القمع الاردنية

لقد قدم حكام عمان بجريمتهم هذه دليلا جديدا لاسيادهم في واشنطن على (حسن سلوك) اجهزتهم ، وبينوا بالوقائع المادية مدى فاعلية هذه الاجهزة لارتكاب ابشع الفظائع في التصدي لاي تحرك شعبي مناوئ للمخططات الامريكية في المنطقة . ولم تكن صدفة ، ان ذلك يأتي في مرحلة تزايد احتياجات النظام الاردني للمزيد من الدعم والمساعدات الامريكية بعد انحسار المساعدات الرجعية العربية . ولم تكن صدفا ان يكون ذلك غشية سفر ملك الاردن الى واشنطن ، كي تكون مهمته اكثر سهولة في تحصيل هذا الدعم . ولربما تكون هذه المجزرة رسالة مفتوحة موجهة للرئيس ريفان كي يعدل عن قراره بخصوص صفقة الاسلحة التي جمدها قبل عدة اشهر . فقد ابرز حكام عمان بوضوح تام الى صدور من ستوجه هذه الاسلحة ، فلماذا يجري تجميدها ؟ .

ومن جانب آخر فقد كانت مجزرة اليرموك رسالة مفتوحة موجهة للقيادة الرسمية لمنظمة التحرير كي تفهم الشروط التي يجب عليها التكيف معها ، ان هي رغبت في الحفاظ على مكائتها في العاصمة الاردنية . ونحن نأمل ان تكون قد استخلصت العبر من هذه الجريمة ، ولعلها تعرفت جيدا على طابع الاجهزة التي ستتوحد معها في ادارة الكونغرفرالية العتيدة التي وقعت صكها في اتفاقية ١١ شباط .

لقد اوضحت جريمة حكام عمان في جامعة اليرموك بمزيد من الوضوح ان لا وجود لارضية مشتركة تجمع شعبنا الفلسطيني وحركته الوطنية المناضلة بحكام عمان . وان الشرط الضروري لوجود هذه الارضية تنشأ فعلا وحقا باسقاط هذا النظام . وباقامة نظام وطني ديمقراطي معاد للامبريالية مرتكر على اوسع تحالف شعبي . باقامة نظام يسخر طاقات الاردن لتلبية طموحات الشعب الاردني في الحرية والاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي .



ان اولى الخطوات على طريق تحقيق هذا الشرط هي اسقاط اتفاق ١١ شباط وتحقيق الوحدة الفلسطينية الكفاحية على اساس الثوابت الفلسطينية التي اقرت في دورة الجزائر السادسة. عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني. والى جانب ذلك ينبغي توجيه كل الجهود لدعم الحركة الوطنية الاردنية وتوثيق التحالف معها .

الكاتب

المفهوم القانوني لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وحقوق تقرير المصير



بقلم : شوكت البرغوثي

مقدمة :

ان ظهور الملكية الخاصة وتطورها وطبيعة الفرز الطبقي في المجتمعات نتيجة لتقسيم العمل وفيما بعد التبلور الطبقي لطبقتين رئيسيتين في كل تشكيلة اجتماعية اقتصادية، ان هذه الظروف ادت وبشكل مباشر الى وجود طبقتين متناقضتين رئيسيتين في المجتمع طبقة المستغلين وطبقة المستغلين . فمن اجل السيطرة المطلقة وحماية مصالح الطبقة المستغلة لجأت قيادتها الى وضع القوانين التي تدافع عنها تتبنى مصالحها، وهنا برزت ظاهرة طبقية القانون - حيث بإمكاننا ان نقسمه الى ثلاثة مفاهيم :-
(١) القانون البرجوازي الذي يدافع بشكل مباشر عن مصالح الطبقة البرجوازية .

(٢) القانون الديمقراطي الذي يدافع عن مصالح الفئات الوسطى في المجتمع ويغلب عليه الطابع الاصلاحى او بمعنى آخر الحل التوفيقى
(٣) القانون البروليتارى (قانون الطبقة العاملة) وهو الذى يدافع عن مصالح وحقوق الطبقة الكادحة كما هو موجود في الدول الاشتراكية .
انطلاقا من التقسيم لمفاهيم القانون المبينة اعلاه انقسم اساتذة وعلماء القانون الى الاتجاهات الثلاثة وذلك حسب مصالحهم . فعندما نلجأ الى استعمال القانون او اللجوء الى سن القوانين فانه يتطلب منا أن نأخذ بعين الاعتبار بأننا يجب ان ندافع عن مصالح الاكثرية في المجتمع القائم او المعنى . فلاجل كل ما ورد اعلاه فانني الجأ الى دراسة مفهوم قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ انطلاقا من مصلحة شعبنا الفلسطيني بمفهوم المعنى ، منوها وموضحا ايجابيات القرار وسلبياته وكيف ينبغي ان يكون

الموقف العام منه. لقد لجأت لهذه الدراسة وذلك لا لتكون ردا على ما ورد في جريدة القدس على صفحتها العاشرة بتاريخ ١٩٨٦/٢/٢ تحت عنوان "أضواء على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢" وهي دراسة مقدمة بقلم :- الدكتور عثمان التكروري والاستاذ عمر ياسين من مركز الدراسات والتوثيق والابحاث - نقابة المحامين (القدس) ، بل لتكون مكملة لتلك الدراسة ، معتبرا ان ما ورد في المقال المبين اعلاه من نواقص سواء عن قصد او غير قصد يجب ان يأخذ المفهوم القانوني الصحيح لجوهر وطبيعة القرار . قبل الخوض في جوهر وماهية القرار ٢٤٢ يجب ولو بشيء قليل معرفة ما هو مجلس الامن؟ وكيف يتخذ بداخله القرار؟ وما هي قانونيته ؟ .

لمساعدة الاعضاء الدائمين لحفظ السلام والامن الدوليين ، حيث يكون انتخابهم لفترة سنتين .

ان مجلس الامن " يجتمع بصورة دائمة للنظر في اى نزاع دولي يعرض السلام العالمي للخطر ، وتتخذ قراراته بأغلبية الاصوات (اى تسعة اصوات - الكاتب) ويتمتع الاعضاء الدائمون في مجلس الامن بحق الفيتو اذ يستطيع كل منهم نقض اى قرار ، وفرض العقوبات الاقتصادية او العسكرية على الدول المخالفة ، وقراراته ملزمة لجميع الدول الاعضاء في هيئة الامم المتحدة " (١) .

كما ورد اعلاه يتضح بأن قرار مجلس الامن يعتبر الزاميا ويجب تنفيذه قانونيا ، شريطة ان يوافق عليه كافة الاعضاء الدائمين ، اى بعدم استعمال حق النقض VETO .

ان لقرار حق النقض الـ VETO أهمية في الصراع الايديولوجي المعاصر فهو يعتبر احد الركائز الاساسية التي يقدر على استعمالها الاتحاد السوفييتي لعدم التدخل في شؤون الدول المستقلة الهادفة للقضاء على حركات التحرر العالمية ، فلقد استخدم الاتحاد السوفييتي حق الفيتو ١١٣ مرة منذ عام ١٩٤٦ حتى عام ١٩٨٣ واستخدم هذا

ان مجلس الامن هو عبارة عن احد الاجهزة الرئيسية في الامم المتحدة اضافة اليه توجد الاجهزة التالية :- الجمعية العامة المجلس الاقتصادي والاجتماعي ، مجلس الوصاية ، محكمة العدل الدولية ، والامانة العامة .

لقد اشار ميثاق الامم المتحدة في مادته الرابعة والعشرين البند الاول والثاني بما يلي " رغبة في ان يكون العمل الذي تقوم به الامم المتحدة سريعا وفعالا يعهد الاعضاء الى مجلس الامن بالتبعات الرئيسية في حفظ السلم والامن الدولي وبوافقون على ان يعمل هذا المجلس نائباً عنهم في قيامه بواجباته التي تفرضها عليه هذه التبعات . وفقا لمقاصد الامم المتحدة ومبادئها " . من هذه المادة نجد ما مدى الاهمية بل والواجبات الملقة على عاتق المجلس والتي عهد بها الاعضاء اليه .

ان مجلس الامن يتكون من ١٥ عضوا حتى ١٩٦٦/١/١ كان المجلس يتشكل من ١١ عضوا منهم خمسة دائمون وهم (الصين ، فرنسا ، الاتحاد السوفييتي ، المملكة المتحدة وايرلندا الشمالية ، والولايات المتحدة الامريكية) . وتقوم الجمعية العامة بانتخاب عشرة اعضاء آخرين غير دائمين وذلك

يتفاوت وقتها في حالات تهديد السلام او الاخلال بالسلام والعدوان وهي :-

(١) الاجراءات المؤقتة :- للحد من تفاقم الموقف قبل اتخاذ القرار بصدده .

(٢) اجراءات لا تتطلب اعمال العنف : ومنها قطع العلاقات الاقتصادية ووقف المواصلات البرية والبحرية والجوية والسلكية واللاسلكية طبقا للحدود التي يقررها المجلس .

(٣) اعمال العنف العسكرية :- اذا رأى المجلس فشل التدابير السابقة فلان يستعين بالقوات التابعة للدول الاعضاء في اتخاذ اجراءات عسكرية منوعة لتنفيذ قراراته " (٥) . انطلاقا من المبادئ والاهداف الأساسية

للامم المتحدة فقد كرس الميثاق " في مادته ٣٢ الحق لاي عضو من المنظمة غير عضو في مجلس الامن ، او لاي دولة ليست عضوا في الامم المتحدة ، اذا كانت جهة الخصام ان تدعى لحضور اعمال جلسة مجلس الامن شريطة ان لا تطلق حق التصويت بالامر المتعلق بالنزاع ، والمجلس يعطيها الحق في المشاركة كما يراه مناسباً وعادلاً " (٦) .

والان لننتقل الى جوهر الموضوع . فما هو قرارا ٢٤٢ ؟ وكيف جاء ؟ وما هو نصه ؟ وكيف ننظر اليه ؟ هذه المجموعة من الاسئلة التي نحاول علاجها فيما يلي :-

في نهاية ايار ١٩٦٧ سافر وزير الخارجية الاسرائيلي ابا ايبان الى واشنطن ، حيث ان الادارة الاسرائيلية في وقتها طالبت ادارة جونسون منحها " حرية الايدي " للهجوم على العرب . حيث انه في واشنطن قد وصلت الادارة الامريكية الى قناعة بأن وضع اسرائيل يسمح لها كسب الحرب مع العرب . ومن اجل ايقاع مصر في حيرة هي في غنى عنها وعدم

الحق ٥١ مرة لدى قبول اعضاء جدد في الامم المتحدة في فترة " الحرب الباردة " . ومن بين ال ٦٢ حالة المتبقية استخدم الاتحاد السوفيتي هذا الحق ٥٠ مرة في الدفاع عن مصالح امن البلدان الاشتراكية ودفاعا عن مصالح بلدان آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية (بما في ذلك في الدفاع عن مصالح البلدان الاشتراكية ١٨ مرة وتأييدا للشعوب العربية ١١ مرة وشعوب آسيا ١٤ مرة وشعوب افريقيا ٦ مرات وامريكا اللاتينية مرة واحد) " (٢) الان سليات اتخاذ القرار يعتبر ايضا الاداة نفسها التي تستعملها الولايات المتحدة لتأزيم حدة الصراع الدولي وعدم اتخاذ القرارات التقدمية لصالح شعوب العالم . لكنه يشترط عند اتخاذ القرارات ان يصوت الى جانب الدول الاعضاء الدائمين اربعة اعضاء من غير الدائمين ليتخذ القرار ، وبهذا فان سبعة من الاعضاء غير الدائمين بشكل غير مباشر يملكون حق VETO في اتخاذ اي قرار .

ان " تشكيل مجلس الامن باعتبار ما له من سلطات في حفظ السلم والامن الدولي يسمح له بالعمل بصفة مستمرة ، وعلى ممثل كل دولة في المجلس ان يحضر جميع الجلسات التي تعقد بمقر الامم المتحدة في نيويورك او في اي مكان آخر يوافق عليه الاعضاء بأغلبية تسعة " (٣) .

كذلك فان ميثاق الامم المتحدة يؤكد بأنه يحتم على الحضور سواء كانوا من الدائمين او غير الدائمين - ان يمتنعوا عن التصويت اذا كانوا طرفا في النزاع " (٤) .

ان ما يهمننا هنا هو ماهي واجبات مجلس الامن اثناء وقوع العدوان ؟ لقد اجاز الميثاق للمجلس الحق في اتخاذ ثلاث خطوات

(١) يؤكد ان تحقيق مبادئ الميثاق يتطلب اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط ويستوجب تطبيق كلا المبدأين التاليين :-

(أ) سحب القوات الاسرائيلية من اراض احتلتها في النزاع الاخير (النص الفرنسي يقول من الاراضي المحتلة) .

(ب) انتهاء جميع ادعاءات او حالات الحرب واحترام واعتراف بسيادة ووحدة كل دولة في المنطقة واستقلالها السياسي وحققها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها وحررة من التهديد او اعمال القوة .

(٢) يؤكد ايضا الحاجة الى :-

(أ) ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية - الدولية في المنطقة .

(ب) تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين .
(ج) ضمان المناعة الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة عن طريق اجراءات بينها اقامة مناطق مجردة من السلاح .
(٣) يطلب الامين العام تعيين ممثل خاص للذهاب الى الشرق الاوسط كي يقيم ويجري اتصالات مع الدول المعنية بغية ايجاد اتفاقية ،ومساعدة الجهود لتحقيق تسوية سلمية ومقبولة وفقا لنصوص ومبادئ هذا القرار .

٤ - يطلب من الامين العام ان يرفع تقريرا الى مجلس الامن حول تقدم جهود الممثل الخاص في اقرب وقت ممكن " (٩) .
الا ان اسرائيل اعتبرت قرار ٢٤٢ لا يمت اليها بصلة واخذت تنطلق من سياسة اللجوء للقوة " محاولة فرض رأيها على العرب في مشكلة "تحديد الحدود" (١٠) .

من خلال دراسة القرار المبين اعلاه فاننا نلاحظ " بعض النصوص التي ادت الى تحاليل وتفسيرات مختلفة ، قامت باستغلالها القيادة

الانتباه الى الخطر الاسرائيلي ، صرحت الادارة الامريكية بانها تريد الوصول لتسوية دبلوماسية للصراع . ولكن في فترة الزيارة السرية لأمريكا من قبل رجل المخابرات الاسرائيلية م . امليث بتاريخ ٢ - ٣ - حزيران ١٩٦٧ حصلت اسرائيل على " الضوء الاخضر للهجوم على مصر والدول العربية الاخرى " التي كان نتيجتها حرب ١٩٦٧ .

لكن وبعد نهاية حرب حزيران ١٩٦٧ ووقف اطلاق النار " بدأت اسرائيل بتنفيذ سياسة "استيعاب" الاراضي المحتلة ، وبناء لمستوطنات الاسرائيلية . وفي تل ابيب اصبحت القيادة الاسرائيلية تنظر الى ان خط وقف اطلاق النار يفترس " الحدود الطبيعية" الاسرائيلية " (٧) .

بعد حرب حزيران وعملية الخوض الطويلة في اللقاءات السياسية على مختلف الاعددة " لجأت امريكا من اجل عدم خسارة مركزها في العالم العربي وبعد محادثات دبلوماسية طويلة الى الموافقة على قرار ٢٤٢ " (٨) الصادر بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ عن مجلس الامن .

وقد جاء في نص القرار ما يلي :-

" ان مجلس الامن اذ يعرب عن قلقه المتواصل بشأن الوضع الخطير في الشرق الاوسط ويؤكد على عدم القبول بالاستيلاء على اراض بواسطة الحرب . والحاجة الى العمل من اجل سلام دائم وعادل تستطيع كل دولة في المنطقة ان تعيش فيه بأمن ، واذ يؤكد ايضا ان جميع الدول الاعضاء بقبولها ميثاق الامم المتحدة قد التزمت بالعمل وفقا للمادة (٢) من الميثاق :

هذا النزاع " (١٢) .

من هنا فأننا نستخلص ما وصلت اليه القيادة الاسرائيلية حول تطبيق وجهة نظرها بهذا الخصوص (اي بخصوص تفسير الانسحاب) فقد " اعلن مناحيم بيغن رئيس الوزارة الاسرائيلية آنذاك ، ان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذي ينص على وجوب الانسحاب الاسرائيلي من اراض محتلة قد جرى تطبيقه بالانسحاب من سيناء ، لان القرار على حد قوله لا يعني الانسحاب من مختلف الجبهات " (١٣) .

لذا فأننا نصل الى نتيجة مفادها بأن عدم التفسير الصحيح للنص القانوني للقرار ادى الى عدم تنفيذ القرار وظهور فراغ في تطبيقه . " واصبح الطريق للحل محاصرا وذلك بسبب سياسة الادارة الامريكية المؤيدة لنهج اسرائيل التعويقي وبقرار من مجلس الامن ، اخذ السكرتير العام صلاحية بحث مثل خاص الى الشرق الاوسط للعمل على حل النزاع ، حيث ان المبعوث كان "يارينغ سفير سويسرا في الاتحاد السوفيتي (١٤) .

يجب التاكيد هنا على ان قرار ٢٤٢ " هو عبارة عن اتفاقية كمبرايسيه (اتفاقية حل وسطي) لتسوية سياسة لمجموعة من القضايا التي تشكل بؤرة الصراع في الشرق الاوسط على اساس قانوني دولي " (١٥) لكن القرار لم يجد الجهاز التنفيذي لتطبيقه ، حيث انه " بعد تناول قرار ٢٤٢ لم يعقد مجلس الامن عمليا ولا جلسة حتى آذار ١٩٦٨ " (١٦) .

غير اننا اذا نظرنا الى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ والتطورات التي تلتها بخصوص قضية الشرق الاوسط ، فأننا نجد بأنه هو القرار الوحيد الذي صدر عن مجلس الامن دون

الاسرائيلية وحمايتها الامريكان للتصدي لهذا الحل ، حيث انها استندت الى نص القرار وامتنعت عن سحب قواتها من جميع الاراضي المحتلة ، وطلبت وضع " حدود آمنة معترف بها " التي حسب فهمهم لم تتطابق مع الحدود ما قبل الحرب " (١١) .

لهذا فأنني اؤكد على صحة ماورد في دراسة الدكتور عثمان التكروري والاستاذ عمر ياسين على ان " ما ادعاه الجانب الاسرائيلي من ان القرار ينص على الانسحاب من بعض الاراضي التي احتلت عام ١٩٦٧ ، فهو ادعاء غير سليم وتفسير غير مقبول لنصوص القرار ، غير ان ما ورد في النص الانجليزي من (سحب) القوات المسلحة الاسرائيلية ، من اراضي احتلتها في النزاع الاخير ، لا يعني الانسحاب من بعض تلك الاراضي بأية حال من الاحوال وذلك لما يلي :-

(١) ان من قواعد التفسير واصوله انسجام تفسير عبارة في النص مع ما ورد في النص كاملا ، وبما يتفق مع روح النص ولا يتناقض معه ، والقول بأن هذه العبارة (اي الانسحاب من اراض ٠٠) ، يعني الانسحاب من بعض الاراضي لا منها جميعا ، يتناقض تناقضا واضحا مع المبادئ التي وردت في القرار من عدم جواز الاستيلاء على اراض بواسطة الحرب ، واحترام واعتراف بسيادة ووحدة اراضي كل دولة في المنطقة واستقلالها السياسي لان ذلك يعني بالاحتفاظ بجزء من الاراضي المستولى عليها بواسطة الحرب ، والانتقاص من سيادة ووحدة اراضي الدول التي تم اجتزاء بعض اراضيها والاحتفاظ بها ٠٠٠ اما التفسير الذي يؤدى الى الانسجام التام بين نصوص القرار فيقضي بالانسحاب من جميع الاراضي التي احتلت في



استعمال قرارا الفيتو VETO من ممثل

الولايات المتحدة ، وهذا يعود الى :-

١) الموقف الامريكي المرحج من قبل مؤيديه واصدقائه في المنطقة العربية ، والتجنب لخوض معارك دبلوماسية معها .

٢) الموقف السوفييتي الحازم - والمؤيد لحقوق الشعب الفلسطيني ، والمرتبة التي يحتلها في مجلس الامن بخصوص حماية الامن والسلم الدوليين وحماية حقوق الشعوب .

٣) التكتيك الامريكي - الاسرائيلي السري المشترك الذي ينطلق من الوقوف ضداى حل سياسي في المنطقة يقوم على اساس الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني .

انطلاقا مما ورد سابقا فان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ والذي غلب عليه الحل الوسطي (الكمبرمايسي) المتحيز لجانب اسرائيل ، وايضا من خلال النصوص غير الواضحة بداخله ، والتي تعتبر القاعدة الاساسية للطعن في مفهومه القانوني بل ايضا والسياسي فاننا نصل الى الاستنتاجات التالية:

١) ان قرار رقم ٢٤٢ لم يطرح الحل الجذري لقضية الشرق الاوسط وخاصة انه صادر عن هيئة يكون قرارها الزاميا انطلاقا من ميثاق هيئة الامم ، حيث انه يتعامل مع القضية بأنها " قضية لاجئين " (١٧) ويتناسى وجود الشعب الفلسطيني معتبرا بأنها مشكلة صراع على مناطق حدود بين اسرائيل والدول العربية متناسي التواجد السكاني الفلسطيني في المناطق المحتلة وخارجها كشعب فلسطيني له الحق في اقامة دولته المستقلة وتقرير مصيره بنفسه . ان هذا الاستنتاج الذي حتى في الوقت الحاضر لم تتوصل اليه بعض الاطراف بل متجاهله التوصل اليه والساعية للتعامل مع

قرار ٢٤٢ محاولة الالتفاف على قضية شعبنا في اقامة دولته الفلسطينية المستقلة . ان التعاطي مع القرار يأتي بشكل مباشر او غير مباشر احيانا ، وهذا ما كرسه اتفاق حسين - عرفات بتاريخ ١١/شباط / ١٩٨٥ ، لذلك نلاحظ ما نكتبه جريدة القدس في عددها رقم ٥٩٠٣ الصادر بتاريخ ١٩٨٦/٢/٣ بعنوان الحقيقة الفلسطينية تحت حديث القدس " اما منظمة التحرير فقد اتاحت كافة الفرص لوضع حجر الاساس لتسوية سلمية عادلة بنوعيتها الاتفاق الاردني - الفلسطيني في ١١ شباط الماضي ، كما انها اقنعت دول العالم باستثناء امريكا واسرائيل بصدق نواياها وتحركاتها نحو احلال سلام عادل (١٨) ؟ (التخطيط والاستفهام والتعجب من الكاتب) اما بصد هذه الاتفاقية فالاستاذ تيسير العاروري يكتب " فاتفاقية عمان المعروفة باتفاقية حسين - عرفات وآلية تنفيذها ، مبادرة الرئيس المصري مبارك ، وان كانت ولا تزال في طور التعديل والتدقيق ، باتجاه مايتلائم والشروط الاسرائيلية والامريكية ، تلغي بشكل سافر كافة الاهداف الاستراتيجية الرئيسية لنضال الشعب الفلسطيني وهي بالتحديد حقها في الاستقلال الوطني وتقرير مصيره بنفسه واقامة دولته الفلسطينية المستقلة وتأمين حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة الى وطنهم وفقا لقرارات هيئة الامم المتحدة وذلك باعتماد الاتفاقية المذكورة لمبدأ مقيضة الارض بالسلام على اساس قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ " (١٩) وكذلك لتوضيح الشكل الجديد لقرار ٢٤٢ من خلال اتفاق حسين - عرفات يكتب الاستاذ بشير البرغوثي " اما القيادة الرسمية لمنظمة التحرير التي وقعت على اتفاق عمان ...



(٤) انه يجب العمل على رفض قرار ٢٤٢ وبشكل قاطع لانه يستثني جانبا حقوق شعبنا الفلسطيني وحقه في إقامة دولته الفلسطينية المستقلة .

(٥) يجب التصدي لكل المحاولات التي تريد تطبيق ٢٤٢ بشكل مباشر وغير مباشر ، والعمل على تعرية مواقف الولايات المتحدة باتخاذها قرار الفيتو عند تناول قضايا محددة ومهمة لحل القضية ، حيث يؤكد على ذلك الكاتب السوفييتي كيسيلوف بأن " مجلس الامن لم يقدر على حل القضية الفلسطينية بشكل عام وذلك من الموقف الامريكي المؤيد لاسرائيل ، وكل مرة يستعمل حق الفيتو على كل قضية ملحة ومهمة تقدمها الدول الاشتراكية ، والعربية وبعض الدول الاخرى " (٢١) .

انطلاقا مما تقدم فاننا نلاحظ بأن نهج الاعتماد على الشاربع الامريكية - العربية ، والزيارات والمحادثات المتتالية والهدف وراء الحلول الاستسلامية لم يخدم قضية شعبنا الفلسطيني ، ولم تات بأى ثمار ناجحة ، استنادا الى المواقف الطبقية واللاوطنية والوقوف بحزم ضد حقوق شعبنا الفلسطيني منذ سنوات عديدة لم يجهلها احد بل يتجاهلها اصحاب المصالح الضيقة ويتراكون خلفها .

فباختيارها طريق التحالف مع النظامين الاردني ، والمصري ، فقد قدم تنازلات هامة في مقدمتها هدف الدولة الفلسطينية المستقلة ، والاستعداد للموافقة ، والموافقة على الاصح ، على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وحتى التمثيل المستقل " (٢٠)

(٢) الاستنتاج الثاني هو خطأ التفسير الاسرائيلي لنص القرار حول الانسحاب من اراضي محتلة في الصراع الاخير وذلك كما بيناه سابقا .

(٣) ان عطية النص الانجليزي والفرنسي حول قضية الانسحاب من خلالها نستنتج بأنه يوجد اراضي محتلة ايضا في نزاع آخر وذلك استنادا الى البند (١) من النقطة الاولى للقرار ، وهذا ما لم يرد ذكره في نص القرار ، حيث ان القانون الدولي الحديث يعترف فقط بحدود

اسرائيل ضمن قرارات الامم المتحدة التي نص عليها قرار التقسيم بتاريخ ٢٩/١١/١٩٤٧ ، وهنا اتفق مع الاستاذ عثمان التكروري والاستاذ عمر ياسين حول ان اسرائيل قد احتلت عام ١٩٤٨ ، ٢٣ / تقريبا زيادة على ما خصص للدولة اليهودية التي تعتبر قانونيا اراضي محتلة . . ولم تفقد هذه الصفة نتيجة مرور الزمن لعدم انتهاء الصراع بين الطرفين حتى الان .

المصادر :

- (١) تاريخ أوروبا في العصور - الوسطى والحديثة . وزارة التربية والتعليم . عمان ١٩٦٦ ص ٢٣٦ .
- (٢) بتروفسكي فلاديمير . اداة السلام الفعالة . موسكو ١٩٨٥ ، ص ٢٦ .
- (٣) حسن آغا . الامم المتحدة . حقائق واسرار . دار المعارف بمصر ١٩٦٥ ، ص ٤٢ .
- (٤) حسن آغا . نفس المصدر . ص ٤٤ .

- (٥) انظر مواد ٣٦-٤٢ من ميثاق الامم المتحدة .
- (٦) راجع مادة ٣٢ من ميثاق الامم المتحدة .
- (٧) انظر ركنوفس.م الصهيونية - الاداة العدوانية للنهج الامبريالي موسكو ١٩٨٣ ص ٥٨ بالروسية
- (٨) انظر اسيايف أ.ي. الولايات المتحدة الامريكية والعالم العربي في البعثات وبداية الثمانينات . موسكو ١٩٨٣ ص ١٩ ، بالروسية .
- (٩) جريدة القدس عدد ٥٩٠٢ - ١٩٨٦/٢/٢ ص = راجع نص القرار ايضا .
- (١٠) انظر : الصهيونية الدولة - النظرية والتطبيق . كيف ١٩٨١ ص ١١٤ بالروسية .
- (١١) اسيايف أ.ي نفس المصدر ص ١٩ ، بالروسية .
- (١٢) جريدة القدس . نفس المصدر .
- (١٣) بشير البرغوثي . الكاتب عدد ٥٥ ، ص ٢٥ .
- (١٤) اسيايف أ.ي نفس المصدر ص ٢٠ بالروسية .
- (١٥) خزانوف م.أ. منظمة الامم المتحدة وازمة الشرق الاوسط موسكو ١٩٨٣ ص ٩٤ بالروسية .
- (١٦) نفس المصدر ص ١٧ بالروسية .
- (١٧) انظر كيسيلوف ف.ي. القضية الفلسطينية وازمة الشرق الاوسط كيف ص ٧ - ٨ بالروسية .
- (١٨) جريدة القدس : عدد ٥٩٠٣ ١٩٨٦/٢/٣ .
- (١٩) تيسير العاروري . في الجذور التاريخية والطبقية لنهج الانحراف اليميني الفلسطيني الكاتب عدد ٦٠ ، ص ١٥ .
- (٢٠) بشير البرغوثي . مصالح طبقية ضيقة وليس وطنية وراء الاعتماد على امريكا . الكاتب عدد ٦٧ ، ص ١٥ .
- (٢١) كيسيلوف ف.ي. نفس المصدر ص ٨ بالروسية .

ملاحظات حول تكنولوجيا زيت الزيتون



بقلم : سميح البرغوثي

مقدمة :

زيت الزيتون ، هو ذلك العصير الذي يجري استخلاصه من ثمرة الزيتون بعد فصله عن محتويات الثمرة الاخرى . وانه اذا ما تم استخلاص هذا الزيت بطريقة صحيحة من ثمار الزيتون البكر التي تم نضجها ولم تتعرض اثناء قطفها ، ونقلها ، وتعبئتها ، للمؤثرات التي تسيء الى نوعية الثمرة قبل عصرها ، لحصلنا على زيت متميز بشذاه العطر وبنكهته الرائعة الفريدة .

ان زيت الزيتون ، يكاد يكون الزيت النباتي الوحيد من بين الزيوت النباتية الاخرى الذي يتاوه الانسان كمادة خامة ، دون تصنيع او تكرير ، او اجراء اى نوع من العمليات عليه ، وهو بهذه الحال يبقى محتفظا بعناصره من الاحماض الدهنية الاساسية ، والفيتامينات وغيرها من العناصر الطبيعية ذات الاهمية الغذائية .

واقع الحال :

غير ان ما يؤسف له حقا ، هو ان غالبية الزيت المنتج في بلادنا ، وفي العالم اجمع ، لا تتفق مواصفاته مع ما ذكر اعلاه . ان معظم ما ينتج منه يتحلى بكموضة عالية اكتسبها من الطرق المفلوطة في قطفه ونقله وتخزينه ومن المواد الصلبة المرافقة له مما يجعله غير صالح للاستهلاك البشري ويجعل من امر تكريره امرا حتميا . وتكرير زيت الزيتون ، يفقده خصائصه التي يتميز بها عن غيره من الزيوت النباتية الاخرى ويحرمه من قيمته الغذائية المثلث . ولكن ما هي الاسباب التي تؤدى الى اصابة الزيت بهذه الرداءة ؟ وهل من الممكن تجنبها ؟

تعلمنا التجربة ان الرداءة التي تحيق بزيت الزيتون انما يكون سببها في الغالب دائما ، هو

الطرق البدائية المتبعة في معالجة ثمرة الزيتون بدءاً من قطفها الى ان يتم استخلاص الزيت منها وهذه الرداءة لا يقتصر ضررها على انتزاع خصائص الزيت الغذائية وذات القيمة العالية وانما يتعداه الى خسف اسعاره، مما يؤدى الى شعور المزارع بالاحباط وبعدم جدوى الجهود التي يبذلها في هذا الميدان .

تلجأ البلدان المتقدمة المنتجة لزيت الزيتون الى تكريره، مثل اسبانيا واطاليا واليونان وربما تونس ايضا . وهي بتكريره تستخلص العناصر الثمينة منه لتستفيد منها صناعات في شتى المجالات، وتصدروا تبقى منه الى الاسواق الخارجية بعد ان تعيد اليه بعض لونه ونكهته بمزجه نسبة لا تزيد عن ٢٥٪ من الزيت غير المكرر . ومن هذه الاسواق ، السوق الاردني مع الاسف الشديد حيث يباع الزيت باسعار متدنية لا مجال للمقارنة بينها وبين اسعار الزيت غير المكرر، غير ان المستهلك يقبل على شرائها دون ان يعلم سر هذا الرخص الذى مهما تدنى يبقى المستفيد الوحيد منه البلد المصدر وحسب .

ان الجودة ، هي سلاح زيت الزيتون الرئيسي الذى يستطيع به ، ان يدخل في مباراة ناجحة مع الزيوت النباتية الاخرى ومع زيت الزيتون المستورد ايضا . ولم يكن زيت الزيتون في الايام السوالف يواجه منافسة في اسواق البلاد النامية المحلية، غير ان اختلاف الظروف فرض الان على هذا الزيت ان يصمد في وجه منافسة ليس لها من وازع الا الحصول على الريح الجليل . والسؤال الذى يطرح نفسه هنا هو : هل توافق هذا التطور في احوال السوق مع تطور اخر مناسب له في عقلية منتجي الزيت في بلادنا ؟ الاجابة على هذا السؤال واضحة تماما وهي النفي بكل تأكيد . واذا كان هنالك من تطور فهو تطور افقي ، اذ ان اهتمام المنتجين منصب في المقام الاول على الكم مع اهمال شديد للكيف ، وهذا ما نلمسه من الاقبال على شراء الاسمدة وزراعة اشغال الزيتون وغيرها من الظواهر التي تشير الى الاهتمام بالكم واهمال الكيف الى مدى كبير .

هل يحمل المزارع عندنا مسؤولية كل هذا ؟ الاجابة على هذا السؤال تسوقنا الى موضوع آخر ليس هنا مجال له ، وانما يقتصر الامر على القول ان الموضوع له بعد اجتماعي وحضاري وهو امر نسهم بعض الشيء في التأثير فيه بمجرد ذكره . غير ان شدة اهتمام المزارعين بالكم تصادف في نهاية المطاف الاحباط الشديد ايضا، ذلك ان الزيت المنتج هو بالجزم من النوع الرديء ، وبالتالي فقد المبرر الوحيد لارتفاع سعره ، واذا ما فقد الزيت جودته ارتد ذلك بالخيبة على المنتجين حينما يكتشفون ان كافة جهودهم التي بذلوها لم تتحقق لهم ما كانوا يمشون من ورائها من مردود مادي ١ .

تقول نشرة اصدرتها منظمة الاغذية والزراعة الدولية التابعة للامم المتحدة " FAO " عام ١٩٥٦ ، تقول : فيما يتعلق بجودة الزيت ، فان اي مزارع وفي اي بلد ، يستطيع ان يحصل على زيت زيتون ممتاز اذا ما منح زيتونه العناية والمعالجة الصحيحتين ابان المدة التي يمكث فيها منذ قطفه الى ان يصل الى مرحلة العصر . انه اذا ما اوصل زيتونه الى المعصرة وهو محتفظ بخواصه التي كان عليها حين قطفه فانه سيحصل حتما على زيت جيد النوعية حقا . فاذا ما عصر زيتونه في معصرة حديثة لا تستعمل القفاف ، وتمنح زيتونه العناية الضرورية ، فانه سيحصل على اكبر كمية من الزيت الممتاز بأقل التكاليف .



يمثل زيت الزيتون ، كما تشير احصائيات الامم المتحدة - "FAO" - (١) ٣٪ من مجمل الانتاج العالمي من الزيوت النباتية ، وهو اعجز من ان يصمد امامها من حيث السعر ، غير انه يستطيع ان ييزها جميعا اذا ما تحلى بجودة النوعية . وانه اذا ما اريد لهذا الزيت ان يثبت وجوده اقتصاديا في الاسواق العالمية فلا مناص من زيادة انتاج الجيد منه بالنسبة لمجمل انتاجه .

كيف يمكن الحصول على زيت ممتاز :

ان عملية الحصول على زيت زيتون ممتاز ، تبدأ بادیء ذي بدء بشجرة الزيتون نفسها وتنتهي فور تعليبه للاستهلاك . وتعتمد هذه العملية على العوامل التالية :

(١) انواع الزيتون المختلفة ، والجدير بالذكر انه حتى النوع الواحد منها يمكن ان ينتج عنه زيوتا مختلفة على ضوء المناخ الذي يتعرض له .

(٢) نوعية التربة .

(٣) النهج المتبع في الحراثة .

وفق هذه العوامل الثلاثة يصل البنا الزيت مخزونا في ثمرة الزيتون ، وليس في الوسخ طبا التأثير على نوعيته وتحسينها وهو لم يزل بعد مختزنا في الثمرة ، غير انه من المؤكد جدا اننا نملك القدرة على الحفاظ على هذه النوعية كما وصلتنا في الثمرة اذا ما روعيت العوامل الاخرى التي تؤثر على الزيت عبر عملية انتاجه اى منذ قطفه الى استخلاص الزيت منه وتعبئته . وهذه العوامل هي :

(١) نضج الثمرة قبل قطفها .

(٢) طريقة القطف .

(٣) اسلوب النقل .

بالنسبة للعامل الاول ، فان هنالك نقطتين هامتين على المزارع ان يولييهما اهتمامه الشديد وهما : ان لا يبدأ قطف زيتونه قبل نضجه ، ذلك ان نضج الثمرة يؤمن للمزارع اكبر الادار ، اى اكبر كمية من الزيت من الثمرة بالاضافة الى افضل المواصفات للزيت المستخلص منها . انه من الصعب تحديد موعد معين للنضج بشكل مسبق ، غير ان ذلك ممكن تحديده بالملاحظة ، وذلك حينما تبدأ الثمرة بالاسوداد . وكلما قرب النضج يزداد وزن الثمرة الى ان يصل الى غايته . ويمكن ان تبقى الثمرة على هذه الحال دون ان يعتريها أى تغيير لمدة معينة ، تبدأ الثمرة بعدها في فقدان وزنها وحجمها ، الامر الذى سيكون له مردود سيء على كمية الزيت وعلى حموضته . والمعروف اننا نحصل على انواع مختلفة من الزيت من نفس الزيتون وفق الزمن ، الذى يتم فيه القطف عبر مراحل النضج المختلفة . ان زمن النضج ليس ثابتا ، بل يختلف بين شجرة واخرى ، حتى لو صادفت هذه الاشجار نفس الظروف ضمن البستان الواحد ويمكن ان يتم النضج بشكل



مبكر او ياتي متأخرا وفق العوامل المناخية وجودة الموسم . ذلك ان النضج يأتي مبكرا في الموسم السيء (الشلتونة) ويأتي متأخرا في الموسم الجيد (الماسية) . وعلى هذا فليس في المستطاع تحديد موعد معين لقطع الزيتون .

تعلمنا التجربة ان قطع الزيتون بصورة مبكرة يؤدي الى انقاص كمية الزيت في الثمر ذلك الزيت الذي يتسم بحموضة اقل وبلون يميل الى الخضرة وبمذاق زيتوني حاد ، بينما اذا تأخر قطع الزيتون بعد نضجه فانه سيدر كمية من الزيت اعظم مع زيادة طبقة في الحموضة وسيكون لونه اصفر وعطره اخف . واذا تأخر موسم القطف فان هنالك خطورة في ان يفقد المزارع كمية من زيتة بسبب الاحوال الجوية (كالامطار والرياح) وكذلك يمكن ان يؤدي ذلك الى التأثير على الموسم التالي ، حيث ان تأخير الثمار على الشجرة من شأنه ان ينهكها مما يؤدي الى اصابتها ببعض العجز في التهيؤ للازهار والثمار للموسم التالي .

ان ما يجب ان لا يغيب عن ذهن المزارع حين البدء في قطع زيتونه ، ان الزيت ليس الا عصير فواكه ، وان عليه ان يتجنب خلال موسم القطف كل ما يمكن ان يؤدي الى جدد الثمار ، او اصابتها بالخدش والكدمات او تخريب البراعم ، او تكسير الاغصان مما يلحق الاذى بالمنتج . ومن هنا فان استعمال العصي في قطع الزيتون ، ومعاملة الشجرة والاغصان بالعنف هو امر ابعد ما يكون عن خدمة المزارع لا في الحصول على زيت جيد النوعية في موسمه الحالي ولا في الحصول على اثمار جيد في الموسم الذي يليه .

ومن الامور الاساسية التي يجب على المزارع ان يراعيها اثناء قطع وجمع محصوله من الزيتون هو ان يفصل الثمار المقطوفة عن الشجرة عن تلك التي تكون قد سقطت على الارض وجرى جمعها ، وهي الثمار المعروفة (بالجل) ، والتي تدر زيتا اكثر وذلك بسبب ذوبولها وتبخير الماء منها . غير ان هذا الزيت هو زيت عالي الحموضة وخصائصه تختلف تماما عن خصائص الزيت البكر وهو غير صالح لذلك للاستهلاك البشري المباشر . ولا بد هنا من ابراز ملاحظة جديرة جدا باهتمام اولئك المهووسين بالزيت الاسباني واليوناني والايطالي لالشيء الا لرخص اسعارها . ولو عرف المقلون على استيراد هذا الزيت وطرحه في السوق سر هذا الرخص لامتنعوا فوراً عن استيراده .

اسلوب النقل واثره على المنتج من زيت الزيتون :

يقول الاخصائي الاسباني جوزيه مانويل مارتينيز سواريز ، المحاضر في معهد دي لاجراسا باشبيليا في اسبانيا ، في بحث نشرته له منظمة الاغذية والزراعة الدولية "FAO" يقول انه يجب نقل الزيتون الى مكان العصر بعد تنظيفه من العوالق بطريقة تضمن له فرصة الوصول الى المعصرة دون ان يلحق به اى اذى ، وذلك بسبب حشوه في اكياس تزيد من فرصة احتكاك الثمر ببعضه البعض مما يؤدي الى ارتفاع حرارته الذي سيلحق الاذى الكبير به والى خسارة يتجشمها المزارع في كمية الزيت المستخلص وفي نوعيته . ان نقل الزيتون يجب ان يتم بتعبئته في سلال او عبوات جيدة التهوية وهي سلال تحفظ للزيتون نوعيته وتحول دون الحاق اى ضرر به ، حتى لو تراكمت بعضها



فوق البعض، بل انه من المستحسن ايضا تخزين الزيتون بعد قطفه في هذه السلال ريثما يجرى نقله لاستخلاص الزيت منه في المعصرة. ويقول سواريز، ان اداة النقل المستعملة في العادة هي سيارة الشحن او التريلا.

يضع سواريز في اعتباره هنا الظروف السائدة في بلاده. اما في بلادنا فان كافة وسائل النقل، يجرى استخدامها، بدءاً من الدواب وعربة الكارو الى التراكاتور الذي يحول الى سيارة شاحنة في الموسم الى اللوريات على اختلاف احجامها واصنافها. وفي العادة يتم نقل زيتون اكثر من منتج واحد في وسيلة نقل واحدة حيث تتراكم اكياس الزيتون فوق بعضها البعض الوضع الذي سيؤدى الى تعميم العطب على كافة الزيتون المنقول، خصوصا وان اكياس الزيتون قد سبق لها وان استعملت من قبل منتجين آخرين، والنتائج معروفة!

اننا باستعمال عبوات جيدة التهوية نضرب عصفوريين بحجر واحد كما يقول المثل العربي المعروف. فهي من جهة تحل مشكلة تخزين الزيتون لدى المنتجين عصره ومن جهة اخرى تسهل نقله، ومن جهة ثالثة تتيح لنا فرصة نقل زيتون اكثر من منتج واحد في نفس الوقت وفي نفس سيارة الشحن وذلك لا يتطلب اكثر من ان تكون هذه العبوات ملونة بحيث يجرى تخصيص عبوات من لون واحد لكل منتج فالعبوات الحمراء للمنتج "س" بينما العبوات السوداء للمنتج "ص" وهكذا وما على المنتج هنا الا ان يتذكر لون عبواته. وكون هذه العبوات مثقوبة من جميع الجهات ولا تزيد سعتها عن عشرين كيلو غراما من الزيتون فاننا بها نضمن الحفاظ على نوعية الزيت حتى لو تأخر عصر الزيتون لايام عدة.

تصنيف زيت الزيتون :

لا داعي هنا للتأكيد على الضرورة الحيوية جدا للمعصرة الحديثة، وهو موضوع سبق وطرقناه في مناسبة اخرى، وما يعنيننا هنا انه وقد تيسر لنا ولو نظريا توفير الحد الأدنى من الشروط المطلوبة لتأمين قطف ونقل وايصال الزيتون الى المعصرة دون ان يفقد شيئا ملموسا من مواصفاته، فان الحاجة تصبح ماسة لتصنيفه وفق نسبة حموضته. ذلك انه مهما افترضنا من التزام تام من قبل المنتجين بالشروط المطلوبة للحفاظ على نوعية الثمر وبالتالي نوعية الزيت، فلا بد ان يكون هنالك تفاوت بين منتج وآخر، وهذا امر لا يمكن تفاديه، بل من المستحيل تفاديه. ومن هنا فان جهازاً إلكترونيا لقياس حموضة الزيت بعد عصره ليطمئن تصنيفه على ضوء ذلك بات امرا ملحا، والا كيف يمكن التفريق بين زيت وآخر؟ ولا يقتصر الامر على التفاوت في العناية بالثمر بين منتج وآخر، وانما يتعداه كما قلنا سابقا، الى ان هنالك فرقا - في النوعية بين زيت وآخر، تعود اسبابه الى الشجرة نفسها، وفي اية تربة نبتت وفي ظل اى مناخ نشأت، وما مقدار ما تحظى به من عناية في الحرث والتقليم وما الى ذلك من عوامل تترجم كلها في الزيت المنتج، وفي نوعيته كذلك، كذلك فانه اذا ما جرى ربط نوعية الزيت بالوقت الذى جرى فيه قطفه وبالاسلوب الذى اتبع في هذا القطف وفي معالجته بعد ذلك فان ذلك سيشكل مرشدا ودليلا لا غنى عنه للمزارعين يسترشدون به في

اختيار انسب موعد للقطف وافضل الطرق لتخزينه ونقله ومعالجته . واخيرا فان نوعية الزيت هي التي تقرر سعره . وهو المردود الذي يسعى المزارع الى الحصول عليه في نهاية النهايات . هنالك بالطبع وسائل اخرى لقياس نسبة الاحماض الدهنية في الزيت وكذلك مكوناته الاخرى ، غير ان الامر هنا يسوقنا الى المختبر وانشاء مختبر يخرج عن كونه مشروع خاص وانما امره مرهون بوضع تأمل ان يسود حيث يمكن عندها تذليل كافة الصعاب مهما عظمت من اجل المصلحة القومية . ان تحديد كميات الاحماض الدهنية الاساسية في زيت الزيتون هو امر على غاية من الاهمية . وتلجأ البلاد المتقدمة كاسبانيا وايطاليا واليونان وغيرها الى الاستفادة منه فائدة كبرى . واستخلاص الاحماض الدهنية الاساسية من الزيت يتطلب تكريره صناعيا . ومتى تم ذلك فان الزيت يفقد من جراء هذا التكرير عناصره الغذائية ومعظم فيتاميناته كما يفقد رائحته العطرية ونكهته الفريدة ، ولا يعود بعدها صالحا للاكل . فماذا يصنع به الاوروبيون بعد ذلك ؟ يمزجون الزيت المكرر وقد اصبح خالي الوفاة من العناصر الغذائية الاساسية ، يمزجونه بنسبة ضئيلة من الزيت غير المكرر لاعادة بعض اللون والرائحة اليه ثم يجرى تصديره بعد ذلك الى المغفلين من عباد الله الصالحين حيث يبهتهم بتدني اسعاره ، فيقبلون على شرائه وقد غاب عن ذكائهم المتقد انهم يأخذون مقابل السعر العالي الذي يدفعونه في زيت بلدهم البكر اضعافا يأخذونه من هذا الزيت المستورد الفاقد لمكوناته الغذائية والملاحة هنا لا تقع على عاتق المشتري ، بل ان هؤلاء يجهلون تماما ما هم مقبلون عليه ، وانما الملاحة تقع على عاتق اولئك الذين يسمحون باستيراد هذا الزيت ، وبأولئك الذين يستوردونه .

تنظيم عملية استخلاص الزيت :

- ان تنظيم عملية استخراج الزيت من ثمار الزيتون ، بدءا من قطفها الى استخراج الزيت منها ، يعتبر امرا فائق الاهمية . ذلك انه يمكن اذا ما جرى تنظيم هذه العملية ، ولو بقدر ما من الدقة ، الحصول على النتائج المرجوة من الزيت . وعملية التنظيم هذه تتطلب ما يلي :
- (١) توفير المعصرة الحديثة ذات الطاقة الانتاجية العالية .
- (٢) ان تتوفر لهذه المعصرة الشروط الضرورية التي تؤهلها القيام بدورها على اكمل وجه ومن ذلك
- (١) ان تتوفر في هذه المعصرة الادوات والمعدات والاجهزة وكذلك وسيلة النقل المناسبة والعنوا المناسبة الضرورية لنقل ثمار الزيتون وحفظها في المعصرة ريثما يجرى عصرها .
- (ب) اعطاء الدور في عصر الزيتون للبلد او القرية بدلا من اعطائه للفرد ، اذ يجرى تخصيص يوم واحد في الاسبوع لعصر زيتون القرية (س) مثلا . اى انه يجرى تكريس المعصرة وكامل معداتها لنقل زيتون هذه القرية وعصره واعادته مع مخلفات الزيتون الاخرى طوال الاربعة والعشرين ساعة من اليوم المخصص لهذه القرية . فاذا ما كانت طاقة المعصرة تكفي لعصر ما تنتجه القرية المذكورة طوال الستة ايام الاولى من الاسبوع ، لاصبح من الممكن حصول مزارعي هذه القرية على زيت ممتاز النوعية . واليكم الدليل :

لو فرضنا ان المزارع "أ" يستطيع ان يقطف من ١٠٠ - ١٥٠ كغم من الزيتون يوميا، فإن مجموع ما يقطفه في ستة ايام هو $6 \times 150 = 900$ كيلو غراما من ثمار الزيتون. تمكث الكمية الاولى منها وهي التي قطفها في اليوم الاول مدة خمسة ايام مخزونة عنده، اما الكمية الثانية فتتمكث اربعة ايام والثالثة تمكث ثلاثة ايام والرابعة تمكث يومين والخامسة يوم واحد والسادسة تنقل في نفس اليوم، وبهذا يكون معدل مكوث زيتونه مخزونا عنده هو :

$$0 + 1 + 2 + 3 + 4 + 5 = 15 = 25 \text{ يومان}$$

٦

ونصف اليوم . وهي مدة لا يلحق ثمار الزيتون عبرها أي اذى مهما كان الشكل الذي يجري تخزينه به لدى المنتج .

اذا ما جرى تطبيق هذا الترتيب . فان مشاكل التخزين والنقل والعصر تكون قد حلت ، حيث ينصرف المزارع وهو خالي البال لاتقان عملية قطف ثماره .

لا تعصر المعصرة خلال اليوم المكثس للقرية "س" اي زيتون آخر لاي مزارع آخر . وهو امر اساسي بالنسبة لعملية التنظيم المقترحة . وقد تمنح قرية من القرى بومان في الاسبوع سبب كافة انتاجها ، وكذلك قد تشترك قريتان او اكثر في يوم واحد ، وكل ذلك رهن بحجم الانتاج لدى كل قرية ورهن بطاقة المعصرة . فاذا ما تيسرت معصرة ذات طاقة لا تقل عن خمسين طنا في اليوم الواحد ، فانها كفيفة بتلبية ما ينطوى عليه هذا الترتيب المقترح من حلوله ما اشد حاجة المزارع في بلادنا اليها .

لماذا يجري غسل الزيتون قبل عصره :

يصل الزيتون الى مكان العصر في العادة وهو يحمل معه في ثناياه اجساما غريبة متعددة الانواع والاشكال ، كالتراب ، والاحجار الصغيرة والاوراق واجزاء الاعغان المتكسرة والحشب والاعشاب وحتى قطع الحديد ، وانه من اجل الحصول على زيت جيد النوعية فانه من الضروري تماما تحريث الثمار من هذه الشوائب بقدر ما نستطيع ، وبغض النظر عن الاسلوب الذي يتبع في قطف الزيتون فانه يترافق مع الثمار دائما نسبة لا بأس بها من هذه الاجسام الغريبة . وحتى لو تمت غرلة الثمار لتنظيفها من هذه الشوائب فان نسبة منها تصل مع الثمار الى المعصرة وهذه الاجسام الغريبة ، وعلى الاخص التراب والحجارة الصغيرة تلحق بالادوي بمعدات المعصرة وخصوصا الجاروشة ففلا عن انها تسيء لطعم ولون الزيت المستخلص .

من ناحية اخرى فانه خلال عملية القطف تصاب كمية من الثمار بالخدوش الامر الذي ينتج عنه انها تفقد بعضا بسيطا من زيتها خلال غسلها ، ومع ذلك فانه اذا كان المراد هو الحصول على زيت جيد النوعية فان عملية الغسل تعتبر امرا لا مناص منه ، بل هي ضرورية تماما . واذا كان هنالك من عبرة يجب استخلاصها من كل ذلك فهي ضرورة الاهتمام الشديد بعدم اصابة الثمار بالكدمات والخدوش وما الى ذلك من الاصابات التي تعرض لمحتوياتها .

اختيار انسب موعد للقطف وفضل الطرق لتخزينه ونقله ومعالجته . واخيرا فان نوعية الزيت هي التي تقرر سعره . وهو المردود الذي يسعى المزارع الى الحصول عليه في نهاية النهايات . هنالك بالطبع وسائل اخرى لقياس نسبة الاحماض الدهنية في الزيت وكذلك مكوناته الاخرى ، غير ان الامر هنا يسوقنا الى المختبر وانشاء مختبر يخرج عن كونه مشروع خاص وانما امره مرهون بوضع نامل ان يسود حيث يمكن عندها تذليل كافة الصعاب مهما عظمت من اجل المصلحة القومية . ان تحديد كميات الاحماض الدهنية الاساسية في زيت الزيتون هو امر على غاية من الاهمية . وتلجأ البلاد المتقدمة كاسبانيا واطاليا واليونان وغيرها الى الاستفادة منه فائدة كبرى . واستخلاص الاحماض الدهنية الاساسية من الزيت يتطلب تكريره صناعيا . ومتى تم ذلك فان الزيت يفقد من جراء هذا التكرير عناصره الغذائية ومعظم فيتاميناته كما يفقد رائحته العطرة ونكهته الفريدة ، ولا يعود بعدها صالحا للاكل . فماذا يصنع به الاوروبيون بعد ذلك ؟ يمزجون الزيت المكرر وقد اصبح خالي الوفاة من العناصر الغذائية الاساسية ، يمزجونه بنسبة ضئيلة من الزيت غير المكرر لاعادة بعض اللون والرائحة اليه ثم يجرى تصديره بعد ذلك الى المغفلين من عباد الله الصالحين حيث يبهتهم بتدني اسعاره ، فيقبلون على شرائه وقد غاب عن ذكائهم المتقد انهم يأخذون مقابل السعر العالي الذي يدفعونه في زيت بلدهم البكر اضعافا يأخذونه من هذا الزيت المستورد الفاقد لمكوناته الغذائية والملامة هنا لا تقع على عاتق المشتريين ، بل ان هؤلاء يجهلون تماما ما هم مقبلون عليه ، وانما الملامة تقع على عاتق اولئك الذين يسمحون باستيراد هذا الزيت ، وبأولئك الذين يستوردونه .

تنظيم عملية استخلاص الزيت :

- ان تنظيم عملية استخراج الزيت من ثمار الزيتون ، بدءا من قطفها الى استخراج الزيت منها ، يعتبر امرا فائق الاهمية . ذلك انه يمكن اذا ما جرى تنظيم هذه العملية ، ولو بقدر ما من الدقة ، الحصول على النتائج المرجوة من الزيت . وعملية التنظيم هذه تتطلب ما يلي :
- (١) توفير المعصرة الحديثة ذات الطاقة الانتاجية العالية .
- (٢) ان تتوفر لهذه المعصرة الشروط الضرورية التي تؤهلها القيام بدورها على اكمل وجه ومن ذلك
- (أ) ان تتوفر في هذه المعصرة الادوات والمعدات والاجهزة وكذلك وسيلة النقل المناسبة والعربات المناسبة الضرورية لنقل ثمار الزيتون وحفظها في المعصرة ريثما يجرى عصرها .
- (ب) اعطاء الدور في عصر الزيتون للبلد او القرية بدلا من اعطائه للفرد ، اذ يجرى تخصيص يوم واحد في الاسبوع لعصر زيتون القرية (س) مثلا . اى انه يجرى تركيز المعصرة وكامل معداتها لنقل زيتون هذه القرية وعصره واعادته مع مخلفات الزيتون الاخرى طوال الاربعة والعشرين ساعة من اليوم المخصص لهذه القرية . فاذا ما كانت طاقة المعصرة تكفي لعصر ما تنتجه القرية المذكورة طوال الستة ايام الاولى من الاسبوع ، لاصبح من الممكن حصول مزارعي هذه القرية على زيت ممتاز النوعية . واليكم الدليل :



لو فرضنا ان المزارع "أ" يستطيع ان يقطف من ١٠٠ - ١٥٠ كغم من الزيتون يوميا، فإن مجموع ما يقطفه في ستة ايام هو $6 \times 100 = 900$ كيلو غراما من ثمار الزيتون. تمكث الكمية الاولى منها وهي التي قطفها في اليوم الاول مدة خمسة ايام مخزونة عنده، اما الكمية الثانية فتتمكث اربعة ايام والثالثة تمكث ثلاثة ايام والرابعة تمكث يومين والخامسة يوم واحد والسادسة تنقل في نفس اليوم، وبهذا يكون معدل مكوث زيتونه مخزونا عنده هو :

$$٥ + ٤ + ٣ + ٢ + ١ + ٠ = ١٥ = ٢٥ \text{ يومان}$$

٦

ونصف اليوم . وهي مدة لا يلحق ثمار الزيتون عبرها أي اذى مهما كان الشكل الذي يجري تخزينه به لدى المنتج .

إذا ما جرى تطبيق هذا الترتيب . فإن مشاكل التخزين والنقل والعصر تكون قد حلت ، حيث ينصرف المزارع وهو خالي البال لاتقان عملية قطف ثماره .

لا تنصرف المعصرة خلال اليوم المكثس للقرية "س" أي زيتون آخر لاي مزارع آخر . وهو امر اساسي بالنسبة لعملية التنظيم المقترحة . وقد تمنح قرية من القرى يومان في الاسبوع بسبب كثافة انتاجها ، وكذلك قد تشترك قريتان او اكثر في يوم واحد ، وكل ذلك رهن بحجم الانتاج لدى كل قرية ورهن بطاقة المعصرة . فاذا ما تيسرت معصرة ذات طاقة لا تقل عن خمسين طنا في اليوم الواحد ، فانها كفيلة بتلبية ما ينطوى عليه هذا الترتيب المقترح من حلوله ما اشد حاجة المزارع في بلادنا اليها .

لماذا يجري غسل الزيتون قبل عصره :

يصل الزيتون الى مكان العصر في العادة وهو يحمل معه في ثنياه اجساما غريبة متعددة الانواع والاشكال ، كالتراب ، والاحجار الصغيرة والاوراق واجزاء الاعصان المتكسرة والخشب والاعشاب وحتى قطع الحديد ، وانه من اجل الحصول على زيت جيد النوعية فانه من الضروري تمام تحرير الثمار من هذه الشوائب بقدر ما نستطيع ، وبغض النظر عن الاسلوب الذي يتبع في قطف الزيتون فانه يترافق مع الثمار دائما نسبة لا بأس بها من هذه الاجسام الغريبة . وحتى لو تمت غزلة الثمار لتنظيفها من هذه الشوائب فان نسبة منها تصل مع الثمار الى المعصرة وهذه الاجسام الغريبة ، وعلى الاخص التراب والحجارة الصغيرة تلحق الاذى بمعدات المعصرة وخصوصا الجاروشة فضلا عن انها تسيء لطعم ولون الزيت المستخلص .

من ناحية اخرى فانه خلال عملية القطف تصاب كمية من الثمار بالخدوش الامر الذي ينتج عنه انها تفقد بعضا بسيطا من زيتها خلال غسلها ، ومع ذلك فانه اذا كان المراد هو الحصول على زيت جيد النوعية فان عملية الغسل تعتبر امرا لا مناص منه ، بل هي ضرورية تماما . واذا كان هنالك من عمرة يجب استخلاصها من كل ذلك فهي ضرورة الاهتمام الشديد بعدم اصابة الثمار بالكدمات والخدوش وما الى ذلك من الاصابات التي تعرض محتويات

الاكتفاء بعملية غسل واحدة، بل لسلسلة منها لتحرير الثمار نهائيا من الاجسام الغريبة .

تخزين الثمار :

لعدم توفر عامل التزامن بين القطف والعصر، وهي الطريقة المثلى للحصول على افخر انواع الزيت، فان المزارع يضطر الى تخزين ثماره لعدة ايام حتى يتسنى له عصرها وهو امر ينطوى على الحاق الاذى بثماره ويلحق به خسارة اقتصادية كبيرة .

ان الهدف الذي نسعى اليه هنا هو الحفاظ على ثمار الزيتون اثناء فترة التخزين بحيث تبقى محتفظة بخصائص الزيت كما كانت عليه حين قطفها . وحتى يمكن تحقيق ذلك فلا بد من الاحاطة بالاسباب التي تؤدى الى تغيير خصائص الزيت في الثمار المخزونة، سواء اكانت خارجية (طريقة الخزن، والظروف المحيطة بالثمار خلال خزنها) او داخلية بسبب التغيرات البيولوجية والكيميائية داخل الثمرة نفسها . او بسبب ما تلحقه الاجسام الغريبة المرافقة للثمر من اضرار به . ان التغيير الذي يلحق بالثمار انما يعود للاسباب التالية :-

- (١) التحلية العفوية للزيت داخل الثمرة نفسها . والتي يعود سببها في الاساس الى الماء الموجود في لب الثمرة . وبسبب ظاهرة التنفس وحضور الجسيمات العضوية الدقيقة داخل الثمرة فانه ينتج عن ذلك تفاعل يرفع من درجة حرارة الثمرة ويؤدى الى تخمرها .
 - (٢) أنشطة الانزيمات المتواجدة في دهن الثمرة، وقد تبين (٢) ان هذه الانزيمات تبقى خاملة الفعالية في فترة ما قبل النضج الا انها تنشط بعد ذلك .
 - (٣) الإصابة الجرثومية لدهون الثمرة - وتسببها الجسيمات العضوية الدقيقة المتواجدة في عصارة الثمار وقد اثبت احد الاخصائيين الاسبان، وجود هذه الجسيمات العضوية في الثمرة واستطاع ان يستخرج مئة وثلاثين نوعا من البكتيريا والخمائر والمواد العضوية الاخرى . وقد بين ان ما نسبته ٧٠٪ من هذه الجسيمات قد أظهر فعالية عالية في التفاعل مع دهن الثمرة وبسرعة مذهلة . وقد تبين ان أنشطة بعض هذه الجسيمات العضوية الدقيقة يصل الى حد، انه اذا ما طالت الفترة ما بين جرش الزيتون وفصل الزيت عن الزيار ولو لوقت قصير فأنها ستلحق الاذى بالزيت حتما . ومن هنا جاءت اهمية مزايا الالات كاملة الأتمتة (الأوتوماتيك) التي تفرز الزيت عن الزيار اوتوماتيكيا وفورا فلا تترك بذلك فرصة لهذه الجسيمات الضارة لتؤثر في الزيت كما يجرى بكل بساطة في كافة المعاصر التي تستعمل القف وكذلك المعاصر النصف اوتوماتيك . وهنالك عامل اخر لا بد من الانتباه اليه وهو ان لا تخلط الثمار المعطوبة " الجول " بالزيتون المقطوف عن الشجرة وان لا يتم اطلاقا خزنهما معا، ومما يؤسف له ان مثل هذا الخلط يتم عند الغالبية العظمى من منتجي الزيت من المزارعين . وبهذا الخلط تأخذ عملية التأكد مجراها في الثمار وتخربها .
- هنالك طرق متعددة لخزن الزيتون الى ان يتم عصره، غير ان الفارق بين الواحدة والاخرى من هذه الطرق انما ينحصر فقط في مقدار الاذى الذي تلحقه كل منها بالثمار . ولاداعي هنا الى تعداد هذه الطرق، ولكن تجدر الاشارة على سبيل التوعية ان نشر الزيتون او تنشيفه وهي احدى الطرق المتبعة في بلدنا تسفر عن تغيير نوعية الزيت بشكل كبير وهو امر مرفوض بالطبع . ويلجأ

بعض الناس الى رش ملح الطعام على الثمار او على غمرة بالماء الخ . . من الطرق المتبعة . ان ما اوصيتا به فيما سبق من تخزين الزيتون في اوعية خشبية او بلاستيكية ذات سعة محدودة مع تهويتها بالشكل الذى ذكرناه هو انسب وافضل الطرق . وكلما تم الاسراع في عصر الزيتون كلما توفرت فرصة افضل لجني النتائج المتوخاة .

تعليب الزيت المنتج :

ان تعليب زيت الزيتون ، مثله كمثلية مادة غذائية اخرى، ذو اهمية جوهرية وذلك لاسباب كثيرة منها :

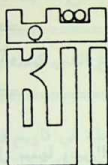
- (١) انه يفتح ابواب السوق على مصراعيها امام الزيت .
 - (٢) يتيح الفرصة لمراقبة الزيت وتصنيفه .
 - (٣) يحافظ على الزيت بنوعيته حين التعليب الى ان يتم استهلاكه .
- وانه ما دام ان زيت الزيتون هو مادة غذائية قابلة للافساد ، فان اسلوب التعليب والمواد المستعملة فيه تلعب دورا كبيرا في الحفاظ عليه . ويمكن القيام بهذه العملية بكفاءة تامة شريطة ان تراعى ظروف ومتطلبات السوق وكذلك المدة التي يراد للزيت ان يبقى محتفظا بخواصه في العبوة والمعروف انه كلما طالت المدة التي يتعرض فيها الزيت للهواء كلما زادت فرصة افساد نوعيته . اما افضل الظروف المطلوبة للتعبئة السليمة فهي :
- (١) مناعة العبوة ضد التفاعل مع الدهن .
 - (٢) ان تحول العبوة دون المواد السامة والمواد الخارجية من تلويث الزيت .
 - (٣) ان تحفظ العبوة نوعية الزيت وتحول دون غشه وهو ما يتطلب ضمنا احكام اغلاقها وختمها بطريقة تحول دون ذلك .
 - (٤) ان تحول العبوة دون عمليات تأكسد الزيت بان يجرى في العبوة احكام إبعاده عن تأثير اوكسجين الهواء المحيط في الجو وعن الضوء والحرارة المرتفعة وان لا يلامس الزيت في العبوة اية مواد معدنية خصوصا تلك التي لديها قابلية كبيرة للتأكسد مع الزيت .
 - (٥) يجب ان يتوفر في العبوة سهولة التسويق والاستعمال وعدم القابلية للكسر وان تتصف بالجاذبية وسهولة الاستخدام .
 - (٦) ان تكون اقتصادية .
- ان المواد التي يجرى استعمالها في صنع هذه العبوات هي التكن ، الزجاج ، والبولىثلين ، والبلاستيك (PVC) ، اما حجم العبوة فيمكن تحديده وفق متطلبات السوق المتحركة . على المنتج فور التعليب ان يحدد نوعية الزيت في العبوة وان يشير الى نسبة حموضته ووزنه وفترة صلاحيته . وكلما قل حجم الفراغ في العبوة كلما طالت فترة صلاحية الزيت فيها للاستعمال البشرى وحافظت العبوة على نوعيته .

- (٢) انجيلو شوكراي - المحاضر في معهد الزيتون في السيكونيا - بيسكارا - ايطاليا .



وبعد ، ان ما نأمله ، ان يجد المزارعون ، وكافة المهتمين بموضوع زيت الزيتون ، الذي يعتبر ثروة قومية في الضفة الغربية ، بعض الفائدة فيما اتينا على ذكره في هذه الدراسة المقصبة التي اعتمدنا فيها بالاضافة الى المراجع الموثوقة المعتمدة من قبل منظمة الامم المتحدة الى تجربتنا العملية الحية الشخصية في هذا الميدان .

مقابلة مع
عبدالله البديري
١٩١٠ - ١٩٧٤



أجرى اللقاء : د . موسى البديري

س: لقد مارست نشاطا صحفيا وسياسيا على امتداد فترة طويلة من الزمن . هل تستطيع ان تحدد نقطة البدء الذي تعتبر انك انشأت به بشكل بداية انخراطك في صفوف الحركة الشيوعية في فلسطين ؟

ج: في عام ١٩٣٢ سافرت في بعثة دراسية الى بريطانيا وهناك تعرفت على عدد من الطلبة الفلسطينيين ومنهم الدكتور خليل البديري ، وقد عرفني هو بدوره على منظمة تطلق على نفسها اسم "عصبة مكافحة الاستعمار" (وعلمت لاحقا انها كانت على علاقة وثيقة مع الكومنترن) وعلى سكرتيرها العام ريجنالد بريدجمان ، وكذلك على عضو في الحزب الشيوعي البريطاني يدعى سكلاتفالا وكان عضوا في مجلس العموم البريطاني . هذه كانت البداية . وعند عودتي الى فلسطين عام ١٩٣٣ تعرفت على رجا حوراني ، رئيس الخوري ، وسليم خياطه وكان الاخير قد نفته السلطات الفرنسية من لبنان الى فلسطين بسبب نشاطه الشيوعي ، وعن طريقه تعرفت على رضوان الحلو (موسى) والحزب الشيوعي الفلسطيني .

س: هل انخرطت في صفوف الحزب فور عودتك الى البلاد ؟ ما هو نوع النشاط الذي مارسته ؟

ج: في البداية اقمنا بعض الشباب المثقف حلقات دراسية ونقاشا ، واذكر منهم مخلص عمرو ، عبد الغني الخطيب ، سليم خياطه ، حناخلف . رئيس الخوري ، رجا حوراني واخرين لم اعد اذكر اسماءهم . كنا نعد لقاءات منتظمة في بيت الدكتور خليل البديري في القدس ، وقد شعرت بعد مرور فترة من الزمن ان هذا الاطار اضيق من ان يلبي طموحاتي للعمل . وانضمت الى صفوف الحزب * اجريت هذه المقابلة في القدس بتاريخ ٢٣ و٢٤ تموز ١٩٧٣ وفي عمان بتاريخ ٦ آذار ١٩٧٤ .

الشيوعي الفلسطيني في عام ١٩٣٦ او ١٩٣٧ واست اول خلايا للحزب في منطقة بيت لحم .

س: هل انقطعت علاقتك مع هذه المجموعة بعد انضمامك الى الحزب ؟ .

ج: كلا ، فقد استمرت هذه المجموعة في اللقاء واصبحت حلقة الوصل بينها وبين الحزب ، وفي مرحلة لاحقة انضم عدد من افراد هذه المجموعة الى صفوف الحزب .

س: في تلك الفترة المبكرة هل كان هنالك توجه لبث الافكار الماركسية بين صفوف الشباب المتعلم ؟ .

ج: كان رثيف خوري في ذلك الوقت مدرسا في مدرسة صهيون في القدس وكان يحظى بشعبية كبيرة بين طلاب المدارس . فقررنا سوية ان ننشط في صفوف الجسم الطلابي ، وبالفعل نجحنا في اقامة "جمعية الطلاب العرب" عام ١٩٣٧ وكان احد اقربائي في مدينة بيت لحم يصدر جريدة يومية تسمى "صوت الشعب" فتوصلنا الى اتفاق معه لاصدار ملحق لهذه الصحيفة يعنى بشؤون الطلاب ويكون لسان حال "جمعية الطلاب العرب" ولكن الملحق توقف صدوره بعد بضعة اعداد لان صاحب الجريدة اراد ان يمارس دور الرقيب على مواد الملحق . فقررنا ان نحاول اصدار مجلة خاصة بالطلبة . وطلبنا من احد الاصدقاء وهو داود ترزي ، ان يقدم طلبا لاصدار مجلة وبالفعل حصل على ترخيص واصدرنا المجلة وكانت تحمل اسم " الغد " في ايار ١٩٣٨ وفي تلك الاثناء عقدنا اجتماعا كبيرا للطلاب قرر فيه تغيير اسم الجمعية الى " رابطة الطلاب العرب " وتم انتخاب لجنة ادارية لها كما انتخبت انا مستشارا للرابطة ، واصبحت " الغد " ناطقة باسم الرابطة واستمرت في الصدور حتى قيام الحرب العالمية الثانية حيث قامت السلطات البريطانية باغلاقها عام ١٩٤١ وفي نفس الوقت القي القبض علي واودعت السجن ، واود ان اذكر في هذا الصدد اننا قمنا باصدار اعداد خاصة في " الغد " باللغة الانكليزية للتعريف بقضايانا ومشاكلنا .

س: في الفترة التي سبقت اغلاق المجلة هل تعرضت " الغد " لمضايقات من قبل سلطات الانتداب ؟

ج: لقد حاولت السلطات منعنا من ايصال المجلة الى القراء وهم بالاساس طلبة المدارس ، فبعد فترة قصيرة من صدورها منع مدير دائرة التعليم في فلسطين بيعها في المدارس ، والجدير بالذكر ان اغلاقها تم على ايدي عجاج نويهض الذي كان يشغل في تلك الفترة منصب مدير دائرة المطبوعات . واود ان اضيف اننا نجحنا في اعادة اصدار الغد عام ١٩٤٥ ، وفي ذلك الوقت كانت

"رابطة الطلاب العرب" قد تحولت الى "رابطة المثقفين العرب" فكانت القيد لسان حالها وعين مخلص عمرو كمحرر متفرغ للمجلة واستمرت في الصدور حتى اواخر عام ١٩٤٧ .

س: ما هو الانطباع الذي كونته عن الحزب بعد انضمامك الى صفوفه ؟

ج: في تلك المرحلة في تاريخ فلسطين ، واعني بذلك اوائل الثلاثينات وقبل اندلاع الثورة في فلسطين ، كان الانطباع السائد بين الجماهير العربية ان الحزب الشيوعي الفلسطيني حزب يهودي وبالفعل كان اعضاء الحزب العرب قلائل . لقد كان الحزب يضم في صفوفه اعدادا كبيرة من الكوادر اليهودية وكان هؤلاء مغفمين بالحماس الثوري ، ولكن اساليب عظمهم لم تكن تناسب البيئة العربية . اما بالنسبة للاعضاء العرب فكانوا بعيدين جدا عن الجماهير العربية ، وكانت اكثرتهم من غير المتعلمين .

س: هذا القول فيه كثير من التجني والبعض ممن عاصروا نشوء الحركة الشيوعية في فلسطين منذ بداياتها من امثال نجاتي صديقي ورضوان الحلو يرفضون بشدة هذا التقييم للكوادر العربية الاولى التي كانت رائدة في الانضمام والعمل في صفوف الحزب . هل تذكر بعض الاسماء من اعضاء الحزب في تلك الفترة ؟

ج: بالطبع هذا الكلام لا ينفي وجود كوادر عربية مخلصة ونشيطة في صفوف الحزب ولكن هذا هو الانطباع العام الذي كونته عند انضمامي الى صفوفه . اما بالنسبة للاسماء فاذكر خليل شقير ، سعيد قبلان ، نجيب فرنجية ، جبرا نقولا ، بولس فرح ، حسن ابو عيشة ، نجيب سريدون ، وخالد الزغموري ، والبعض من هؤلاء كانوا قد انهوا دورات حزبية في معهد الكومنترن في موسكو ، ولكني اود التركيز على ان الحزب بدأ نشاطه الفعلي في صفوف الجماهير العربية . ونجح في اجتذاب اعداد كبيرة من الكوادر العربية فقط ابتداء من عام ١٩٣٦ .

س: في ذلك العام بدأ الاضراب العام الذي شهدته فلسطين والذي استمر ستة اشهر وكانت الشرارة التي اشعلت نيران الثورة المسلحة ضد الاستعمار البريطاني . ماذا كان موقف الحزب من هذه الاحداث ؟

ج: اعطى الحزب الشيوعي الفلسطيني تأييده التام للاضراب وللثورة المسلحة منذ البداية ، واذكر ان مطبعة الحزب السرية كانت تستعمل لطبع منشورات وبيانات الحركة الوطنية خلال سنوات الثورة ، كما ان صحيفة الحزب المركزية " نضال الشعب " كذلك " المقاومة الشعبية " عبرتا من خلال

صفحاتهما عن تأييد الحزب المطلق للعمل المسلح .

س: خلال سنوات الثورة يظهر اسم محمد نمر عودة كشخصية مركزية في هيئات الحزب القيادية ولكن هناك الكثير من الاتهامات حول اخلاصه للحزب ومدى ارتباطه بالمفتي . ما هو الدور الذي لعبه محمد نمر عودة؟

ج: محمد نمر عودة كان شخصية مركزية اذ انه في تلك الفترة كان حلقة الاتصال بين الحزب والثورة ، وقد تبني موقفا متطرفا في تأييده للمجلسين حتى انه يمكن القول انه كان من الصعب في تلك الفترة تمييز محتويات جريدة الحزب المركزية " نضال الشعب " عن نشرات المفتي ومؤيديه . وقد ادعى اعضاء الحزب اليهود في فترة لاحقة انه لم يكن يستشيرهم في الاعمال التي كان يقوم بها كممثل للحزب ، واتهموه بالفاشية بسبب تأييده للمفتي . لقد انضم محمد نمر عودة للحزب عام ١٩٣٦ وفي رأيه انه كان مخلصا لمبادئه الاشتراكية ، ولا اوافق على الرأي الذي يقول انه كان يتجسس على الحزب لصالح المفتي . وعلى العكس من هذا فقد عمل بنشاط ونجح في اجتذاب اعداد كبيرة من الكوادر العربية المثقفة الى صفوف الحزب . وفي عام ١٩٣٩ عند صدور الكتاب الابيض ترك محمد نمر عودة فلسطين والتجأ الى العراق ، وعندما عاد الى فلسطين في اواخر سني الحرب حاول ان يعود الى صفوف الحزب واصر على كونه شيوعيا منكرا تهمة الفاشية ولكن الحزب رفض ان يقبله في صفوفه .

س: لقد ذكرت سابقا ان هذه الفترة شهدت "نموا" في قوة الحزب بين الجماهير العربية ، كما ذكرت ان نمر عودة نجح في اجتذاب كوادر عربية كثيرة الى صفوفه . هل قدمت هذه الكوادر شيئا ملحوظا للحزب على المدى الطويل . ام ان نشاطها انتهى مع انتهاء الثورة او مع خروج نمر عودة من صفوف الحزب ؟ وهل استطاع الحزب ان يحافظ على هذه الكوادر ؟ .

ج: سأكتفي باعطاء مثال واحد ولكني اظن انه كاف . في عام ١٩٣٦ وخلال الثورة عرفني محمد نمر عودة على شاب من الناصرة كانت السلطات البريطانية قد ابعدهت الى مدينة الخليل بسبب نشاطه في تنظيم عمال شركة التبغ اسمه فؤاد نصار ، ولم يكن هذا الشاب عضوا في الحزب ، وعندما اتخذ الحزب قراره بالمشاركة في الثورة المسلحة انضم هذا الشاب الى احد الفصائل المسلحة التي كان يقودها عبد الحليم الجيلاني المعروف بالشلف ، ثم انفصل عنه ورأس مجموعته الخاصة في منطقة بيت جالا ، وقد كنت على اتصال دائم معه . اذ كنت التقية في الجبال وازوده بنشرات الحزب ومطبوعاته . وعندما غادر فلسطين الى العراق عام ١٩٣٩ تعرف على الشيوعيين العراقيين وعند رجوعه الى فلسطين في اوائل عام ١٩٤٣ استمر على صداقته بالحزب بالرغم من عدم انضمامه اليه

ثم انضم الى عصبة التحرر الوطني بعد فترة من تأسيسها ، وكان ميدان نشاطه الاساسي في الميدان النقابي ولعب دورا مركزيا في مؤتمر العمال العرب ، وفي فترة لاحقة اصبح السكرتير العام للحزب الشيوعي الاردني .

س: خلال سني الثورة هل كانت هنالك معارضة داخل الحزب لتوجه الحزب العام للانخراط في صفوفها وتأييد قيادة الحركة الوطنية ؟ .

ج: كما اذكر لم تكن هنالك اية معارضة من جهة الكوادر العربية ، اما بالنسبة للاعضاء اليهود فالمعارضة بدأت تتبلور خلال عام ١٩٣٧ .

س ضم الحزب في صفوفه وحتى الانشقاق في عام ١٩٤٣ كوادر عربية ويهودية ، هل كانت هنالك علاقات قوية بين الاعضاء العرب واليهود ؟

ج: كانت هنالك صعوبات موضوعية تحد من امكانيات الاختلاط والتقارب على المستوى الاجتماعي ، مثلا مشكلة اللغة ، اغلبيية الاعضاء اليهود كانوا قادمين جدد الى البلاد ولم يكونوا على معرفة باللغة العبرية فما بالك بالعربية ، لذا لم يكن هنالك الكثير من فرص الاختلاط في داخل الحزب . كان الحزب ينظم رحلات ومهرجانات يحضرها الاعضاء العرب واليهود ، ولكن لا يمكن القول ان اعضاء الحزب كانوا يتمتعون بحياة اجتماعية مشتركة . اما على مستوى اعضاء اللجنة المركزية للحزب فالعلاقات كانت قوية . في فترة ما قبل ١٩٣٦ ، اظن ان الامور كانت مختلفة ، فكون اعضاء الحزب العرب يشكلون قلة سمحت بوجود تنظيم يقوم على اساس الخلايا المشتركة .

س: افهم من كلامك ان العداء القومي في البلاد شكل عقبة ليس فقط بالنسبة لعمل الحزب السياسي وانما ادى بالاضافة الى ذلك الى درجة من العزلة بين الكوادر العربية واليهودية . هل ادى ذلك الى انعكاسات كجسم موحد ؟ .

ج: كان عمل الحزب في الشارعين العربي واليهودي منفصلا ومختلفا ، وبالضرورة ادى ذلك الى ظهور اختلافات في وجهات النظر . في الواقع اصبح الحزب في اوائل الاربعينات مكونا من تكتلات متصارعة اهمها ثلاثة ، الاولى ملتفة حول بولس فرح في مدينة حيفا ، والثانية ملتفة حول ميكونيس في مدينة تل ابيب ، والثالثة مكونة من يافا والقدس وملتفة حول سكرتير الحزب رضوان الحلو . عقد مؤتمر عام للحزب في عام ١٩٤٢/١٩٤٣ في محاولة للمحافظة على وحدته وانتخبت لجنة مركزية جديدة ، ولكنها لم تنجح في توحيد الاتجاهات المتعارضة . عند ذلك دعا ميكونيس مؤتمرا عاما لاعضاء الحزب اليهود واعلن في ذلك الاجتماع عن طرد اعضاء اللجنة المركزية العرب في تلك

الهيئة (وبالمناسبة كانت احدى التهم الموجهة الى رضوان الحلو تتعلق بادخاله محمدنمر عودة الى صفوف الحزب وهيئاته القيادية) ، وهذا ادى الى نشر البلبلة في صفوف اعضاء الحزب العرب .

س: اشرت في حديث سابق ان الذى حدث في الحزب لم يكن انشقاقا
ماذا تعني بهذا القول ؟

ج: في رأيي ان الذى حدث لم يكن انشقاقا بمعنى ان احدا لم يخطط له او يسعى اليه . عندما قام اعضاء الحزب اليهود الملتفين حول ميكونيس بطرد الاعضاء العرب من اللجنة المركزية لم يكن هدفهم اقامة حزب شيوعي يهودى ، وكانوا يريدون المحافظة على الطابع الاممي للحزب ، ولكن المناخ العاطفي في الشارعين العربي واليهودى كان له تأثيره على الحزب وسهل عملية الانشقاق . الحقيقة انه لم يكن هنالك تصميم مسبق على اقامة حزبين منفصلين ، لكن اعضاء الحزب العرب كانوا قريبين في تصوراتهم وروءيتهم من الحركة الوطنية ومعادين لفكرة العمل المشترك مع اليهود . في نفس الوقت كان اعضاء الحزب اليهود متأثرين بالشارع اليهودى وكانوا عاطفيا جزءا من هذا الشارع ، وفي رأيي انهم كانوا متجهين نحو انحراف قومي يهودى .

س: الحزب الشيوعي الفلسطيني ومنذ تأسيسه كان فرعا للاممية الشيوعية في فلسطين . ولكن تقارير المخابرات البريطانية تشير انه نتيجة لافضاح الحرب كانت الاتصالات بين الحزب والكومنترن مقطوعة . ثم جاء قرار ستالين بحل الكومنترن عام ١٩٤٣ الامر الذى يعني ان الحزب فقد المركز الذى كان في الماضي يقدم النصح والتوجيهات (مثلا خلال احداث عام ١٩٢٩ ومسألة التعريب) . ماذا كان توجه اعضاء الحزب العرب عندما اصبح الانشقاق امرا واقعا عام ١٩٤٣ ؟

ج : انقطاع الصلة مع الكومنترن لم يكن يعني فقدان الصلة مع الحركة الشيوعية العالمية بشكل كامل . فالحزب في فلسطين كان على علاقة وثيقة مع الحزب الشيوعي السورى ، وبالفعل قمت انا واميل حبيبي بالسفر الى بيروت ودمشق عام ١٩٤٣ للالتقاء بقيادة الحزب والاستماع لآرائهم فيما يتعلق بالاحداث في الحزب الفلسطيني . عندما ذهبت الى بيروت كان الجزء العربي من الحزب في حالة انهيار وكان توجهنا للقاء خالد بكداش وفرج الله الحلو بناء على مبادرتنا الذاتية وليس كممثلين عن الحزب (الذى لم يعد موجودا اصلا) رأى الاول كان مؤيدا للانفصال عن الرفاق اليهود ولم يشر الى ضرورة الحفاظ على وحدة الحزب وطابعه الاممي وأشار الى ضرورة اقامة تنظيم عربي جديد ذات توجه يسارى لا يخجل بالضرورة عنوانا شيوعيا اما فرج الله الحلو فحمل رأيا معاكسا اذ اصر على ان الحزب كونه حزبا شيوعيا ، يجب ان يوحد في صفوفه العرب واليهود . وقد

تقرر في نهاية مشاوراتنا ايفاد فريق من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري الى فلسطين لتدارس الاوضاع .

س: ماذا كان موقفك الشخصي بالنسبة لمستقبل الحزب ؟

ج: لقد كنت معارضا تماما لفكرة اقامة حزب شيوعي يقتصر عضويته على العرب ولكن هذه الفكرة كانت مؤيدة من قبل اغلبية اعضاء الحزب العرب .

س: لقد ذكرت وجود مجموعة في حيفا معارضة لقيادة رضوان الحلو ماذا كان موقفها ؟

ج: لقد بعثت مجموعة حيفا بمندوب للاتصال مع الحزب الشيوعي السوري ومن ثم تم الاتفاق مع بقية اعضاء الحزب على اقامة تنظيم عربي صرف (ومن الجدير بالذكر ان مجموعة بولس فرح كانت على علاقة جيدة مع مجموعة ميكونيس قبل الانفصال) . وعندما قدم اعضاء الحزب طلبا الى محافظ حيفا لاقامة الحزب الجديد " عصبة التحرر الوطني " كان اسمي ضمن الذين وقعوا الطلب . وتم اختيار موسى الدجاني الذي كان عضوا في نادي شعاع الامل الحيفاوي ولم يكن عضوا في الحزب ، لرئاسة العصبة ، وبعد ذلك بفترة قصيرة استبدل بخالد الزغمرى وهو عامل سكة حديد وعضو لسنين عديدة في الحزب الشيوعي .

س: الواضح مما سبق ان الانشقاق او التفسخ الذي اصاب الحزب لم يكن فقط بسبب التباعد الذي نما تدريجيا بين الكوادر العربية واليهودية بسبب الاجواء القومية المتأزمة في فلسطين . الازمة كانت ايضا موجودة في داخل صفوف الكادر العربي نفسه ؟

ج: لا شك ان المنافسة بين رضوان الحلو وبولس فرح لعبت دورا سلبيا واثرت على وحدة الحزب . لم يكن رضوان الحلو يتمتع بخلفية ثقافية مميزة اما بالنسبة لبولس فرح فقد كان على درجة عالية من الثقافة والاطلاع وكان يعارض استمرار وجود رضوان الحلو في منصب السكرتير العام للحزب ويرى انه هو نفسه اجدر بهذا المنصب . وكان نشيلا في معارضته لرضوان وسياسة الحزب تحت قيادته . والجدير بالذكر انه عندما عاد بولس فرح الى فلسطين عام ١٩٣٧ بعد ان انهى دراسته في موسكو لم يضم الى صفوف اللجنة المركزية وكان على اختلاف دائم مع رضوان ، جزء منه ولا شك بسبب طموحه ان يتبوأ مركزا في الحزب ، ثم اقام نادي شعاع الامل في حيفا مع مجموعة من الشباب ابرزهم اميل توما ليشكل قطب معارضة لرضوان الحلو .



س: هل اقام بولس فرح تكتلا معاديا لقيادة الحزب في داخل الحزب ؟

ج: على ما اذكر جمدت عضوية بولس فرح في الحزب عام ١٩٣٩/١٩٤٠ نتيجة قضية تتعلق بمطبعة الحزب العربية، فقد القي القبض عليه بعد عودته الى فلسطين بفترة قصيرة واتهمه الحزب بمحاولة قيادة الشرطة الى مكان المطبعة السرية للحزب لكنه انكر التهمة واصر على انه خدع البوليس ولم يدلهم على مكان المطبعة. لذلك عندما اقام بولس فرح مجموعته كانت هذه مستقلة عن الحزب ولم تنطو تحت لواء اللجنة المركزية .

س: تأسست عصبة التحرر الوطني عام ١٩٤٤ واستمرت في نشاطها حتى عام ١٩٤٨ . الان وبعد مرور حوالي ثلاثين عاما كيف تقيم هذه الفترة ؟

ج: شهدت هذه السنوات نشاطا متعاظما لليसार في فلسطين . اصبحنا نملك اربع تنظيمات جماهيرية، العصبة، رابطة الطلاب، (تحولت الى رابطة المثقفين العرب) عصبة مكافحة النازية، واتحاد النقابات (تحولت الى مؤتمر العمال العرب) . في كل اسبوع تقريبا كنا نعقد اجتماعات شعبية في احدى مدن فلسطين . في الواقع شكل غياب المفتي ورجاله فرصة ذهبية لنشر الافكار والنشاط الشيوعي . لقد كنا الوحيدين العاملين في الساحة وكنا نملك شبه احتكار للجمهور، ونتيجة لذلك استطعنا ان نكسب اعضاء ومناصرين كثيرين . في البداية كانت النظرة لنشاطنا عدائية، خصوصا عندما وصل هتلر الى ابواب القاهرة، واذكر ان راديو برلين بالعربية كان يهاجم الشيوعيين واعلن صدور حكم الاعدام بحقي، ولكن بعد هزيمة قوات المحور وبداية انتصارات الحلفاء في ستالينغراد والصحراء الغربية ظهر تحول في المشاعر، وكان هنالك تأييد وتعاطف كبير مع الاتحاد السوفيتي مما ساعدنا في نشاطاتنا وجذب الى صفوفنا اعدادا كبيرة من الناس .

س: ذكرت "عصبة مكافحة النازية" كأحد تنظيمات الحزب متى اقيمت هذه العصبة ؟

ج: اسس الحزب العصبة في السنة التالية لدخول الاتحاد السوفيتي الحرب، في عام ١٩٤٢ كما اذكر، وقد انضم اليها اعداد كبيرة من الناس، التواة كانت من الشيوعيين ولكن اكثر الاعضاء لم يكونوا اعضاء في الحزب، وقد استقر الرأي على ان يرأسها حمدي الحسيني من غزة الا انه رفض، ومن ثم توجهنا الى المحامي جعفر هاشم وكان من اصدقاء الحزب .

س: خلال سني الثورة انعدم النشاط النقابي في فلسطين ولكنه عاد وانتعش في سنوات الاربعينات ما هو الدور الذي لعبه الحزب في هذا المجال؟

ج: كان للشيوخيين شرف الريادة في العمل على تنظيم العمال وتأسيس النقابات منذ منتصف العشرينات وكان هدفهم نشر الوعي الطبقي بين صفوف العمال وتوحيد العمال العرب واليهود في نقابات عمالية لتدافع عن مصالحهم الاقتصادية ولبث الوعي السياسي في صفوفهم ، الا ان عدائية الحركة الصهيونية وسيطرة الايديولوجية الصهيونية لم تسمح للحزب بان يجند اعدادا كبيرة من العمال اليهود ، وفي النهاية اقتصر عمله على تنظيم العمال العرب في نقاباتهم الخاصة وقد لاقى نجاحا في نشاطه هذا ولكن منذ بداية الثلاثينات بدأت الاحزاب السياسية والقيادات التقليدية محاولاتها لانشاء نقابات يسيطر عليها هؤلاء الزعماء لتدعيم مراكزهم ، وكان اول من باشر هذا العمل فخرى النشاشيبي من حزب الدفاع الذي اطلقت عليه الصحف في ذلك الزمن لقب "زعيم العمال" وما لبثت قيادات النقابات العربية ان انطوت تحت لواء الزعامات التقليدية مكتفية بتأييدها بالعرائض والبيانات . ومع بداية الثورة المسلحة تراجع العمل النقابي حتى بشكله الصوري ، بعد انتهاء الثورة بدأ الحزب يقوم بانشاء حلقات للعمال ، ومن ثم توجهنا الى سامي طه ، الموظف الذي عين سكرتيرا لجمعية العمال العرب الفلسطينية في حيفا وكانت الجمعية اذاك تشارف الموت وغرضا عليه ضرورة العمل المشترك ، وضرورة العمل على ابناء فروع جديدة للجمعية ، فوافق . في نفس الوقت كان احد مفتشي العمل البريطانيين ويدعى هارولد تشادلي متطافا مع "نادي شعاع الامل" في حيفا وساعدنا على الحصول على ترخيص اول جريدة عمالية فلسطينية "الاتحاد" وعلى تأسيس نقابات عمالية جديدة . في فترة لاحقة ومع نمو نفوذ الشيوعيين بين العمال حاول سامي طه طرد الشيوعيين من جمعية العمال العربية مما ادى الى انشقاق النقابات الشيوعية واقامة مؤتمر العمال العرب الذي ضم في صفوفه بالاضافة الى النقابات المنشققة عن الجمعية "اتحاد نقابات العمال في حيفا وهي مجموعة من النقابات اقامتها مجموعة بولس فرح .

س: هل كان هنالك خلال سنوات الاربعينات اى اتصال مع هيئات الكومنترن؟ تقارير الاستخبارات البريطانية تذكر زيارة ثلاثة مسؤولين سوفيين الى فلسطين وتذكر ان هؤلاء كانوا من مبعوثي الكومنترن .

ج: لم يكن هنالك اى اتصال رسمي ولكن خلال سنوات الحرب . في عام ١٩٤٢ زار فلسطين ثلاثة من الدبلوماسيين السوفيين المعتمدين في تركيا ومصر وكان لنا لقاءات معهم ، حضر سلطانوف وبيترنكو وميخالوفيتش كضيوف على "جمعية اصدقاء الاتحاد السوفياتي اليهود" وكانت هذه الجمعية تضم في صفوفها شيوعيين وصهيونيين ، وقد تم ترتيب لقاءات معهم واجتمعت معهم

كمندوب للحزب، واقمت لهم وليمة في بيتي في بيت لحم دعوت اليها عددا من اليساريين العرب واليهود . لقد لاقى هؤلاء المبعوثون ترحيبا كبيرا بين السكان اليهود، رأيت انه من الاهمية بمكان ان يلتقوا بممثلين عن السكان العرب لكي يسمعوا وجهة نظرنا .

س: بعد الانشقاق واقامة العصبة في العام ١٩٤٤ وحتى عام ١٩٤٨ هل جرى اى اتصال او عمل مشترك بين الشيوعيين العرب واليهود ؟

ج: لقد كنت معارضا لنواح عديدة في سياسة العصبة ومنها عدم السماح لليهود بالانتماء اليها، فقد كنت ادعو لجعل العصبة تنظيما امميا . ولكن مجموعة حيفا على الاخص كانت تعارض هذا الامر بشدة (بالرغم من العلاقات الجيدة التي كانت تربطهم باعضاء الحزب اليهود في الفترة التي كانوا فيها خارج صفوف الحزب) . في نفس الوقت اظهر الشيوعيون اليهود ومنذ عام ١٩٤٣ توجهها واضحا نحو الصهيونية . . في الحقيقة كان الوعي الاممي ضعيفا في شقي الحزب، بين العرب واليهود على السواء . كانت كل مجموعة مشدودة بقوة بسبب الشوفينية القومية التي كانت تسيطر على الجماهير العربية واليهودية والنتيجة انه منذ تاريخ الانشقاق لم يكن هنالك اى لقاء او عمل مشترك بين العصبة والحزب حتى بعد وقوع التقسيم .

س: من المعروف ان قرار التقسيم اثار خلافات داخل صفوف العصبة، هل شاركت في الاجتماع الذي عقد لمناقشة القرار ؟

ج: عقدت العصبة اجتماعا موسعا في مدينة الناصرة لمناقشة القرار ولكن الظروف منعني من المشاركة في الاجتماع . القرار الصادر عن هذا الاجتماع كان بقبول القرار وقد ايدت هذا القرار وقمت برفقة فؤاد نصار بجولة في انحاء البلاد لاوضح موقف العصبة من التقسيم وقد لاقى هذا موافقة البعض، والبعض الاخر رفضه . في الواقع كان هنالك اختلاف واضح في الموقف وعبر هذا الاختلاف عن نفسه في اجتماع الناصرة وبين اعضاء العصبة بشكل عام . مثلا مخلص عمرو وجريس ابو رمان وكانوا من الاعضاء النشيطين ، رفضوا قرار التقسيم وقد انشقت رابطة المثقفين العرب بسببه . ولا شك ان هذا ادى الى اضعاف العصبة بالاضافة الى خطر الاغتيالات، فقد لجأت انا واميل توما واميل حبيبي الى لبنان تخوفا من الاغتيال من قبل اعوان عبد القادر الحسيني .

س: عندما تنظر الان الى هذه الفترة كيف تصنف العصبة؟ هل كانت حزبا شيوعيا ؟

ج: كان اعضاء العصبة يساريين وكثيرين منهم كانوا سابقا اعضاء في الحزب الشيوعي الفلسطيني ولكن هنالك فرق بين مجموعة يسارية وبين حزب شيوعي، مثلا لم يكن هنالك اية روابط تنظيمية واضحة او انضباط حزبي صارم في هيئات العصبة المختلفة .

التكنولوجيا والحياة الدولية



بقلم : بنهام بطرس

السياسية . ومن هنا تبرز العلاقة القائمة بين التكنولوجيا والسياسة . ومن هذه العلاقة وفي جانبها السلبى ظهر مفهوم " التكنولوجيا السياسية " Political Technology في الغرب وهو مفهوم اصبح يهيمن على العلاقات الاقتصادية الدولية سواء بين الشرق والغرب او في الاستعمار الجديد مع البلدان النامية . ان دخول الانسان عصره الذرى ليس هو اللعنة الابدية بقدر ما تكن اللعنة في سوء استخدام الانسان لمنجزات هذا العصر والاضطراب الناجمة عن احتمالات فقدان السيطرة عليها . ف سوء استخدام وتوجيه التكنولوجيا المتطورة اديا في السياسة الامريكية الراهنة لسباق التسلح النووى الى قيام خطر ان يفقد الجنس البشرى السيطرة على عصره الذرى ومنجزاته وتحوله من سيد عليهما الى مسود .

وليس المفروض ان يكون للمرء ذكاء خارق ليدرك اليوم ان الوجه الاخر والدور السلبى للتكنولوجيا المتطورة قد ضرب جذوره العميقة في الحياة الدولية الراهنة - في السياسة

تلعب التكنولوجيا المتطورة في عصرنا الذرى دورا بارزا وحساسا في حياة الانسان وفي الحياة الدولية : في قضايا السلم والحرب وسباق التسلح وفي الاقتصاد الدولى . ان التكنولوجيا المتطورة هي ثمرة التقدم الهائل في الثورة العلمية - التكنيكية المعاصرة ومثلما لهذه الثورة وجهان او دوران متناقضان ، فلوليدها ، التكنولوجيا ، هذان الوجهان كذلك .

وفي هذا الشأن يمكن القول بأن الطبيعة الاستخدامية للتكنولوجيا المعاصرة لا تزال هي بالجوهر كطبيعة الالة القديمة : وميكانيكية التكنولوجيا البدائية . فبالسكين تستطيع قتل انسان وبها نفسها تستطيع قتل وحش مفترس وبميكانيكية البارود تستطيع اقتلاع الصخور الجبلية وبها تستطيع ارتكاب جريمة قتل .

وبما ان التقدم العلمى - التكنيكي هو نتاج عمل الانسان فان توجيه استخدام منجزاته كالتكنولوجيا المتطورة توجيهها ايجابيا لخير الجنس البشرى والتقدم الحضارى يقع تحت سيطرة الانسان نفسه ان توحدت ارادته

الطبقية الضيقة للامبريالية الدولية بزعامه الولايات المتحدة هي تلك الطرائق المستندة الى ان مذهب القوة لا دبلوماسية المنطق هو الملاذ الاخير لضمان النفوذ السياسي لها .

فبين طرائق التفكير الاشتراكي وطرائق التفكير الرأسمالي يدور اليوم صراع حاد سياسي واقتصادي واجتماعي انتقل في السنوات الاخيرة الى مجابهة بين النظامين بالوسائل العسكرية . وهي مجابهة تزداد خطورة وتراويا كلما مضت الامبريالية الامريكية في استخدام التكنولوجيا المتطورة لاغراض عسكرية ترفع من المستوى النوعي والكمي لسباق التسلح الدولي الذي يضيّق بدوره على فرص نزع السلاح اكثر فأكثر ويزيد السلام العالمي اختناقا .

في ما بعد الحرب العالمية الثانية، ان التكنولوجيا المتطورة، من قنبلة هيروشيما الى برنامج "حرب الكواكب"، دمغت السياسة الامريكية، بوجه خاص، بواهمة التفوق التكنولوجي Superiority Technologia والتي يعتقد اصحابها، كاعتقاد الهتلريين، بأنها الطريق المفضي الى السيطرة على العالم .

غير ان التقدم التكنولوجي لم يعد احتكارا يميز البلدان الرأسمالية المتطورة عن البلدان الاشتراكية المتطورة وذلك من جراء شيوع الثورة العلمية - التكنولوجية ومنجزاتها فيهما وهي ثورة تستند الى توفر شروط ومقومات اساسية كال تقدم العلمي والتقني ووفرة المصادر الطبيعية والاموال وما يتبع ذلك من تطور القوى المنتجة والكادرات ووسائل الانتاج ان هذا التكافؤ في شروط ومقومات التقدم التكنولوجي خاصة بين الولايات المتحدة

وسباق التسلح وفي الاقتصاد والعلاقات بين الامم - وهو دور اطلق العنان لخطر المفاهيم السياسية في الاعراف الدولية والمتنافية حتى مع الفرائض الفطرية للانسان والاحكام البديهية، وهي مفاهيم تنتمي الى مبادئ القوة والاستثثار والابتزاز وغطرسة التفوق على الآخرين، والا ما معنى تأليف لجان خاصة في الولايات المتحدة لصياغة المفاهيم عند كل تصعيد في سباق التسلح وهي لجان لها من الرئيس ريفان اذنه الكبيرة .

وما من شك في ان احد اوجه الصراع الدولي في عصرنا الذري بين السلم والحرب، بين عالم مسلح وعالم بلا سلاح وبين التقدم والتخلف وبتحديد اوسع بين الرأسمالية والاشتراكية هو صراع يدور حول "اختلاف النظرة الى استخدام التكنولوجيا المتطورة - اهو استخدام للاغراض السلمية ام للاغراض العسكرية ؟ .

اختلاف النظرة الى التكنولوجيا :

لقد نبه العالم الشهير " البرت اينشتاين " العالم بقوله ان " عصر الذرة يفرض تجديدا في طريقة التفكير " . لقد رأى اينشتاين انبثاق العصر الذري وساهمت نظرياته في تطوير العلم وفيزياء الذرة وفي الاستكشافات الحديثة وحل مشاكل فيزيولوجية . ومات آينشتاين بعد عشر سنوات من كارثة هيروشيما الذرية الا ان مقولته الشهيرة تلك لا تزال حية، وهي ليست لا تزال حية فحسب بل هي اليوم اكثر الحاحا وضرورة حياتية للجنس البشري من اى وقت مضى . فاین نحن الان من مقولة هذا العالم العملاق ؟ اننا بعيدون عنها من زاوية الشمولية العالمية حيث ان طرائق التفكير

الانتاجية نوعا وحما والارتفاع بوثاثرها، لتصب جميعا في رفع معدلات النمو الاقتصادي والدخل وتحسين مستوى معيشة السكان . وفي اطار العلاقات الاقتصادية والتعاون التكنيكي ما بين البلدان الاشتراكية تلعب التكنولوجيا ومجالات التبادل التكنولوجي دورا مهما في عطليات التكامل الاقتصادي افقيا وعموديا وفي صناعة بناء الآليات الالكترونية كالروبوتات ROBOT (الانسان الآلي) والكومبيوترات وأجهزة القياسات الدقيقة . كما ان احدا ابرز مناحي التعاون التكنيكي ما بين بلدان " مجلس التعااضد الاقتصادي " هو التعاون الذي يجرى في صناعات الطاقة الذرية والكهر ذرية والكهر حرارية وذلك على اساس التكنولوجي السوفييتية التي هي ارقى واعقد تكنولوجيا في هذه الصناعات وقد سبق الاتحاد السوفييتي غيره فيها . ولكن هذا لايعني ان اقامة هذه الصناعات في البلدان الاشتراكية تقع حاليا على عاتق الاتحاد السوفييتي لوحده، انما هنالك تقسيم عمل بين البلدان الاشتراكية لتجهيز هذه الصناعات بمختلف انواع المعدات والاجهزة والتوربينات والمفاعلات والانظمة الحرارية وما الى ذلك .

أما في البلدان الرأسمالية المتطورة ، ففي الوقت الذي كانت قد ارتفعت فيه معدلات النمو الاقتصادي وعاشت هذه البلدان فترة من الانتعاش الاقتصادي وازدهرت موازينها التجارية ابان المرحلة الاولى من استخدام التكنولوجيا المتطورة في الصناعات الانتاجية ، وتحديث وسائل الانتاج والهياكل الارتكازية ، غير ان كثافة استخدام التكنولوجيا المتطورة كالايات الالكترونية والروبوتات

والاتحاد السوفييتي يمنع قيام فاصل تكنولوجي بينهما كما يحرم الولايات المتحدة من استثمار مفهوم " التكنولوجيا السياسية " ضد الاتحاد السوفييتي وهذا ما اثبتته تاريخ ما بعد الحرب العالمية الثانية في الميدان العسكري وفي بعض الميادين الاخرى .

غير ان التكافؤ (١) في القدرة التكنولوجية الكامنة Technological potential والمعمول بها في الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وتوفر مقومات وشروط هذه القدرة لديهما لا يعني ان نظرتهم الى التكنولوجيا واستخداماتها هي نظرة واحدة . فالاختلاف في النظرة يرجع ، بالدرجة الاولى ، الى الاختلاف في طبيعة النظامين سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، الى الاختلاف في موقع التكنولوجيا من ناحية الملكية اسوة بوسائل الانتاج . ويتبع هذا ان التخطيط التكنولوجي في النظام الاشتراكي هو تخطيط مرتبط بالتخطيط الاقتصادي - الاجتماعي العام ، وتسيطر عليه الدولة سيطرتها على التكنولوجيا ووسائل الانتاج كملكية عامة . هذا في حين ان الامر يختلف اختلافا جوهريا في نظام رأسمالية الدولة الاحتكارية حيث ان التكنولوجيا كوسائل الانتاج هي ملكية فردية لاصحاب الشركات الاحتكارية وبخاصة المجمعات الصناعية - العسكرية التي يستحوذ اصحابها على النفوذ السياسي والاقتصادي والاجتماعي في دولة الرأسمالية الاحتكارية وهكذا فان شكل الملكية والنظام الاجتماعي يحددان دور التكنولوجيا في البلدان الصناعية المتقدمة على المستويين الداخلي والخارجي وعلى هذا الاساس فان دور التكنولوجيا في النظام الاشتراكي منوط به تحسين وتحديث

Military Industrial Camp التي ضمت تحت سيطرتها كلا من الصناعات العسكرية والمدنية الى حد ان غدت هذه المجمعات تؤلف القاعدة الاقتصادية لدولة الرأسمالية الاحتكارية الام في الولايات المتحدة الامريكية وغدت تسيطر على حوالي ٧٠ بالمائة من تجارة التكنولوجيا العالمية .

ولم تتوقف دائرة نفوذ هذا المارد العملاق من الشركات والمجمعات عند السوق الاقتصادية بل تعدته الى الادارة السياسية نفسها . فالاسلحة المتطورة ذات التكنولوجيا الراقية والمعقدة لم يعد بالامكان دخولها السوق الاقتصادية الاعتيادية وذلك لتغذر وجود مشترين وزبائن لها بسبب اثمانها الباهظة الى حد ان اصبحت الدولة ، اى البنتاغون في الادارة الامريكية ، هو الوحيد الذى يستطيع التعاقد مع هذه المجمعات الصناعية - العسكرية لشراء وتصريف هذه المنتجات العسكرية غالية الثمن ، وهو امر لن يتم الا باتباع سياسة تسميح العذر للانتاج العسكرى وللنهج العسكرى على مستوى الدولة وهي السياسة المعروفة حاليا بسياسة سباق التسلح العالمية التي التزمت بها خصيصا ادارة ريفان وصعدتها من الارض الى الفضاء بدلا عن سياسة التعايش السلمي ولكيما تلغي بها من الازهان مزايا فترة الانفراج الدولي التي سبقتها .

وبذلك اصبحت التكنولوجيا المتطورة وفي مقدمتها التكنولوجيا العسكرية عاملا اساسيا كبير النفوذ في صنع ليس فقط القرارات الاقتصادية والتجارية والضرائبية انما ايضا وبالدرجة الاولى القرارات السياسية في الولايات المتحدة . ومن هنا شاع مفهوم "التكنولوجيا السياسية" في العلاقات الدولية

استخداما تنافسيا غير مبرمج وعشوائيا اسهم في المرحلة التالية في الانتقال المضاد من الانتعاش الاقتصادى الى الركود الاقتصادى مقربا اجل دورة الازمة الاقتصادية الراهنة مما اثر بدوره تأثيرا ملحوظا في استفحال شتى مظاهر هذه الازمة داخليا وخارجيا . وهكذا تبدو العلاقة بين التكنولوجيا والاقتصاد الرأسمالي كالعلاقة بين تناول الكحول ونشاط الدورة الدموية . فالكأس الاول من الكحول ينشط الدورة الدموية وينعشها في حين تفعل العكس الكؤوس التالية .

ان فترة الركود الاقتصادى التي برزت فيها عيوب سوء استخدام التكنولوجيا عكست نفسها بشدة على القوى المنتجة وعلى حياة مجتمع الاستهلاك الواسع حيث استفحلت مظاهر الازمة كالبطالة والتضخم وارتفاع الاسعار وتقليص البرامج الاجتماعية والثقافية وتجميد الاجور وغلق المصانع وانخفاض القوة الشرائية للسكان . والى جانب هذا تضخمت فوضى الانتاج واشتدت حدة المنافسة الاقتصادية بين المؤسسات الصناعية مع النمو المتزايد لدور الشركات متعددة الجنسية التي لها القدرة اكثر من غيرها على امتلاك واستخدام التكنولوجيا المتطورة والمتاجرة بها ، اى انها اصبحت تسيطر بشكل حاسم على التكنولوجيا نفسها . وبهذه السيطرة تكون نوع من الفاصل التكنولوجي في الاقتصاد الرأسمالي بين الشركات السمينه هذه والاخرى النحيلة .

واستمر نمو هذا الصراع الاقتصادى - التكنولوجي الذى اندمج مع قيام ظاهرة سباق التسلح بالانتاج العسكرى وتبلور قلة مسيطرة من المؤسسات الاقتصادية العملاقة المسماة بـ "المجمعات الصناعية العسكرية"

تكنولوجيا ملائمة ورخيصة الثمن ونظيفة (٢) وخالية من الشروط السياسية المخلة بالسيادة الوطنية. الا ان ما هو شائع في النقل التكنولوجي من البلدان الرأسمالية المتطورة الى البلدان النامية هو ذلك النقل المضّر الذي لا يساعد على النمو الاقتصادي وتحسين الهياكل الصناعية والزراعية ولا يتماثل مع او يرفع من مستوى تطور القوى المنتجة والكادرات الصناعية وهو نقل يتنافى بالتالي مع اية طموحات نحو تنمية مستقلة لتعزيز الاستقلال الاقتصادي - الاجتماعي وهو غالبا ما يؤدي الى انواع من التثمينات المعاكسة للتنمية الانفجارية وتنمية الشركات متعددة الجنسية والقطاع الخاص المحلي والاجنبي الى جانب هجرة الادمنه او النقل المعاكس للتكنولوجيا واستنزاف العملة الصعبة وزيادة المديونية الاجنبية وتخفيف عبء الازمة الاقتصادية في البلدان الرأسمالية على حساب افقار البلدان النامية .

وهكذا يؤدي هذا النقل المضّر للتكنولوجيا الى ما يعرف بـ " التبعية التكنولوجية " للاستعمار الجديد وهي تعني بحسابات المصدرين الابقاء على التبعية القديمة للاستعمار الكلاسيكي بأساليب جديدة يعتمدها الاستعمار الجديد بعضا التكنولوجيا لخلق هوة تكنولوجية او تخلف وافضل تكنولوجي متسع بين البلدان المصدرة والمستوردة. ولهذا السبب يضيف اليوم بعض المحللين التخلف التكنولوجي او التبعية التكنولوجية الى الافات الاجتماعية الكلاسيكية كال فقر والمرض والجهل كمقياس للهوة المتسعة بين البلدان النامية والبلدان المتطورة .
وف عدد غير قليل من البلدان النامية لا

سواء بين الشرق والغرب او بين البلدان الرأسمالية والنامية ولم ينج من هذا المفهوم حتى حلقاء واشنطن الاوروبيون .

ضحايا " التكنولوجيا السياسية "

ان المنطلق من مفهوم " التكنولوجيا السياسية " هو تحديد نقل التكنولوجيا بأهداف سياسية لصالح المصدر. لقد ضاعف العمل بهذا المفهوم الوطاة على ضحايا الامبريالية الدولية كالبلدان النامية وهبوط مستوى التجارة بين الشرق والغرب والانفراج الدولي واطالة امد مظاهر الازمة الاقتصادية وتدني مستوى التعاون الاقتصادي - التكنيكي العالمي والركود القائم ان لم يكن التداعي في اقامة نظام اقتصادي عالمي جديد واتساع الهوة بين البلدان النامية والمتطورة وما ينج من تأثير هذه العواقب على قضايا السلم والامن الاجتماعي .

ففي العالم الثالث نهض مفهوم " التكنولوجيا السياسية " مع مرحلة الاستعمار الجديد لمناجزة الاستقلال الاقتصادي للدولة المستقلة واعاقه تقدم الثورة الوطنية - الديمقراطية وتنفيذ مهماتها وللحيلولة دون اقامة نظام اقتصادي عالمي جديد .

لقد اخفقت جميع الجهود الدولية للامم المتحدة ومنظماتها المعنية لتحقيق نظام لسلوك دولي ديمقراطي وملزم لنقل التكنولوجيا . ففي مجرى المفاوضات بين المجموعات الدولية لاقامة نظام اقتصادي عالمي جديد طالبت مجموعة ال ٧٧ للبلدان النامية وبموازاة من مجموعة البلدان الاشتراكية بنقل تكنولوجيا يبيع لها اقتناء



تقدم الخدمات للبناء العسكري وللإستراتيجية العسكرية الدولية للولايات المتحدة. وهكذا أصبحت التكنولوجيا العسكرية المتطورة أداة سياسية للتبعية والاضعاف ضمن سياسة خلق بؤر التوتر الدولي في مذهب مناطق امن الولايات المتحدة الأمريكية .

بيد ان المفهوم الأمريكي للتكنولوجيا السياسية لم يقتصر على محاربة البلدان النامية انما حاولت الادارة الأمريكية وبلدان حلف الناتو اشهار سلاح التكنولوجيا السياسية بوجه الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الاخرى اشهارا مقترنا بواهمة " التفوق التكنولوجي". ولقد ثبت تاريخيا بأنها محاولات ليست فقط غير مثمرة، بل انها قلصت الى حد غير قليل فرص التعاون وتطوير العلاقات بين الشرق والغرب ناهيك عن حرمان الاقتصاد الدولي من ثمار التعاون والتبادل التكنولوجي بين اعظم دولتين في العالم تملكان قدرات تكنولوجية وصناعية واقتصادية هائلة. ويرجع سبب فشل الولايات المتحدة في استخدام لعبة التكنولوجيا السياسية ضد الاتحاد السوفيتي في الميدانين الاقتصادي والعسكري الى غياب الهوية التكنولوجية او الفاصل التكنولوجي بينهما بالرغم من وجود بعض العوامل التاريخية لصالح الولايات المتحدة .

ومن بين هذه العوامل هو ان التطور الصناعي والتقدم العلمي - التكنيكي في الولايات المتحدة سبق تاريخيا مثلهما في الاتحاد السوفيتي بسنوات عديدة كما ان الولايات المتحدة استطاعت خلال اكثر من عقد من الزمن منذ الحرب العالمية الثانية ان تحرز تقدما ملحوظا في منجزات الثورة

يميز قادتها، بوعي او بدون وعي، بين شراء التكنولوجيا والنقل التكنولوجي الصحيح، المستند الى تخطيط وطني شامل وبرمجة تكنولوجية واقعية. فاقامة المشاريع الصناعية على نمط تسليم المفتاح وتوريد الاجهزة والمعدات التكنولوجية في صناديق مغلقة يجرى تكديسها في المخازن او في العراء دون توفير الشروط والظروف الضرورية لاستخدامها وتشغيلها بشكل يتلاءم مع البيئة وصحة السكان والمستوى التكنيكي للقوى المنتجة وافاق تطورها اللاحق يؤلف عبئا على الميزانية والاقتصاد الوطني ويحرم الاقتصاد الوطني من ايجاد حلقة الصلة التكاملية بينها وبين الهياكل الاقتصادية الاخرى في الصناعة والزراعة. كما ان اى تفكير بنقل تكنولوجيا عقلائي واقتصادى مثير لا يمكن ان يكون معزولا عن تحسين وتطوير القاعدة الصناعية للاقتصاد الوطني وبشكل خاص الصناعات التحويلية وان يكون هذا النقل ضمن برنامج تقوية القطاع العام في الاقتصاد الوطني وتحسين مراكز "البحوث والتطوير" وأعمال الصيانة وتدريب الكوادر الفنية والادارية و... الخ .

ويجدر بالذكر ان وطأة التبعية التكنولوجية للاستعمار الجديد قد تضاعفت مع ظاهرة ادخال العالم الثالث الى حظيرة سياسات سباق التسلح الدولي والعسكرة بمختلف ذرائعها كما تبرز توريدات الاسلحة المتطورة وخبرائها وبرامج المساعدات العسكرية الخارجية الى مناطق العالم الثالث الساخنة. ففي السنوات الاخيرة احتلت المصادرات العسكرية الأمريكية مركز الصدارة قياسا الى المعونات الاقتصادية للبلدان النامية التي

وكرد فعل على هذا التهديد التكنولوجي الأمريكي، استطاع الاتحاد السوفيتي، كما هو معروف، ان يكسر في عام ١٩٤٩ الاحتكار النووي القسري الأمريكي وان يلحق فيما بعد بالولايات المتحدة في ميدان الصناعة العسكرية ذات التكنولوجيا المتطورة وأن يقابل الولايات المتحدة في امتلاك الاجيال الجديدة لاسلحة الدمار الجماعي كجبل الاسلحة الذرية والاسلحة النووية الحرارية (القنبلة الهيدروجينية) كما ليس بوسع الولايات المتحدة بعد احتكار الجيل الثالث من اسلحة الدمار الجماعي. اي جيل الاسلحة الاشعاعية (أشعة لايزر) الاكثر حداثة من سابقه وهو الجيل الذي سيستخدم في برنامج عسكرة الفضاء.

ولم تكن ردود الفعل السوفيتية عبارات فارغة انما هي ردود فعل تتم عن تكافؤ تكنولوجيا في تحديث وصناعة اصناف من الاسلحة الحديثة الجديدة المتطورة كالتي اعتمدتها الولايات المتحدة في استحداث دورات تصاعدية جديدة في سباق التسلح الدولي. وهنالك امثلة غير قليلة في هذا الشأن :

ففي عام ١٩٤٩ لحق الاتحاد السوفيتي، كما ذكرنا آنفاً، بالولايات المتحدة في صنع القنبلة الذرية، وفي اواخر الخمسينات صنع الاتحاد السوفيتي القاذفات الاستراتيجية عابرة القارات رداً على القاذفات المماثلة التي انتجتها الولايات المتحدة في اواسط الخمسينات، وفي اواخر الخمسينات ايضا انزل الاتحاد السوفيتي غواصاته الذرية رداً على

العلمية التكنولوجية وهي البلد الذي لم تخترق حدوده قنابل الغزاة الفاشست وكان بعيدا على الضد من الاتحاد السوفيتي وأوروبا خلال الاحتلال النازي والدمار الاقتصادي، هذا عدا عن الخبرة المستوردة التي حصلت عليها الولايات المتحدة سيما في حقل التكنولوجيا العسكرية على يد العلماء الالمان الذين هاجروا اليها من المانيا النازية كالخبرة التي نقلوها من بحوث صنع القنبلة الذرية والصواريخ الحديثة وعسكرة الفضاء.

لكن، وعلى الرغم من الافضية التاريخية لهذه العوامل في صالح الولايات المتحدة، فان الاتحاد السوفيتي لم يقف منذ نهاية الحرب العالمية الثانية مكتوف اليدين ازاء التطور التكنولوجي في الولايات المتحدة سيما منذ استخدام الاخيرة للقنبلة الذرية في هيروشيما وناغازاكي وما اعقب ذلك من شؤءون

الحرب الباردة كقيام منظمة حلف الناتو العسكرية والمقاطعة الاقتصادية - التكنولوجية التي تزعمها الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الاخرى.

وكانت هذه المقاطعة قد تجلت في وضع قوائم ما يسمى بـ "المواد الاستراتيجية المحظور نقلها الى الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الاخرى". وكان يقصد من هذا الحظر الذي يشمل منتجات تكنولوجية بوجه خاص، منع تطور الاتحاد السوفيتي كدولة عظمى صناعيا وعسكريا وبأمل اقامة هوة تكنولوجية في الميدان العسكري وغيره

بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي لاستخدامها كعامل سياسي واداة ابتزاز للضغط على الاتحاد السوفيتي وحلفائه والتدخل في شؤءونهما الداخلية.



ضاربا ولا دفاعا مضادا للصواريخ على اراضي البلاد حيث ان الاتحاد السوفييتي ملتزم بصرامة بأحكام معاهدة ١٩٧٢ (٣) ذات الاجل غير المحدود .

ان الرد السوفييتي على عسكرة الفضاء والذي يستهدف المحافظة على التوازن العسكري المتساوي والمتكافئ والذي لا يسمح بقيام ضربة نووية أولى ضد الاتحاد السوفييتي بدون عقاب جوابي هو رد يذكرنا بالاجراءات السوفييتية الجوابية في اواخر عام ١٩٨٣ على نشر الصواريخ الامريكية الجديدة في اراضي بلدان اوروبا الغربية (المانيا الاتحادية وبريطانيا واطاليا) وهو نشر لاسلحة الصّربة النووية الاولى الذي كان يستهدف الاخلال بالتوازن العسكري القائم آنذاك لصالح الولايات المتحدة وحلف الناتو .

وهنا يبرز سؤال : هل ان لحاق الاتحاد السوفييتي بالولايات المتحدة في صنع الاسلحة المماثلة واتخاذ تدابير جوابية في ميدان سباق التسلح يعني تخلفا في تكنولوجياه العسكرية بالنسبة الى الولايات المتحدة؟ الجواب : كلا. وهذا يرجع الى سياسة السلام والتعايش السلمي للاتحاد السوفييتي ووقوفه الى جانب نزع السلاح وكبح جماح سباق التسلح ورفضه للمفهوم الامريكي القائل بأن " الذروة في التسلح تؤدى الى نزع السلاح " . وفي هذا وغيره تفسير آخر للسياسة الدفاعية الفعالة للاتحاد السوفييتي ازاء السياسة الهجومية الامريكية .

واذا كان هذا الجواب لا يقدم القناعة الكافية فمن الممكن دعمه بمحاججات اخرى هي ايضا تاريخية ولكن في ميدان الصناعة السلمية . فلللاتحاد السوفييتي اسقية على

القواصات المماثلة التي انزلتها الولايات المتحدة الى عرض البحار في اواسط الخمسينات . وردا على غواصات " اوهيو " Ohio الامريكية ، وهي احد الغواصات

الحاملة للصواريخ " ترايدنت ٢ " Trident 2

، صنع الاتحاد السوفييتي غواصات مماثلة من طراز " تايفون " Typhon " وفي الاونة الاخيرة اجرى الاتحاد السوفييتي التجارب على صواريخ " كروز " البعيدة المدى ذات الارتكازات المتعددة وهي احدث الصواريخ في الترسانات الصاروخية النووية الامريكية . وحين اعلن الرئيس ريفان في عام ١٩٨٣ عن برنامج " حرب الكواكب " او ما يسمى بـ " المبادرة الدفاعية الاستراتيجية " SDI " رد الاتحاد السوفييتي بأنه سيتخذ الاجراءات اللازمة للمحافظة على التوازن العسكري بينه وبين الولايات المتحدة وبالتالي بين حلفي وارسو والناتو في حالة قيام الولايات المتحدة بعسكرة الفضاء . وفي هذا الصدد قال وزير الدفاع السوفييتي المارشال " سوكولوف " في جوابه على اسئلة وكالة تاس : " اذا ما باشرت الولايات المتحدة في عسكرة الفضاء ، وبالتالي

تقويض التوازن العسكري الاستراتيجي القائم ، فان الاتحاد السوفييتي لن يجد بديلا سوى اتخاذ تدابير جوابية لاعادة التوازن " . وردا على سؤال الوكالة حول ابحاث الاتحاد السوفييتي في المجال الفضائي قال المارشال سوكولوف : " نحن نقوم بأبحاث علمية بما في ذلك على الصعيد العسكري ولكنها ابحاث لا تستهدف صنع سلاح فضائي ضارب وانما هي تتعلق بتطوير المنظومات الفضائي للانذار المبكر والاستطلاع والاتصالات والملاحة " . وأضاف قائلا : " نحن لانصنع سلاحا فضائيا

الولايات المتحدة في استخدام الطاقة النووية في النقل البحري التجاري وله الاسبقية عليها في الغزو السلمي للفضاء كاطلاقه اول قمر اصطناعي في عام ١٩٥٧ وان يورى كاكارين هو اول انسان في العالم يحلق في الفضاء ، وان الاتحاد السوفييتي هو اول من صنع محطات الدفئة النووية ومحطات الكهروذرية . وكل هذه وغيرها نماذج تحكي ارقى انواع التكنيك والتكنولوجيا المعقدة ، وبديهي ان نقل التكنيك من المجال السلمي الى المكانية العسكرية ليس هو بالامر السر الصعب ان اقتضت الضرورة والسياسة .

ومع ذلك لا يمكن اخذ الامور بصورتها المبسطة ولا يمكن التعميم بأن الاتحاد السوفييتي يبز الولايات المتحدة في التقدم العلمي والتكنولوجي مثلما لا يمكن القول ان الولايات المتحدة تبز الاتحاد السوفييتي في هذا المجال . فالقاعدة المعترف بها بالنسبة الى البلدان الكبيرة الغنية والمتطورة تكنيكا هي ان ليس من بلد واحد بامكانه ان يسبق الاخرين في كل المجالات وفي آن واحد . اما اذا كان هنالك وفي وقت ما ولاسباب مآأخر في استخدام التكنولوجيا في هذا المجال او ذاك وفي هذا البلد او ذاك فهذا لا يمكن تفسيره بالتخلف التكنولوجي او غياب القدرة التكنولوجية انما هو يفسر بالتأخر في استخدام القدرة التكنولوجية الفعلية والكامنة في ظرف زمني معين . وهذا ينطبق على الاتحاد السوفييتي مثلما هو ينطبق على الولايات المتحدة واليابان وغيرها من البلدان المتطورة صناعيا وتكتيكا .

ومع ذلك فان هذا المحاججات قد لا تقنع اولئك الذين ينظرون الى الامور

بالمقاييس المبسطة واحادية الجانب ويزنون القدرة التكنولوجية دوما وفي كل ظرف بالمقارنة بالمنتجات التكنولوجية من نمط الاقتصاد الاستهلاكي في السوق الاقتصادية . ففي الاتحاد السوفييتي مثلا تجرى في السنوات الاخيرة على مستوى الدولة والمنظمات الاقتصادية معالجة ضعف استخدام قدراته التكنيكية في مجال تحسين نوعية بضائع الاستهلاك الواسع . غير ان هذا لا يعني تعميم التخلف التكنولوجي على الاتحاد السوفييتي بالنسبة الى الولايات المتحدة وغيرها ، كما ان مظاهر الازمة الاقتصادية في الولايات المتحدة وغيرها من البلدان الرأسمالية المتطورة لا يمكن ان تفسر بالتخلف التكنولوجي بقدر ما يفسر جانب منها بسوء استخدام التقدم التكنولوجي . وهنالك ايضا مسألة الضرورة والغاية . فلولايات المتحدة مثلا المكوك الفضائي الذي ليس لدى الاتحاد السوفييتي مثله ، الا ان هذا لا يعني ان صنع المكوك الفضائي بعيد عن الاتحاد السوفييتي ، انما يعني ان الاخير لا يرى ضرورة له في الوقت الراهن لانه باهظ الكلفة جدا في حين ان الصواريخ حاملات المحطات والشن الفضائية التي هي اقل كلفة من المكوك بامكانها ان تؤدى مهمات المكوك نفسها كوضع الاقمار الاصطناعية في الفضاء مثلا . وعلى هذا القياس ايضا لا يرى الاتحاد السوفييتي مجازاة الولايات المتحدة في صنع حاملات الطائرات النووية الضخمة لرفع قدرة البحرية الامريكية انما هو يرى ان الانتشار الاوسع لغواصاته الذرية يكفل قدرته الدفاعية البحرية في موازاة قدرة البحرية الامريكية . وقد لا يرى الاتحاد السوفييتي ايضا ضرورة



عسكرة الفضاء. ان سوء الاستخدام هذا المسخر للاغراض العسكرية والسياسية معا، اي، لاغراض سياسة القوة اوقع قادة الولايات المتحدة في واهمة التفوق التكنولوجي على الآخرين متخيلين بأن ما في امكانهم هو خارج امكانات غيرهم. وبهذه الواهمة ايضا حلت مبادئ القوة محل مبادئ الدبلوماسية وحل التهديد ب " الاوراق الرابحة" محل التفاهم المشترك حول موائد المفاوضات الاستراتيجية الدولية .

غير ان ادارة ريفان لها النصيب الاكبر من الاثار المترتبة عن واهمة التفوق التكنولوجي . فبهذه الواهمة تصاعدت حمى سباق التسلح وسايكولوجية الحرب ووضعت القنابل الموقوتة على فترة السبعينات للانفراج الدولي وحلت سياسة المجابهة محل سياسة التعايش السلمي ووضعت الادارة الامريكية العالم امام مذهب ومفاهيم عسكرية ميكافيلية حمقاء كمذهب " مناطق الامن الامريكي" ومفهوم " القوة" الى طريق السلام " و الذروة في التسلح Super armament طريق الى نزع السلاح " و " في الحياة اشياء اثنى من السلام " ونسجت اساطير حول " التفوق العسكري السوفييتي " و " التهديد السوفييتي " ولعلميات غسل الادمغة تستخدم هذه المفاهيم والاساطير لتصوير الاتحاد السوفييتي بأنه " البعع " لامن الولايات المتحدة وعالمها الحر ناهيك عن استخدامها لمحاولة الفوز بالتفوق العسكري والتهيئة لحرب جديدة .

فعلى هذه الارضية مثلاً، اختلق وزير الدفاع الامريكي كاسبر واينبرغر ثلاثة اهداف امنية للولايات المتحدة في بيانه امام لجنة مجلس الشيوخ للخدمات العسكرية في

لصنع " الدرع الفضائي " Space Shield الذي تنوى الولايات المتحدة اقامته في خطة " حرب الكواكب " بل يكفي للتغلب عليه واختراقه بنشر المزيد من الاقمار الاصطناعية والصواريخ الاستراتيجية اواية اجراءات جوابية اخرى يراها كفيلا للمحافظة على التوازن العسكرية على الارض وفي الفضاء .

ان هذا النمط من التعويض والمفاضلة في الميدان العسكري لا يعني مرة اخرى وجود تخلف او هوة تكنولوجية بين الدولتين العظيمين . . الا ان كل هذا وغيره لا يقنع ابدا اصحاب الروءوس الحارة في البيت الابيض والبنتاغون واقطاب المجمعات الصناعية - العسكرية الذين تتملكهم نزعة الشوفيينية العسكرية وواهمة التفوق التكنولوجي .

واهمة التفوق التكنولوجي :-

ان النزعة الشوفيينية العسكرية وسياسة الهيمنة الدولية، ساقتا الامبريالية الامريكية نحو طريق النهج العسكري وحل المشاكل الدولية بوسائل القوة وفي مقدمتها مشكلة التناقضات التاريخية بين الرأسمالية والاشتراكية . ولهذا الغرض بالذات راهنت الامبريالية الامريكية منذ الحرب العالمية الثانية على تسخير منجزات الثورة العلمية - التكنولوجية للاغراض العسكرية وتوظيف العلم والعلماء والاكتشافات والاختراعات العلمية وروءوس الاموال كعناصر للخدمات الاستراتيجية العسكرية. وهذا ما حصل منذ استخدام الطاقة الذرية في صنع الاسلحة (قنبلة هيروشيما) والى استخدام الطاقة الاشعاعية (اشعة ليزر) Laser Beam في برنامج



١٩٨٣/٢/١ وهي : ردع هجوم سوفيتي على الولايات المتحدة وحلفائها وايقاف التوسع العسكري السوفيتي وايقاف البناء العسكري السوفيتي. واعتبر الوزير في بيانه ذلك بأن التوصل الى هذه الاهداف سيتم عن طريق "منع تدفق المواد الاستراتيجية والتكنولوجيا العسكرية الى الاتحاد السوفيتي" ١٠.

غير ان في الولايات المتحدة نفسها هنالك من هم اعقل من اصحاب هذه الاوهام فالسناور الامريكي " ادوارد كندى " يقول : علينا تخليص دبلوماسيتنا من الاوهام الخطرة بأنه كلما زادت كمية القوة المتفجرة لدينا حصلنا على افضل ورقة رابحة في المفاوضات وعلينا ان نرفض الرأى السخيف بأن عدد القنابل النووية لدينا سيقبل غدا اذا ما صنعنا اليوم المزيد من هذه القنابل ". ولا شك بأن السناور كندى يرد في قوله هذا على مفهوم ان الذروة في التسلح او ما فوق التسلح يوءدى الى نزع السلاح وعلى مفهوم آخر هو ان عسكرة الفضاء ستجعل من الاسلحة النووية على الارض اسلحة بالية وغير ضرورية .

اما الاتحاد السوفيتي فقد اثبت بطلان واهمة التفوق التكنولوجي سواء في الميدان العسكرى او في ميدان العلاقات الاقتصادية وفي سياسة " الاوراق الاربعة " (٤) في محادثات جنيف الحالية والسابقة. فالاتحاد السوفيتي حافظ ويحافظ على التوازن العسكرى الدولى حتى وان صعدت الولايات المتحدة وخلقت دورات جديدة في سياق التسلح العالمى كنصب صواريخ الضربة النووية الاولى في اراضي اوربوا الغربية او في حالة عسكرة الفضاء. ولم تكن الاتحاد السوفيتي كذلك تهديدات الادارة الامريكية بفرض حظر على

انواع التكنولوجيا عن بلدان وشركات اوربوية غربية لمشروع مد خطوط الغاز الطبيعى من سيبيريا الى اوربوا الغربية حيث كان الاتحاد السوفيتي قد اعلن ان بإمكانه التعويض عن المتريات الغربية لهذا المشروع بانتاج مثل لها انتاجا سوفيتيا . وما كان من الادارة الامريكية سوى التراجع عن تهديداتها التي قوبلت ايضا بسخط واسع من اوساط رسمية وتجارية في بلدان اوربوا الغربية .

ان اصحاب نزعة الشوفينية العسكرية واهمة التفوق التكنولوجي لم يظهروا على سطح التاريخ لاول مرة في الولايات المتحدة بل سبقهم الهتلريون في المانيا النازية. فعندما شن هتلر حربه الخاطفة على الاتحاد السوفيتي بعد عدد من الانتصارات التي سجلتها العسكرية النازية في اوربوا تملكه الزهو بواهمة التفوق العسكرى التكنولوجي بالنسبة الى الاتحاد السوفيتي. غير ان الاتحاد السوفيتي استطاع وحتى من خلال اكبر معاناة في تاريخه ان يضاعف قدراته الصناعية العسكرية والاقتصادية ويطور تكنولوجيا سلحته وقواته المسلحة حتى وصل في نهاية عام ١٩٤٢ الى مرحلة تحييد التفوق العسكرى الالماني آنذاك ومن ثم التفوق عليه في المرحلة التالية والاخيرة من الحرب وحتى احراز النصر على المانيا الفاشية. واذا كان في الغرب من يرجع التفوق العسكرى السوفيتي الى المساعدات العسكرية من البلدان الحليفة فان واقع الامر هو ان نسبة تلك المساعدات لم تتجاوز ال ٤ بالمائة من حصيله الانتاج العسكرى السوفيتي خلال الحرب الوطنية الكبرى .

واذا كانت تلك الحرب بالاسلحة

الغضائي" الذي هو هدف هذه الابحاث العسكرية ، كما سيعزز اشتراكها اكثر فاكثر مواقع الحكومات الحالية ان هي قبلت دعوة المشاركة في الابحاث .

اما الادعاء الاخر بأن تنفيذ برنامج حرب الكواكب سيرجع بفوائد اقتصادية كبرى وتقدم تكنولوجيا على اوسع مدى في الولايات المتحدة فهو ادعاء لا يمكن ان يصدقه الا

الذين لا يدركون ان الانتاج العسكى والتكنولوجيا العسكرية هي بمثابة العد العكسي للنمو الاقتصادي والتقدم الاجتماعي وانه كلما ضعفت ميادين الابحاث والتطوير والانتاج العسكرية زاد الخناق على تقدم واستخدام منجزات الثورة العلمية -التكنولوجية في ميادين العمل السلمي وفي تطوير الاقتصاد الدولي والتجارة العالمية وضعت امكانيات التعايش السلمي الذي يؤلف الاقتصاد الانتاجي قاعدته الاساسية .

وفي الولايات المتحدة نفسها التي تعاني اليوم هبوطا في النمو الاقتصادي وعجزا ماليا وصل الى اكثر من ٢٠٠ مليار دولار موزعة على ميزاني المدفوعات والتجارة الخارجية فكيف سيؤول الامر بالاقتصاد الامريكي ان ضعف الاتفاق العسكى السنوى الحالي من ٣٠٠ مليار دولار الى تريليون دولار بسبب اضافة نفقات برنامج حرب الكواكب . هذا في حين يقدر الخبراء بأنه في حالة موافقة الولايات المتحدة لتجميد الترسانات النووية ستوفر هذه الموافقة لوحدها على الخزنة الأمريكية مقدار ٩٠ مليار دولار خلال السنوات الخمس المقبلة . وهذا ما ينطبق ايضا على أوروبا الغربية المهددة بمزاعم التخلف التكنولوجي . افلا نضجت التربة اذن للوقوف بوجه اكثر

التقليدية قد كشفت قدرة النظام الاشتراكي على اطلاق طاقاته التكنولوجية الكامنة اسوة بطاقات اخرى ؛ فان ما يحفز اليوم على كشف هذه الطاقات اضعاها هو طبيعة الحرب النووية المهددة لامنه والسلام العالمي ولحق الجنس في الحياة ومن اجل استمرار التعايش السلمي بين الارض والفضاء الكونسي .

ادعاءات مبتسرة :

وليس الاتحاد السوفيتي هو المستهدف الوحيد من واهمة التفوق التكنولوجي الأمريكية انما تعدى الهدف مؤخرًا الى حلفاء واشنطن الغربيين . فمع تزايد ضغوط الادارة الأمريكية على حلفائها الاوروبيين لاشراكهم في ابحاث برنامج " حرب الكواكب " يجرى خداع الاوروبيين هؤلاء بتهديدهم بحالة من التخلف التكنولوجي ان لم يشتركوا في الابحاث الأمريكية لبرنامج عسكرة الفضاء ! وفي الوقت عينه ينبرى في الولايات المتحدة من يحاول اقناع الشعب الأمريكي والمعارضة الأمريكية بالادعاء بأن هذا البرنامج العسكى الطابع سيرجع بفوائد ومزايا كبرى الى الاقتصاد الأمريكي وسيطور الى حدود ابعد التكنولوجيا الأمريكية ! فآين المصادقية في هذه الادعاءات ؟ .

ان المصادقية تكمن في قلب هذه الادعاءات رأسا على عقب . فعدم اشتراك أوروبا الغربية وغيرها في ابحاث " حرب الكواكب " سيوفر لها اموالا طائلة وجهودا عملية وموارد هائلة . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فان اشتراكها سيعرض اكثر فاكثر آمنها الى اخطار متزايدة التي هي اخطار " الدرع

الطريق الصحيح - طريق السلام والتقدم
الاجتماعي والثقة بالنفس .

التحديات خطيرة - الخداع وتشويه الحقائق
- من اجل وضع الانسان والتكنولوجيا على

"عن مجلة النهج

الهوامش :

- (١) لا يعني التكافؤ المساواة التامة بالمقاييس الحسابية ، انما يعني عدم وجود فارق نوعي او فاصل تكنولوجي بين الاطراف المعنية وان ما ينجزه اى طرف لم يعد التكافؤ التكنولوجي احتكارا له وليس سرا على الطرف الاخر بدءا من البحوث والى الانتاج - الكاتب .
- (٢) ان كارثة " بهوبال " Bhopal بالهند هي مثال صارخ على نقل التكنولوجيا غير النظيفة والمضرة بصحة السكان . وهي الكارثة التي نشأت عن تسرب الغاز من المصنع الكيماوى لشركة Union Carbide الامريكية مما ادى الى وفاة حوالي ٢٥٠٠ شخص وآلاف عديدة تعرضوا لحالات وأمراض التسمم بالغاز . والمعروف ان لهذه الشركة مصانع كيماوية ايضا في الولايات المتحدة وبلدان رأسمالية اخرى كبريطانيا الا ان مصعنا في " بهوبال " يفتقد الاجهزة الالكترونية للقياسات الدقيقة للسيطرة على الغازات السامة واحكام عدم تسربها ، كما ان شبيلة المصنع الهنود غير مجهزين بأجهزة وقاية بالاضافة الى ان مكان هذا المصنع قريب من المناطق السكنية .
- (٣) وهي المعاهدة الموقعة عام ١٩٧٢ بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي والتي حرمت بنودها وملاحقها اقامة شبكات او صنع اسلحة مضادة للصواريخ الباليستكية ABM في بلدانها وخارجهما عدا في منطقة او منطقتين محدودتي المساحة كمنطقة العاصمة . وعليه ، فان برنامج حرب الكواكب يصطدم مباشرة بأحكام هذه المعاهدة مثلما يصطدم كذلك بمعاهدتي تحديد الاسلحة الاستراتيجية " SALT " . ولهذا السبب المانع صدرت في حينه تصريحات من البنتاغون حول امكان اعادة النظر (بين التعديل والالغاء) لهذه المعاهدة . وقبل تصريحات البنتاغون هذه ادعى الرئيس ريفان حين اعلن في آذار ١٩٨٣ عن برنامج حرب الكواكب بأنه برنامج للبحوث فقط ولا يتنافى لذلك مع احكام هذه المعاهدة . وهذا هو الخداع بعينه بسبب ان البحوث على الاسلحة العسكرية المتطورة كالاسلحة الفضائية ذات الكلفة العالية جدا ليست هي مجرد متعة وقتية مقصورة على ميدان الابحاث بقدر ما تكون هي الحلقة الاولى الضرورية لانتاج الاسلحة المقصودة وتنفيذ البرنامج .
- (٤) المقصود بسياسة " الاوراق الراحبة " هو التلويح بخطر صنع اصناف وأجيال جديدة من الاسلحة المتطورة كابتزاز سياسي لمحاولة فرض شروط طرف على آخر خلال المفاوضات .

النظرية الماركسيّة في المعرفة



بقلم : محمد المناصرة

الجزء الثالث والاخير

الفصل الخامس

تعاليم النظرية الماركسية في المعرفة عن الحقيقة

سواء أكان هذا الانعكاس خيالاً أم صحيحاً .
إن الحقيقة موضوعية بالأساس لأنها تعكس
ما هو موجود مستقلاً عن الوعي ، والاعتراف
بالحقيقة الموضوعية هو إقرار بأن العالم يمكن
معرفة . ولكن كيف نتوصل إلى الحقيقة
الموضوعية ؟ أشار لينين إلى أن المعارف
الصحيحة " لا تعتمد على كائن إنساني ولا على
الإنسانية " (١٨) وفي هذا الموقف تتعارض
النظرية الماركسية في المعرفة مع الآراء المثالية
الذاتية التي تعتقد بأن الحقيقة الموضوعية
مسألة ذاتية ، تتحدد بوعي الإنسان أو كما
يجتهد بعض أساتذة الجامعات في بلادنا بأن
الحقيقة هي نتاج اتفاق الناس وتوافق آرائهم
وبالتالي فإن كل ما يحظى باتفاق عام فهو
حقيقي .

إن النظرية الماركسية في المعرفة توضح
بواسطة نظريتها إلى عملية الانعكاس الإقرار
بوجود الحقيقة الموضوعية ، ولكن لما كان هذا

إن هدف المعرفة هو الحصول على
الحقيقة ، الحصول على فرضيات وتصورات
تعكس الصفات والعلاقات والجوانب الجوهرية
في الظواهر ، فالمعرفة التي تتفق مع الظواهر
وتعكسها عكساً صحيحاً هي المعرفة الموضوعية .
وعند الحديث عن الحقيقة الموضوعية
ينبغي أن نميز في نشاطنا العرفاني بين ما
يتوقف على العوامل الذاتية ، وما يتوقف على
العوامل الموضوعية في عملية الانعكاس ، خاصة
وإن النظرية الماركسية في المعرفة ، تقوم على
أساس الإقرار بالوجود الموضوعي للظواهر في
العالم المحيط بنا ، ومن جانب آخر انعكاسات
هذا الوجود الموضوعي للظواهر في وعينا

تؤكد على نسبية معارفنا فانها لا تنفي حقيقة ان الواقع الذي نقترب منه بفكرنا، واقع موجود موضوعيا ومستقل عنا، ان وجود هذا الواقع وجود مطلق .

لهذا فان سير المعرفة العلمية وتراكم الحقائق النسبية المتعددة، وتحسن تجربة وخبرة الانسان وتطور الاجهزة المساعدة في عملية المعرفة وارتقاء الممارسة جميعها تساهم في اقترابنا اكثر فاكثرا من الحقيقة المطلقة .

ان النظرية الماركسية في المعرفة تنظر الى ان الحقائق المطلقة تنبع من الحقائق النسبية ، فكل مرحلة من مراحل تطور النشاط العرفاني للناس يراكون فيها عددا لا يحصى من الحقائق النسبية .

والحقيقة النسبية هي لحظة، او مرحلة من الحقيقة الموضوعية المطلقة، فالفرق بينهما، يكمن في ان الحقيقة الموضوعية النسبية، هي بمثابة انعكاس يشوبه النقص، اذ ليس بمقدورها الاحاطة كلية بما هو جوهري وظاهري، بما هو اساسي او عرضي، بما هو الطبيعة الذاتية او الخارجية لظواهر العالم المتعددة، في حين الحقيقة الموضوعية المطلقة هي الحقيقة التي تتضمن المعرفة التامة والاستنتاجات الجوهرية الاساسية وما هو خاص وعام، لظواهر العالم المتعددة .

فالحقيقة النسبية والحقيقة المطلقة هما وجهان للحقيقة الموضوعية .

الفصل السادس

أساليب ومناهج البحث العلمي

أشرنا في الفصول السابقة الى ان هدف المعرفة هو الحصول على الحقيقة، والتعرف

الانعكاس للواقع الموضوعي ليس ثابتا، او نهائيا، والى الابد، وليس مجرد انعكاس بسيط، او كلي، بل هو محاولات لامتناهية من اقتراب الفكر من الموضوع، محاولات متسلسلة لحركة الفكر من الجهل الى العلم، ومن الصيغ والتجريدات غير الصائبة الى الصائبة، فان الانسان لا يستطيع ان يعرف ما يحيط به مرة واحدة بشكل كامل وشامل، ذلك لان الواقع الموضوعي الذي ينعكس في وعينا غير ثابت، انه ينمو ويتغير، لا يظل جامدا، انه في حركة مستمرة وتغير وتطور مستمرين . وبالتالي، فان انعكاسات هذا الواقع هي الاخرى لا تظل جامدة، وثابتة لا تتغير، بل تتحول وتتطور .

ان معارفنا تتحول وتتطور لانها محددة بمستوى تطور العلم وتطور المعارف الاجتماعية وتجربة الانسان العلمية . وان هذا التطور هو ما يدعونا للقول بنسبة الحقيقة الموضوعية، ولكن نسبية معارفنا تنقلص كلما تقدم التطبيق العلمي والاجتماعي، وبالطبع ليس تقلصا نهائيا بحيث تختفي فيه نسبية معارفنا ومن المهم تذكر ان قولنا بان الحقيقة الموضوعية نسبية وتتغير، فان هذا لا يعني نفينا لموضوعيتها، اى استقلالها عن الانسان، ان تغيرها، اى الحقيقة النسبية، هو احد الدلالات الهامة على موضوعيتها، لانها بذلك تنسجم اكثر، وتتسق اكثر مع الواقع الموضوعي المتغير المتطور .

ولكن: هل يعني الاقرار بالحقيقة الموضوعية النسبية عدم وجود الحقيقة الموضوعية المطلقة ؟ ان هذا ما تشير به الاتجاهات النسبية في الفلسفة الرأسمالية، في حين ان النظرية الماركسية في المعرفة وهي

العالم تأتي عن طريق العلوم التجريبية وحدها . فليس بإمكان الفلسفة ان تزيد شيئا عما تقوله العلوم الخاصة كما انها عاجزة عن تقديم تصور شامل للكون " (١٩) ان تعددية الفلسفات البرجوازية وتعدد ميولها انما يعكس عجز البرجوازية عن تقديم فلسفة متكاملة ومترابطة لفهم وتغيير العالم .

— ان النظرية الماركسية في المعرفة تسليح الباحثين بالمبادئ العلمية الاساسية والضرورية للمعرفة العلمية، الضرورية لكل باحث . كمبدأ حزبية الفلسفة، ومادية العالم، ومبدأ وحدة النظرية والتطبيق، ومبدأ الوحدة المادية للعالم، ومبدأ الموضوعية في الاختبار، ومبدأى التطور والارتباط الشاملين، ومبدأ التحليل التاريخي الواقعي، والتي جميعها عبارة عن اجمال كلي للبيدييات الأكثر شمولا التي راكمتها تطور العلوم والممارسة الاجتماعية التاريخية للأجيال، وتخدم الباحثين كمتطلبات اساسية منهجية في تطبيق اساليب ومناهج البحث العلمي . كما ان النظرية الماركسية في المعرفة تزود الباحثين بالمقولات الشمولية لكل علم، التي تعكس لهم القوانين الاساسية التي تحكم الظواهر والموضوعات التي يختبرونها ويفحصونها ويجرون عليها الدراسة بواسطة اساليب البحث هذا بالاضافة الى كون المقولات لا تعكس فقط قوانين تطور الموضوع او الظاهرة المبحوثة وانما تساعد الباحثين اثناء تنفيذ اساليب البحث على تفسير وشرح اوجه وارتباطات الظاهرة المبحوثة في عملية تطورها، انها تفتح افاقا حقيقية للتقدم العلمي والاجتماعي وتنير عملية الواقع ثوريا . . . وفي الجانب الاخر فان مختلف الميول

على خصائص الظواهر وطبيعتها الذاتية والقوانين المتحركة وتحرك هذه الظواهر، ولكن الخصائص والقوانين لا توجد على السطح بحيث يمكن التعرف عليها بسهولة، ان التعرف على هذه الخصائص واكتشاف تلك القوانين يستلزم متطلبات منهجية معينة ومبادئ معينة، ولقد طور الانسان في مسيرة التطور التاريخي للعلم والممارسة عددا غير قليل من اساليب ومناهج البحث العلمي، منها ما هو متخصص او خاص بميدان علمي معين ومنها ماهو عام وشامل لجميع ميادين المعرفة العلمية .

وقبل ان نبدأ بعرض هذه الاساليب ينبغي التذكير بأنه قد يبدو في الظاهر بأنه لا توجد اية تعارضات او فروق في نظرة النظرية الماركسية في المعرفة والفلسفات البرجوازية لاساليب البحث، والمؤسف ان هناك عددا غير قليل من اساتذة الجامعات المحلية يساهمون في طمس هذه الفروق والتعارضات بين النظريتين لمناهج البحث . اما اهم التعارضات فنلخصها هنا بايجاز :

— تستند النظرية الماركسية في المعرفة في ممارسة تطبيق وتنفيذ اساليب البحث الى رؤية فلسفية شاملة، محكمة الترابط، تسليح الباحثين بالقوانين الجوهرية لتطور ليس الطبيعة وحدها، وانما لتطور المجتمع والفكر الانساني، وذلك بخلاف الفلسفات البرجوازية غير المنسجمة المتعددة الميول والمعادية للمنهج الديالكتيكي التي تصر على رؤية الواقع، بنظريات تأملية، او ذاتية، او وحيدة الجانب، ولا تعترف بالاهمية العظيمة للفلسفة في الثورات الاجتماعية، والثورات العلمية، حيث " يزعم الوضعيون الجدد ان معرفتنا عن

١ - الملاحظة :

هي تكوين صورة حية، متكاملة عن خصائص موضوع الدراسة كما هو في الواقع وتكوين صورة متكاملة عن ما يرتبط بموضوع الدراسة وبوئثر فيه، أي هي عملية ادراك هادفة تتطلب أيضا وجود هدف ووسائل لتحقيق هذا الهدف، ونجاح الملاحظة يعتمد الى حد كبير على درجة خبرة الباحث وإلى أي مدى اعد نفسه واية نظرية يستهدى بها في الملاحظة ومتابعته الموضوع وقدرته على تحليل الملاحظات وتصنيفها .

٢ - التجربة :

على العكس من الملاحظة فإن الباحث يتدخل في الظاهرة موضوع البحث تدخلا فعلا ، والتجربة منهج للبحث يستخدم لنفي أو تأكيد فرضيات معينة أو لفحص واختيار ظاهرة معينة في ظروف جديدة قد يقوم الباحث بتوفيرها للحصول على خصائص جديدة في الظاهرة أو الموضوع المبحوث لم تكن مدركة من قبل ، في سياق الظاهرة الطبيعي ، ويجب قبل القيام بالتجريب تحضير المعلومات الكافية والضرورة المتوفرة في الموضوع أو الظاهرة التي تحت التجربة ، ويجب ان يقوم مسبقا بتحديد كيفية اجراء التجربة ، واعتماد فرضيات معينة يرغب في تأكيدها أو نفيها وفي التجربة فإن الباحث يستخدم ليس فقط الوجه الحسي في المعرفة بل مختلف اشكال المعرفة المنطقية .

٣ - المقارنة :

في اثناء تطبيق وتنفيذ عملية التجربة

والاتجاهات والمذاهب الفلسفية البرجوازية ليس فقط لا تعترف بالدور المنهجي للفلسفة المادية المتكاملة بل ولا تعترف بالمبادئ والمقولات العلمية الشمولية في تنفيذها لاساليب البحث وتعاني من انتكاسات وتراجعات تعكس ازمت النظام الرأسمالي القائم على القهر، فلقد وصلت هذه الميول والاتجاهات الفلسفية البرجوازية الى درجة من الانحطاط العلمي والفلسفي كالاتجاه اللاعقلاني المتمثل بمذهب التحليل النفسي الذي تزعمه فرويد . والذي بكل اسف يلقي روجا واسعا في جامعاتنا المحلية، هذا ال "فرويد" الذي اعاد سلوك الانسان في بداية حياته الفكرية" الى بواعث ونزعات عفوية لا عقلانية، تحمل طابعا جنسيا صرفا، اما في المرحلة الثانية فنرى فرويد وتلامذته خصوصا، يحاولون تفسير العلاقات الاجتماعية وتطور المجتمع انطلاقا من غرائز الانسان ونزعاته البيولوجية والنفسية " (٢٠) .

ان العجز عن تقديم متطلبات منهجية للباحثين لا يتوقف على المدرسة الفرويدية وانما هناك ايضا الوضعية الجديدة والاتجاه التجريبي والبراغماتية والوجودية والايمانية الجديدة التي تحاول بعث افكار توما الاكويني او القديس اوغسطين ، وهذه الاخيرة اي الايمانية فان محاولة ترويجها انما يشير بوضوح الى افلاس البرجوازية وعجزها عن مواجهة النظرية الماركسية في المعرفة، وعجزها عن مواجهة متطلبات العصر في الميدان المعرفي والفلسفي عموما .

ولنرى الان اساليب وطرق البحث العلمي



تقوم الخبرة بتعزيز هذا الفرض وإثباته يصبح نظرية علمية ومعرفة صحيحة " (٢١) .

٥ - التشابه والتناظر :

يقوم التشابه على افتراض ان لدينا موضوعا معيناً للبحث يخضع لنفس القوانين التي تتحكم في موضوع آخر قمنا بدراسته سابقاً، ان هذا الافتراض مستمد من مبدأ الارتباط الشامل، ومبدأ الوحدة المادية للعالم، ومبدأ التطور الشامل، والخصائص المشتركة الاساسية للظواهر الموضوعية .

٦ - بناء النموذج :

ان النموذج او " المديل " وسيلة فعالة للمعرفة العلمية، وهو يساعد الباحث عندما لا يخضع موضوع البحث للدراسة المباشرة بسبب حجمه الضخم او ثقله او بعده او بسبب ما يلازمه من درجات الحرارة والضغط المفرطة بالارتفاع والهبوط، والمخاطر التسمية وغيرها مما يضر بصحة الانسان وحياته او لان الدراسة المباشرة يمكن ان تؤدى الى الاخلال بوظائف الموضوع او حتى الى تحطيمه وهلمجرا " (٢٢) فالباحث يضع او يصوغ النموذج وبواسطة التجربة والتطبيق والفحص يبني ويصنع الموضوع او يفهمه .

والى جانب ذلك هناك نماذج مثالية غير مادية، " وهي ابنية عقلية، صور تخطيطات نظرية، تضع في شكل مثالي خصائص وعلاقات موضوع البحث، وتتشكل هذه النماذج بالاستعانة بالرموز، والاشكال والوسائل المادية الاخرى وهي تتميز عن النماذج المادية

فان الباحث قد يقوم بمقارنة خصائص ومظاهر الموضوع المبحوث بموضوع آخر بهدف فرز اوجه الشبه ووجه الاختلاف بينهما للبحث عما هو مشترك او قد يجرى الباحث المقارنة ليس بين موضوعين مبحثين وانما نفس الموضوع ولكن في مرحلتين مختلفتين اى في اطار شروط مختلفة وزمن مختلف وبعد ذلك مقارنة المعطيات والنتائج للتعرف على ما هو متكرر في الظاهرة والموضوع المبحوث وهذا يمكن الباحث من صياغة تعميمات علمية معينة تتعلق بموضوع البحث .

٤ - الفرضيات :

أشرنا سابقا الى ان الافكار تتميز عن التأمل الحي والادراك في انها غير متصلة مباشرة مع الموضوع الذى اثر في حواسنا، اى لا يوجد ارتباط مباشر بين التفكير والواقع، والتفكير يوفر فرص التعرف على الموضوع في حالة غيابها عنه، ولما كانت الذاكرة تختزن معلومات ماضية، فانه على ضوء الافكار الجديدة وما هو مخزون لدى الباحث من معلومات تنشأ لديه افتراضات بوجود اسباب معينة او قوانين معينة او ارتباطات معينة وراء ما هو ملاحظ، فيقوم الباحث بصياغة استنتاجات معينة مستندا على افتراضاته ويختبرها بالملاحظة والتجربة والمقارنة وبالتشابه والتناظر واساليب البحث الاخرى واذا تبين ان الاستنتاج المفترض لم يحدث النتيجة المتوقعة في ظل الشروط الملائمة، فان هذا يثبت خطأ الافتراض، واذا حدث ان تمت ملاحظة كل النتائج المرتقبة، اعتبر الفرض صحيحا من الناحية العلمية، وفيما بعد حين

الفيزيائية للحركة، كما ان ملاحظة ومراقبة العلماء وتجربة الانسان التي اكدت على ان الحركة لا يمكن ان تخلق او تفتى وقابلة للتحويل. قاد الى اكتشاف قانون حفظ وتحول الكتلة.

" وكقاعدة عامة فان المعرفة التي يتم الحصول عليها عن طريق الاستقراء هي احتمالية فقط، واشكالية كذلك لان النتيجة العامة التي يتم الوصول اليها هنا انما هي على اساس التكرار البسيط لخاصية معينة في كل الظواهر موضوع الدراسة ووجود هذه الخاصة في تلك الحالات لا يعني يقينا انها ستوجد بالضرورة في ظواهر اخرى لم تدرس بعد، فقد توجد او لا توجد، هي ستوجد بالضرورة لو كان يحكمها قانون، وقد لا توجد اذا لم تكن مرتبطة بطبيعة الظواهر في طبقة بعينها، وكانت صادرة عن ظروف خارجية، ولا يستطيع الاستقراء على اى حال، ان يحدد ما اذا كانت هذه الخاصة ضرورية ام عارضة، وثمة مناهج اخرى للمعرفة العلمية مطلوبة لتقرير هذا مثل الاستدلال الذي يرتبط بالمستوى النظرى للمعرفة " (٢٤).

ان الاستقراء غير معزول عن الاستدلال ومرتبطة به كارتباط الحسي بالمنطقي، وكلاهما يقدم وجهها معينا من وجود المعرفة، فالاستقراء هو تعميم ملاحظتنا وتجاربنا الحسية المتراكمة التي يصوغها الاستدلال باطار نظرى.

ان الاستدلال شبه باللوب التشابه والتناظر فالاستدلال هو استنتاج مفهوم او فكرة او فرضية من اجراء التشابه والارتباط بين مفاهيم وافكار او فرضيات تمت ملاحظتها من قبل الباحث. ان الاستدلال هو ان نستدل على شيء من شيء آخر فبواسطة الاستدلال

بانها لا تنتج الحالة الفيزيقية وخصائص موضوع البحث بل هي فقط تنسخها او تعكسها في ابنية عقلية ملائمة " (٢٣) ان حياتنا اليومية مليئة بمحاولات بناء النموذج والاستعانة بهذا الاسلوب لتحقيق غايات معينة او امور معينة او مشاريع. فمثلا نحن حين نشرع في بناء عمارة اسكان فان المهندسين قبل ذلك يقومون بوضع مخطط هندسي للعمارة.

٧- الاستقراء والاستدلال:

ان التعرف على الفردى يقودنا للتعرف على الكلي، اى من خلال الفردى نتعرف على جوهر الظاهرة المبحوثة وهو الكلي، لان سمات وخصائص الفردى تتضمن وتشمل ما هو جوهرى، في الموضوع المبحوث. لانه ما من موضوع فردى يوجد مستقلا ومعزولا عن الكلي او عن الاشياء والمواضيع الفردية الاخرى، فإى موضوع، او ظاهرة معينة، لا تنشأ، ولا توجد، ولا تتغير ما لم تكن الظاهرة مرتبطة بظواهر اخرى، فالفردى والكلي يشكلان وحدة متفاعلة والاستقراء هو محاولة التعرف على الكلي من خلال الفردى، اى هو وسيلة للتعرف على ما هو عام من ما هو فردى، وخاص، بملاحظة التكرار والحركة في الفردى. فمراقبة العلماء وملاحظتهم، ان شكلا من الحركة يمر خلال الاخر كالكهربائي في الميكانيكي في الحرارى وبالعكس وملاحظتهم بان كل شكل من اشكال حركة المادة يمكن ان يتحول الى شكل آخر في ظروف معينة، ان هذا وفر السبل للعلماء فيما بعد، لتحديد تعريف مفهوم الطاقة كمقياس عام لحركة المادة، اى مقياس فردى للاشكال



تتحقق منطقياً من عمليات الاستقراء .

٨ - منهج الصعود (الارتقاء) من المجرد الى العيني (المحسوس) .

ان منهج الارتقاء من المجرد الى المحسوس . اسلوب هام في عملية المعرفة ، هام جدا للتعرف على جوهر الظاهرة قيد البحث . ان من المفيد ان نسأل : لماذا يتوجب على الباحث الانتقال من ما هو مجرد الى ما هو محسوس ؟ يجب لينين : " يعلمنا المنطق الديالكتيكي ان ليس ثمة حقيقة مجردة ، فالحقيقة دوما ملموسة " (٢٥) . لان عملية التجريد : تتحقق وتتم بمعزل عن التأثير المباشر للواقع ، بمعزل عن الاشياء والموضوعات المؤثرة على حواسنا ، اي تتحقق بانفعال الفكر عن الواقع ، مع انها مرتبطة مع اعضائنا الحسية المعرضة لتأثيرات الواقع ، مرتبطة لانه لا يوجد شيء في عقلنا الا وبمر عبر الحواس ناقلة التأثير الى عقلنا . هذا بالاضافة الى كون عملية التجريد ليست اكثر من عملية معرفية ارقى ويتلخص دورها في الكشف عن خواص الاشياء وسماتها الرئيسية .

ولكي نتوصل الى الحقيقة الملموسة ، فان عقلنا لا يتوقف عمله عند حدود استقبال ما ينعكس عليه من الواقع المحيط منقولا بواسطة الحواس ، ولا يتوقف عند حدود التعبير عن هذا الانعكاس بالحروف ، او الكلمات ، او بالافكار المجردة ، فليس هدف المعرفة هو التجربة : اننا نتوصل للحقيقة الملموسة بالممارسة العملية مستفيدين ومستنيرين من التجريد : من التعميم المنطقي الفكري المجرد للنفاذ والوصول الى وجود الاشياء

وقوانين حركتها وتطورها ، اي ان الفكر المجرد هنا ، دليلنا المعرفي للتعرف على العيني (المحسوس) اكمل تعرف ، لهذا يتطلب العلم من الباحث الارتقاء من الفكر المجرد الى المحسوس ، فذلك احد السبل المأمونة لامتلاك الحقيقة الموضوعية للظاهرة او الموضوع المدروس .

ويجب الانتباه الى ان هذا الارتقاء عن المجرد الى المحسوس لا يعني بان المنطق ، التجريد هو نقطة البدء في عملية المعرفة ، انما استخدام هذا الاسلوب هو بمثابة تحقيق لهدف المعرفة ، للممارسة ، عودة لها ، للتحقق من فرضيات ومفاهيم واحكام وابنية عقلية في وعينا ، للتوصل الى ما هو جوهري في الموضوعات قيد البحث عودة لها ، لان الباحث لا يمكنه باى حال من الاحوال ممارسة هذا الاسلوب الا عندما يكون قد قام بتجميع معلومات معينة من خواص الموضوع قيد البحث الكلية والظاهرية وتمت دراسته مسبقا الى درجة معينة ، وتوصل الى تجريدات فكرية معينة . ولهذا بالذات فانه من الخطأ الزعم بان عملية المعرفة تبدأ من التجريد المنطقي ، لان المعرفة الحسية سابقة من حيث التطور المعرفي في استخدام اسلوب الارتقاء من المجرد الى المحسوس .

وعلى ضوء المعلومات المتوفرة لدى الباحث عن الموضوع قيد البحث ، وعن جوانبه المتعددة ، وارتباطاته ، يقوم بتحديد وتعيين اكثر هذه الجوانب اهمية ، بعد ان يقوم بتحليل اي بتجزئة الكل المركب الى اجزاء ، عملية تحليل للكل المنعكس في علاقاته مع الاجزاء الاخرى المكونة للكل واكثر اهمية في اثره ، ويخضع هذا الجانب المعين

والعلاقات' (٢٧)، أي أن ماركس كما نرى انطلق في دراسته للنظام، الرأسمالي من الجانب الهام، الجانب الذي انطلق منه تطور الرأسمالية تاريخياً .

أن استخدام هذا الأسلوب هام جداً للباحث لأنه يمكنه من الانطلاق من المجرّد، الانعكاس الاحادي الجانب للظاهرة المبحوثة الى الانعكاس الكامل للظاهرة أو الموضوع بخصائصه الداخلية والظاهرة، أن استخدام هذا الأسلوب يعكس حقيقة وحدة انظرية والتطبيق، ويؤكد على حقيقة الطريق الديالكتيكي لمعرفة الحقيقة الموضوعية من الممارسة للمعرفة الحسية ومن ثم للمعرفة المنطقية فالممارسة من جديد .

٩ - التاريخي والمنطقي :

تؤكد النظرية الماركسية في المعرفة وخبرة الانسان، بأن أي موضوع لا يمكن دراسته وفهمه، الا اذا اخذنا بالاعتبار هذين الاسلوبين المترابطين، الاسلوب التاريخي المنطقي في عملية المعرفة. والتاريخي يعني أن أي ظاهرة يجب أن تبحث في حركتها التاريخية، نشأتها، تطورها، ارتباطاتها واعتمادها على ظروف معينة، وعلى الزمان والمكان، أما المنطقي إنما هو انعكاس للعلاقة التاريخية، انعكاس تغير الظاهرة وتطورها بشكل تجريدي .

أن أهم ما يميز هذين الاسلوبين الى جانب ترابطهما، هو كونهما مكرّان لدراسة وفهم نفس الموضوع والظاهرة في النشأة والتطور، وأن اغفال أي منهما أو فصلهما، يؤدّي الى نتائج خاطئة في التطبيق،

للتقصي ولاساليب البحث، للملاحظة والتجربة، للتحليل التاريخي المنطقي، وتتبع هذا الجانب مستعينا بالمتطلبات المنهجية التي صاغتها النظرية الماركسية في المعرفة أي بالمبادئ الاساسية والمقولات والقوانين، فيكشف ويفسر، الخصائص المميزة للجانب الذي حدده وعينه للبحث عن الجوانب الاخرى أي بواسطة الاستقراء والاستدلال والتشابه والتناظر والتحليل والتركيب وغيرها من الاساليب التي تبيّن على التوصل الى تفسيرات عن خصائص وميزات الجوانب الاخرى المكونة للكل، الواحد تلو الاخر، يتوصل الباحث الى ما هو عيني، محسوس، أكثر شمولية، الى عكس العلاقات الداخلية التي تحكم الموضوع، وكيفية اتحاد الجوانب المتميزة، ينفذ الى جوهر الظاهرة المبحوثة، الى الحقيقة الملموسة .

أن أسلوب منهج الارتقاء من المجرّد الى العيني بالغ الأهمية في دراسة الظواهر الاقتصادية والاجتماعية وفي العلوم الطبيعية، ولقد حلل كارل ماركس النظام الرأسمالي مستخدماً الى جانب الاساليب الاخرى، أسلوب الارتقاء من المجرّد الى العيني حيث بدأ ماركس " دراسته للرأسمالية بخليتها الاولى بالسلعة " (٢٦) التي تمثل احد الجوانب الهامة، الاولى تاريخياً لنشأة النظام الرأسمالي، ودرس تطورها وارتباطاتها بغيرها من الجوانب الاخرى والمكونات الاخرى للنظام الرأسمالي، " وفسر على اساس تطور علاقات السلعة، تكوين النظام الرأسمالي وكافة جوانبه وعلاقاته، واستطاع أن ينتج عقلياً جوهر المجتمع الرأسمالي عن طريق نظام من المفاهيم المجردة تعكس هذه الجوانب



١٠ - أسلوب التحليل والتركيب :

التحليل هو تقطيع الكل الى اجزاء اى تجزئة الظاهرة الى العناصر التي تكونها ، كان نقوم بتقسيم المجتمع الى الوحدات المكونة له ، او مثلا مجموع المؤثرات الخارجية على وعينا الى وحدتها في الاصل . اما التركيب فهو ترتيب العناصر المكونة للكل ، واعادة جميع الوحدات التي تمت تجزئتها وعزلها ودمجها في تسلسل ديناميكي ان عملية التحليل لا تنفصل عن عملية التركيب وهما متداخلتان ومتربطتان ، فلا تركيب بدون تحليل والعكس ايضا ذلك انه في اى ظاهرة ايا كانت لا يوجد عنصر فيها بدون ارتباطات مع غيره ، اى التركيبات ، ولا يمكن ان توجد ارتباطات تركيبات بدون تباينات .

ففيما يتعلق بعملية التفكير مثلا ، فان اعضاء الحواس تقوم بنقل تأثيرات التحريض الخارجي بشكل منفصل ، على شكل خواص فردية ، فيقوم عقلنا بواسطة الادراك بتركيب هذه الخواص الفردية ، فالتحليل هنا هو الانعكاسات الاولى بواسطة اعضاء الحواس . اما التركيب فهو عملية جمع هذه الخواص المنفردة في صورة متكاملة ، ان عملية التفكير تشمل تجزئة وتقسيم موضوعات الوعي الى عناصرها ، وايضا توحيد هذه العناصر مع تلك .

وعلى النقيض من المثالية الجشطالتيّة ، فان النظرية الماركسية في المعرفة ، تؤكد على عدم فصل او انفصال التركيب عن التحليل ، وعندما نمارس التحليل ، فذلك لكي يصير التركيب الكل ، اكثر وضوحا ، ان فصل التركيب عن التحليل ، هو فصل للدراة عن

فتجاهل الاسلوب التاريخي ، تاريخية الظاهرة ، يؤدى للتناقضية والذاتية والممارسة الانتقائية التي لا جدوى منها ، وتجاهل العملية المنطقية يؤدى بالباحث للتجريبية الحسية ، لعدم التمكن من معرفة العالم المحيط . ان " التاريخي سابق على المنطقي والثاني يعكس الاول ، ومن حيث انه كذلك فقد يكون المنطقي متفقا مع التاريخي او لا يكون ، وهو يكون متفقا اذا انتجت العلاقات الداخلية بين الافكار العملية التاريخية الفعلية ، ولا يكون متفقا مع التاريخي حين لا تعكس العلاقات الداخلية بين الافكار تاريخ الموضوع ، حين تبدأ سلسلة الافكار مثلا من الاتجاه المعاكس لتطور الموضوع " (٢٨) .

" واتفاق المنطقي والتاريخي جانب اساسي من المنهج الديالكتيكي في المعرفة ، خاصة منهج الصعود من المجرد الى العيني ، وقد سبق ان لاحظنا حسب منهج الصعود من المجرد الى العيني ، ان الدراسة تبدأ باكتشاف الجانب او العلاقة الاكثر اساسية واهمية ، ثم تتبع التغيرات في هذا الجانب او العلاقة ، متبعة بذلك شرح تكوين وتحويل الجوانب الاخرى من الكل ، وعملية التفكير تنتج الترابطات والعلاقات التي تعكس على نحو من الانحاء ، التكوين الفعلي لجوهر موضوع الدراسة ، ونتيجة لهذا يتفق التطور المنطقي للفكر والتطور التاريخي للموضوع ، صحيح ان هذا الاتفاق يتعلق فقط بالترابطات الضرورية ، على هذا النحو ينتج المنطقي ما هو تاريخي متحرر من المصادفة ، وقد اكد انجلس اهمية اتفاق ما هو منطقي وتاريخي على نحو مجرد ومتناسك نظريا ، انعكاسا صحيح لكنه مصحح وفق قوانين يقدمها المسار الواقعي للتاريخ نفسه " (٢٩) .

وكما رأينا فان تحليل الكل وتجزئته والتعرف على جوانب هذا الكل هو المرحلة الاولى التحليلية في المعرفة ثم بعد ذلك دراسة الارتباطات بين هذه الجوانب التي تكون الكل وبفعل ذلك يتحول التحليل الى تركيب اى تنتقل من المجرى الى المحسوس .

١١ - الطرائق الرياضية ودور

الاجهزة :

من منا لا يستخدم في حياته اليومية مفاهيم مثل (كثير، قليل، مجموعة، كمية، قياسا، نقصان، زيادة ... الخ، ان علوم الرياضيات لديها عدد لا حصر له من التعابير والمفاهيم التي تستخدم في العلوم بما في ذلك الحياة الاجتماعية وليس فقط في مجال الابحاث العلمية المتعلقة بالرياضيات .

ان الرياضيات تساعد الباحث في اقامة التشابهات بين الاشياء او الاستعاضة عن هذه الاشياء بمفاهيم رياضية او رموز معينة ، او يمكن استخدامها اذا رغب الباحث في استخدام اسلوب بناء النموذج الذي تعرضنا له سابقا . وذلك من اجل تسهيل مهمته بالبحث .

ان النظرية الماركسية في المعرفة تولي الطرائق الرياضية اهتماما كبيرا في ميدان الابحاث العلمية او الدراسات الاقتصادية والاجتماعية ولكنها ترفض التطرف والمبالغة في هذا المجال على نمط المدارس الوضعية الجديدة المتطرفة في الغرب من شكاله " ستوارت دود " (٢١) مثلا الذي وصل به الامر الى حد الزعم بأنه قد اقام نظرية سوسيولوجية شاملة وثابتة ودقيقة، ان هذه التلميحات ليس اكثر من احد تجليات افلاس

الواقع الموضوعي . وترفض النظرية الماركسية في المعرفة مزاعم الجشططنية باننا حين نقوم " بتحليل المركب الى عناصره فسوف يتلاشى المركب نفسه " (٣٠) . ويكفي للتدليل على بطلان هذه المزاعم ان نسأل ، لو قمنا بعملية تحليل منطقية للمجتمع الى وحداته التي تكونه، فهل يتلاشى المجتمع ؟ ..

ان " التحليل والتركيب يشكلان وحدة طبيعية ويحدثان في الوقت نفسه، والفعل التحليلي هنا ، تركيب في الوقت نفسه، وعلى سبيل المثال فان استنتاج ظواهر من المجتمع البرجوازي مثل النقود وفائض القيمة وقوة العمل ورأس المال عن طريق تطور علاقات السلعة ليس مجرد تحليل ، لكنه تركيب ايضا ، ليس مجرد تفكيك لموضوع الدراسة الى مظاهر منفصلة، لكنه ايضا انتاج كل نظام العلاقات القائمة بين هذه الظواهر (٣١) .

كذلك ينبغي الاشارة الى ان النظرية الماركسية في المعرفة تعارض التحليل على طريقة التحطيم الميكانيكي للكل الذي يتجاهل ارتباطات الأجزاء بالأجزاء الأخرى المكونة للكل، وتأثيراتها المتبادلة على بعضها . مثلما تعارض ايضا انصار النظرة الى الكل على انه تركيب ميكانيكي جامد .

" ان قدرة الانسان على المعرفة التحليلية التركيبية ، قد ظهرت على اساس الممارسة، ففي سياق العمل والحياة، واجه الانسان كثيرا من الاشياء والظواهر وجزأها وقسمها عمليا، ثم وحدها وجمعها في مختلف ادوات العمل والاجهزة والمنشآت ومن خلال التمتع في نتائج التحليل والتركيب العمليين، اكتسب الانسان بالتدريج هذه الأساليب، وسائل جبارة للبحث العلمي (٣٢) .

وتجارب الفحص والتحقيق •
انه بفضل تطور العلم وتطور الآلات
والاجهزة اصبح بالامكان غزو الفضاء الكوني
ودراسته ، بعد ان قضى الانسان مئات السنين
وهو ينسج الاساطير والخرافات عن التحليق
وعن الفضاء ، واليوم نجد ان احلام الاجيال
الماضية محققة •
ان الطرائق الرياضية والاجهزة العلمية من
الوسائل الهامة في اغناء معارف الانسان وفي
تحقيق غاياته واشباع حاجاته •

الايديولوجية الرأسمالية في مواجهة العلم
النقدى، المتحرر، الذى تمثله الماركسية
اللينينية ، راية العصر الراهن لجميع
التقدميين في العالم •
كذلك فان الاجهزة العلمية الحديثة لا
غنى عنها في الابحاث العلمية في كل
الميادين : سواء في مجال المراقبة ، اذ اصبح
بالامكان نظرا للتطور الهائل في ميدان
الاجهزة ، الاستعانة بالمجهر ، او اجهزة
التسكوب وغيرها ، كذلك في ميدان التنقيب

الهوامــــــــــــــــش :

- ١٨) أ. ب. شبتولين / النظرية العلمية في الطبيعة والمجتمع والمعرفة ص ٨٠ •
- ١٩) موجز تاريخ الفلسفة - تأليف جماعة من الاساتذة السوفيات - ص ٩٧٦ •
- ٢٠) نفس المصدر - ص ٩٤٧ •
- ٢١) أ. ب. شبتولين - النظرية العلمية في الطبيعة والمجتمع والمعرفة ص ٨٤ •
- ٢٢) افاناسيف - اسس المعارف الفلسفية ص ١٨٦ •
- ٢٣) أ. ب. شبتولين - النظرية العلمية في الطبيعة والمجتمع والمعرفة - ص ٨٧ •
- ٢٤) المصدر السابق - ص ٨٧ •
- ٢٥) روجيد فارودى - النظرية المادية في المعرفة - ص ٣٢٥ •
- ٢٦) موجز تاريخ الفلسفة - تأليف جماعة من الاساتذة السوفيات - ص ٦٤٠ •
- ٢٧) أ. ب. شترلين - النظرية العالمية في الطبيعة والمجتمع والمعرفة ص ٨٨، ٨٩ •
- ٢٨) المصدر السابق - ص ٨٩ •
- ٢٩) المصدر السابق - ص ٨٩ •
- ٣٠) أحمد عزت راجح - اصول علم النفس ص ٦٥ •
- ٣١) أ. ب. شبتولين - النظرية العلمية في الطبيعة والمجتمع والمعرفة - ص ٩٠، ٩١ •
- ٣٢) افاناسيف - اسس المعارف الفلسفية ص ١٨٠ •
- ٣٣) نيقولا تيماشيف - نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها - طالع الصفحات ٩٣، ٩٤، ٩٥ •

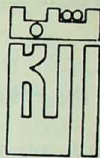
المراجــــــــــــــــع :

- ١) أ. ب. شبتولين ، النظرية العلمية في الطبيعة والمجتمع والمعرفة ، دار الفارابي بيروت

، الطبعة الاولى ١٩٨١ م .

- (٢) احمد عزت راجح : اصول علم النفس ، المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر
بالاسكندرية ، الطبعة التاسعة ١٩٧٨ م .
- (٣) افاناسييف : اسس المعارف الفلسفية ، دار التقدم - موسكو ١٩٧٩ م .
- (٤) روجيه غارودى : النظرية المادية في المعرفة : تعريب ابراهيم قريط ، دار دمشق
للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية (بدون تاريخ) .
- (٥) المادية الديالكتيكية : تأليف جماعة من الاساتذة السوفييت تعريب جاموس السباعي ،
مرعي ، دار الجماهير - دمشق - الطبعة الثالثة ١٩٧٣ م .
- (٦) موجز تاريخ الفلسفة : جماعة من الاساتذة السوفييت ، تعريب توفيق سلام ، دار القارابي
- بيروت (بدون تاريخ) .
- (٧) النظرية الماركسية اللينينية في المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية دار التقدم
موسكو ١٩٧٥ م .
- (٨) نيقولا شماشيف ، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها ، دار المعارف بمصر
(الطبعة الرابعة ١٩٧٧ م .

دراسة في المكتبات



بقلم : طه عبد الهادي سويلم - معهد الثقافة
بمدينة خاركوف - الاتحاد السوفييتي

ما هي المكتبة ؟

كلمة مكتبة ذات صلة وثيقة بالكتابة، وذلك لان تقنيات المكتبة بصفة عامة هي الكتب بالرغم من ان الصورة قد تغيرت هذه الايام فاصبحت المكتبة تضم مواد اخرى غير الكتب كالافلام والنوتة الموسيقية والاسلايد وما الى ذلك من مواد مكتبية .

لقد اختلفت مفاهيم المكتبة وتطور مدلولها عبر العصور وذلك لان المكتبات القديمة لم تكن كالتي نراها الان من حيث انواعها ومجموعاتها وطرق تنظيمها وخدماتها ، فالسومريون سموها "بيت اللوحات الكبير" اما الفراعنة فقد اطلقوا عليها قاعة كتابات مصر وكان انعاش الروح، واذا انتقلنا الى اليونان لوجدنا كلمة Bibliotheca للدلالة على المكتبة والكلمة تعني المكان الذي توضع فيه الكتب وهي لا تزال مستعملة في فرنسا والاتحاد السوفييتي وغيرها من الدول التي ابقت على هذا المصطلح اللاتيني، اما

الرومان فقد استعملوا كلمة Libri وتعني الكتاب نفسه، ثم اصبحت الكلمة Library وتعني مكتبة للبحث والمطالعة .

هناك عدة تعريفات للمكتبة منها تعريف قاموس اكسفورد Oxford Dictionary بانها بناية او غرفة او مجموعة من الغرف تحتوي على مجموعة من الكتب والمواد المكتبية الاخرى لغرض استخدامها من قبل عامة الناس او مجموعة خاصة منهم (مكتبات عامة او خاصة) او مجموعة تابعة لهيئة او جمعية او منظمة اجتماعية وما الى ذلك، اما Harrod في كتابه The Librarian's Glossary فيعطي تعريفات متعددة للمكتبة منها انها مجموعة من الكتب وغيرها من المواد، تحفظ من اجل المطالعة والدراسة والاسترشاد .

واذا كان لا بد من من تعريف شامل للمكتبة يضعها في مكانها الطبيعي باعتبارها مؤسسة اوجدها الانسان لتعمل على خدمته من خلال قيامها بجمع ثروته الفكرية وتنظيمها وتطويرها وحفظها للاجيال القادمة فيمكن

الطباعة في تلك الفترة أي في القرن الخامس عشر يمتاز بحجمه الكبير، وفي القرن العشرين تطورت الآلات الطابعة بشكل واضح، فظهرت الآلات الميكانيكية وكذلك الطباعة الملونة.

بالإضافة إلى هذه الإنجازات الحضارية، لعبت الفلسفة دوراً هاماً في التربية والثقافة وأدى ذلك إلى ظهور مفاهيم تربوية جديدة في أساليب التدريب والتي تعتمد عليها المصادر المكتبية، كل هذه العوامل مع العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الأخرى ساهمت في انتشار الكتب وظهور المكتبات المختلفة.

تاريخ المكتبات والكتب يشكل جانباً من جوانب علم المكتبات بشكل عام كعلم يبحث في ظروف ظهور المكتبات تطورها اللاحق والجدير بالذكر أن هذا التاريخ يمتد لقرون عديدة في أعماق الزمن الماضي وعدا عن كونه قديم جداً فهو عريق بمعنى الكلمة لأنه يسير مع مراكز الحضارة الإنسانية ويستقل معها، ولهذا ليس من السهل تحديد زمان ومكان ظهور أول مكتبة أو المكتبات بشكل عام، لكن ما كشف عنه التاريخ حتى الآن وأكدته الحفريات الأثرية يدل على أن أول المكتبات قد ظهرت في وادي النيل وبلاد ما بين النهرين.

أ - المكتبات في مصر والشرق القديم

لقد كانت مكتبات العصور القديمة في مصر ملحقة بالقصور والمعابد وكان يشرف عليها رجال الدين والكهنة، وقد عرف المصريون الكتابة منذ حوالي خمسة آلاف سنة وسجلوا بها وصاياهم وتعاليمهم الدينية وقد وجدت

القول بأن المكتبة هي تلك المؤسسة التي وجدت لتجمع وتحفظ وتوزع مجموعة معينة من المواد المكتبية (كتب، أفلام، الخ) بحيث تنظم وترتب وفق نظام تصنيفي معين وتحت إشراف أفراد متدربين على القيام بجميع الأعمال المكتبية.

تطور المكتبات عبر العصور :

يرتبط تطور المكتبات بثلاثة إنجازات حضارية كان لها الأثر البارز في تطور صناعة الكتب وظهور المكتبات وانتشارها وهي :-

- ١) اختراع الورق
- ٢) اختراع الأحرف الهجائية .
- ٣) اختراع الطباعة أو بالأحرى ظهور آلات الطباعة (الكتابة) .

لقد اخترعت الأحرف الهجائية على يد الفينيقيين منذ حوالي ألف سنة قبل الميلاد حيث بدأ المفكرون والعلماء والأدباء بكتابة مؤلفاتهم وأعمالهم ومن هنا ظهرت الحاجة إلى جمع هذا الإنتاج والتراث الفكري وحفظه في مكان معين، هذا المكان كان المكتبة، بالنسبة لاختراع الورق فيتفق الجميع على أن الصينيين هم أول من صنعوا الورق وذلك خلال القرن الثامن قبل الميلاد ويعود للعرب الفضل الكبير في انتشار صناعته وتطوره خصوصاً في العهد العباسي ومن هنا، من الدبار الإسلامية انتقلت صناعته إلى أوروبا، كان اختراع الورق حافزاً لانتشار الكتب والمؤلفات وبالتالي الحاجة للمكتبات .

اخترعت الطباعة قبل القرن الخامس عشر وأول من اخترعها كان الألماني جوتنبرغ ومن ألمانيا انتقلت الطباعة إلى بقية أوروبا والعالم وقد كان شكل الكتاب عند اختراع



موضوعات هي : التاريخ والقا نون والعلوم
والسحر والعقائد وكذلك الاساطير ، ويمكن
القول انه وجدت مكتبات دينية في المعابد
واخرى خاصة في القصور الاشورية والبابلية .

اما بالنسبة للصين فقد كان لها تاريخها
وكتاباتهما ومؤرخوها الذين ارجحوا لها منذ سنة
(٣٠٠٠) قبل الميلاد وتذكر المصادر
التاريخية ان احد الفلاسفة الصينيين قبل
كنفوشيوس قد غادر عمله في المكتبة الملكية
وهذا دليل على وجود المكتبات في الصين
منذ اكثر من الف عام قبل الميلاد اما بالنسبة
للنهضة الفكرية التي شهدتها الصين في
القرنين السادس والخامس قبل الميلاد فقد
كان لها اثرها الواضح في تطوير علم الكتب
والمكتبات الصينية .

ب - المكتبات اليونانية والرومانية :

تاريخ الكتب والمكتبات عند اليونان ليس
واضحا ويعود ذلك الى رداة الاحوال الجوية
وبالاخص الرطوبة التي كانت عاملا هاما في
تلف وفساد اثارهم المكتوبة، ولكن عثر في
جزيرة كريت على الواح تؤكد انهم عرفوا
الكتابة منذ سنة (٢٠٠٠) قبل الميلاد وفي
اثينا نشطت سوق الكتب واحتفظ قادة الفكر
اليونانيين بمجموعات خاصة من الكتب وقد
وجد كذلك مركز للوثائق يعود للقرن الخامس
قبل الميلاد ويتصف بظهور المكتبات (مكتبات
البحث) عند اليونان بانه كان مرتبطا بظهور
المدارس الفلسفية مثل مدرسة ابيقور
وافلاطون وهيراقليدس ، ولكن اشهر تلك
المكتبات كانت مكتبة ارسطو والتي انشئت

مكتبات مصرية كثيرة في ممفيس العاصمة .
ويمكن القول ان معظم الظروف كانت مهيئة
لظهور المكتبات في وادي النيل اولا ،
فالمصادر التاريخية تدل على ان الفراعنة
كانوا يشجعون الاداب والفنون بالاضافة الى
هذا توفر ورق البردى لدى المصريين لكن ما
وصلنا عن تلك المكتبات لا يكفي لاعطاء صورة
واضحة عن مقتنياتها وطرق تنظيمها .

اما في الشام فقد وجدت اثار مكتبة عثر
عليها في رأس شمرا شمال غرب سوريا يرجع
تاريخها الى النصف الاول من الالف الثاني
قبل الميلاد ، كما عثر على مكتبات اخرى من
الالواح الطينية مكتوب عليها بالهيروغليفية
او بحروف هجائية سامية ، وقد اشتهرت
مكتبات بلاد الشام بسبب وجود المدارس في
الرها وانطاكيا وقنسرين وحران كذلك وجدت
مكتبات في فلسطين خاصة في سبسطية والقدس .
واذا اتجهنا الى بلاد ما بين النهرين
فتجد المكتبات في المعابد والقصور والهيكل
الاشورية والبابلية ويقال ان اللوحات الطينية
والفخارية كانت مرتبة ومصنفة داخل هذه
المكتبات عدا ذلك فقد عثر في مدينة تبيبور
البابلية على مكتبة من الواح الطين يرجع
تاريخها الى حوالي (٢٧٠٠) سنة قبل
الميلاد اما اشهر المكتبات في بلاد ما بين
النهرين فهي مكتبة فينوس حيث اكتشفت سنة
١٨٥٠ اثناء الحفريات في مدينة فينوس قطع
من الفخار والواح الطين مكتوب عليها وقد
فسرت على انها مكتبة لان القطع وجدت

منظمة وكانت هذه المكتبة تعني بجمع تراث
البابليين والاشوريين في مختلف فروع المعرفة
حتى بلغ عدد مقتنياتها ثلاثين الفا من
الالواح الطينية التي كانت مصنفة تحت ستة



الخاصة في منازل الطبقات المستبدة قبل ظهور غيرها من المكتبات حتى اصحت المكتبات الخاصة احدى سمات الحضارة الرومانية منذ منتصف القرن الثاني قبل الميلاد .

اما ما يخص المكتبات العامة فقد ظهرت متأخرة نسبيا ، لكن عددها وصل في روما لوحدها في القرن الثاني الى ٢٦ مكتبة وبعضها كان بمثابة مركز للوثائق الرومانية وكذلك يساهم الرهبان في انشاء الجامعات والتي ضمت مكتبات اكاديمية ولعبت المكتبات الرومانية دورا هاما في حفظ التراث اللاتيني واليوناني .

ج - المكتبة العربية الاسلامية :

يرتبط تاريخ المكتبة العربية الاسلامية ارتباطا وثيقا بالتاريخ العربي الاسلامي . والمعروف ان العرب قبل الاسلام لم يهتموا بقضية التدوين فقد اعتمدوا اساسا على الذاكرة الانسانية في حفظ انتاجهم الفكري وعندما ظهر الاسلام دعا الى المعرفة والتعليم كذلك لم يكن عند العرب في الجاهلية سجلات مكتوبة بحيث لا يمكن الحديث عن شيء اسمه مكتبة ، فلما جاء الاسلام ، اهتم اوائل المسلمين اول ما اهتموا بقضية تدوين القرآن ولهذا يعتبر هذا الكتاب اول نص باللغة العربية يتخذ شكل كتب وفي زمن عمر بن عبدالعزيز بدأ تدوين الحديث النبوي ثم اخذ المسلمون بعد ذلك بتدوين تاريخ واخبار المعارك والغزوات ومن ثم ظهرت الحاجة للمكتبات حيث اصبح التأليف والترجمة من الاعمال المنظمة .

عام ٣٣٥ قبل الميلاد وتعتبر هذه المكتبة نقطة البداية في تاريخ المكتبات الاوروربية وهي لم تكن مفتوحة للجماهير انما كانت مقصورة على الباحثين والدارسين .

اما البطالسة فقد انشأوا اول مكتبة عامة في التاريخ سنة ٢٨٥ قبل الميلاد على وجه التحديد وهي مكتبة الاسكندرية والتي تعتبر اشهر المكتبات في العصور القديمة عدا ذلك فقد كانت مركزا للبحث العلمي ضم ما يقرب من نصف مليون مجلد وبالرغم من ظهور العديد من المكتبات المصرية قبلها الا انها تعتبر اهم حدث تاريخي في تاريخ المكتبات القديمة ويقال ان ارسطو هو صاحب الفكرة التي سارع بطليموس الى تنفيذها وكانت المكتبة تنقسم الى المكتبة العظمى والمكتبة الصغرى وامازت كذلك ببنائها الضخم الذي كان يضم اماكن للبحث والدراسة ومخازن الكتب وكان هدف بنائها جمع كافة الاداب الاغريقية وتنظيمها بحيث تكون في متناول يد الباحثين كذلك اخذت المكتبة على عاتقها مسؤولية جمع وترجمة التراث الانساني من شتى اللغات وبذلك اصحت مركزا للاشعاع الفكري الانساني وقد كان يقوم على ادارة مكتبة الاسكندرية علماء وادباء مشهورون مثل ارسطو وكليماخوس الذي لعب دورا كبيرا في تاريخها ، حيث كان مسؤولا عن الفهرس واسندت اليه مهمة جمع التراث اليوناني . كذلك وضع كتالوج للمكتبة يتكون من ١٢٧ مجلدا .

اما المكتبات الرومانية فقد ارتبطت بالتربية الرومانية ، فنظام التعليم الروماني ، على خلاف النظام اليوناني ، كان يركز على دور الادب والتربية البيئية في التعليم ، وكنيجة طبيعية لهذا الاتجاه ظهرت المكتبات



الوليد من السابقين في انشاء المكتبات الخاصة، واشتهرت كذلك مكتبة علي بن يحيى المنجم والكندى والموصلي وابن القوطي وغيرهم كذلك ازدهرت المكتبات الخلفية نتيجة لاهتمام الخلفاء بالعلم والعلماء والحركة الثقافية، وقد اشتهرت مكتبة الرشيد والمأمون وسيف الدولة الحمداني والحكم الثاني في قرطبة وغيرهم، ولقد لعبت هذه المكتبات دورا هاما في تاريخ الحضارة الاسلامية من حيث انها حافظت على الكثير من الكتب التراثية .

(٣) المكتبات الاكاديمية والمدرسية :

ومن اشهرها مكتبة بيت الحكمة في بغداد التي تعتبر من اشهر المكتبات الاسلامية على الاطلاق وقد استمدت عظمتها مما تحويه من الكتب في مختلف الموضوعات واللغات وتواءم معظم الوثائق التاريخية ان مؤسسها هو هارون الرشيد الذي جمع لها الكتب من مختلف الاقطار وعين عليها يوحنا بن ماسوية امينا ومترجما، ثم جاء المأمون الذي طورها كما ونوعا ولم تهدف مكتبة بيت الحكمة جمع وحفظ التراث فقط بل هدفت الى خدمة الباحثين والقراء (اي مكتبة عامة) وقد بقيت المكتبة حتى مجيء التتار سنة ٦٥٦ هـ فاحرقوها ، كذلك اشتهرت مكتبة دار العلم في القاهرة التي اسسها الحاكم بامر الله الفاطمي سنة ٣٩٥ هـ لمنافسة العباسيين الذين انشأوا بيت الحكمة وكذلك لنشر المذهب الاسماعيلي وقد ازدهرت هذه المكتبة زمن المستنصر واحتوت مجموعات معينة من الكتب من مختلف المواضيع اما بالنسبة للمكتبات المدرسية فاشهرها مكتبة المدرسة المستنصرية والمكتبة النظامية في

يعتبر العصر العباسي عصرا لادباع والنضج في الحضارة العربية الاسلامية ففيه نشطت حركة التأليف والترجمة ، وانتشرت صناعة الورق التي اخذها العرب عن الصينيين ثم طوروها حتى انتشرت في جميع الاقطار الاسلامية ومن ثم انتقلت الى اوربا. كذلك فقد ظهرت حركة الوراقين في هذا العصر، وهم اصحاب الجوانيت التي كانت تبيع الكتب وتؤجرها وهذه الجوانيت كانت عبارة عن مجالس للادباء والكتاب والشعراء والباحثين، وتتخصص اعمالهم في اختيار الورق ونسخ الكتب ثم بيعها . وقد لعبوا دورا هاما في عمليات التأليف والترجمة . ولقد تسابق الخلفاء والحكام المسلمون في العناية بالكتب والمكتبات وتشجيعها ، حتى ظهرت الانواع التالية من المكتبات العربية الاسلامية :

(١) مكتبات المساجد :

والتي كان لها سبق الظهور في الاسلام حيث كان المسجد عبارة عن مركز ثقافي يدرس فيه الدين بالاساس وكذلك بعض العلوم الاخرى ومن اشهر هذه المكتبات : مكتبة مسجد المعتمرية ومكتبة جامع المستنصرية ومكتبة جامع المنصور في بغداد كذلك مكتبة جامع بني امية في دمشق ومكتبة المسجد الاقصى بفلسطين اما في مصر فقد اشتهرت مكتبة جامع الازهر ومكتبة جامع ابن طولون ومكتبة جامع الفسطاط وفي تونس مكتبة جامع الزيتونة، وفي الاندلس مكتبة جامع طليطلة ومكتبة جامع قرطبة .

(٢) المكتبات الخاصة .

وهي قديمة المنشأ حيث اهتم بها الخلفاء والوزراء والعلماء وقد كان خالد بن

(٤) دور الانحطاط وفيه تعرضت المكتبات الاسلامية لعوامل التراجع والاندثار ومنها الحروب والثورات الداخلية والجهل عدا ذلك فقد احرق المغول والصليبيين افضل المكتبات الاسلامية .

(٤) المكتبات العامة .

من اشهرها في البلاد الاسلامية كانت مكتبة بني عمار في طرابلس الشام ، كذلك اشتهرت مكتبة سابور في بغداد وكان يرتادها ابو العلاء المعري بشكل خاص لاهميتها كما جعل حنين بن اسحق مكتبة مكتبة عامة لطلاب العلم خاصة .

اما في الاندلس فقد ظهرت دار الكتب بقرطبة كما انتشرت المكتبات العامة في مصر ومختلف انحاء الدولة الاسلامية ويعتبر بعض علماء المكتبات ان مكتبة بيت الحكمة ودار العلم بانها مكتبات عامة على اساس انها قامتا بوظائف المكتبة العامة من حيث الخدمات المكتبية والمميزات الاخرى التي تميز المكتبة العامة عن الخاصة بالاضافة لهذه الانواع من المكتبات ظهرت مكتبات المارستانات ، فقد انشا السلطان قلاوون المستشفى الكبير في القاهرة والحق به مكتبة خاصة كما كان في المارستان المنصوري في القاهرة مكتبة خاصة به وفي بغداد اشتهرت مكتبة المستشفى العسدي .

هذا وقد مرت المكتبات العربية الاسلامية باربعة اطوار في الواقع هي اطوار الحضارة نفسها وهي كالتالي :-

(١) مرحلة ما قبل المكتبات الاسلامية (الجاهلية) .

(٢) مرحلة الحضارة وفيها الجذور الاولى للكتاب والمكتبات .

(٣) عصر الازدهار وبدا هذا العصر مع تأسيس الدولة العباسية وامتد حتى القرن

٢- وظائف المكتبة

والمشاكل التي تعترض العمل المكتبي في العالم العربي بوجه خاص

ان الهدف الاساسي من وراء انشاء المكتبات بكافة انواعها هو وضع ما يتوفر من مصادر المعرفة في متناول القراء والباحثين وبالاضافة لهذا الهدف العام هناك مجموعة من الاهداف والوظائف المتفق عليها للمكتبة وهي :

(١) اختيار مواد المعرفة من كتب وغيرها من المواد المكتبية وجمعها وعمل سجلات وفهارس خاصة بها والمكتبة كذلك تهدف الى جمع التراث الانساني وحفظه ونقله سليما الى الاجيال القادمة للاستفادة منه وينطبق هذا تمام الانطباق على المكتبة الوطنية حيث انها مسؤولة عن جمع هذا التراث الادبي وخرنه وهذه المكتبة تعتبر المكتبة الرئيسية للدولة وفيها يجب ان يكون عن كل ما يصدر وينشر داخل هذه الدولة نسخة وطريقة جمع هذا التراث يختلف من دولة لاخرى فبعض الدول خصوصا الاشتراكية تتبع مبدأ النسخة المفروضة او الواجب توفرها وهذا يعني ان كل المطابع ودور النشر داخل الدولة مطالبة قانونيا

في نشر الوعي السياسي والاقتصادي وغيره وذلك حسب الخطة التي تضعها لها حكومة تلك الدول او المؤسسة المسؤولة عن المكتبة فيجب هنا ان نفرق بين مفهوم الوعي السياسي في دولة تقدمية ودولة رجعية حيث ان لكل واحدة سياستها الخاصة والسياسة التي تنشرها هذه او تلك الدولة بواسطة المكتبات تختلف كلياً من حيث اتجاهاتها وعواملها المختلفة ومضمونها ، ومن هنا تنفيذ الوظائف الاساسية للمكتبة المذكورة وغيرها يعتمد كلياً على النقطة الاخيرة .

ومن المعلوم ان هذه الوظائف الرئيسية التي يجب ان تقوم بها المكتبة بشكل عام لا تنفذها المكتبة العربية بشكل كامل وذلك يرجع لتوفر عدة مشاكل تعترض المسيرة المكتبية وتطورها ومن هذه المشاكل :

(١) عدم توفر مباني مستقلة ومجهزة باحدث الوسائل الممكنة والضرورية لقيام مكتبة متطورة حديثة .

(٢) سوء عملية التزويد والاختيار وذلك راجع لعدم توفر لجنة خاصة من المؤهلين تشرف على تزويد واختيار الكتب والمواد الاخرى .

(٣) عدم وجود المؤهلين مكتبي لادارة المكتبة حيث ان العمل في هذه المكتبات

(العربية بشكل عام والفلسطينية بشكل خاص) يقتصر على فئة قليلة جداً من المتخصصين ومن ذوى الخبرة في مجالي المكتبات والمعلومات التي يحتاجها القارئ وخاصة الطلبة حيث نجد غالباً ان موظف المكتبة نفسه غير قادر على ارشاد الطالب وافادته بما يريد .

(٤) عدم توفر المصادر والمراجع الضرورية في

بارسال نسخة عن كل طبعة تصدرها للحفاظ في الارشيف .

(٢) اعداد هذه المواد للاستعمال عن طريق تجليدها وفهرستها وتصنيفها ثم تصنيفها بالسلوب معين يجعل الوصول اليها ممكناً وسهلاً (مهمة التجليد والفهرسة عادة تكون من اختصاص المطبعة الا في حالات تلف المواد المكتبية، فهنا يقوم قسم التجليد اذا كان موجوداً بهذه المهمة اما قضية تصنيف الكتب والمواد الاخرى فهي اساسية خصوصاً في مكتباتنا العربية اذ انه في الدول المتقدمة وعلى سبيل المثال الاتحاد السوفييتي يصدر الكتاب مفهرساً ومصنفًا ويحمل في نفس الوقت الرقم المتسلسل ومكان وجوده في الكتالوج وعلى الرفوف حسب التصنيف المكتبي - الببليوغرافي السوفييتي " .

(٣) توفير الخدمات المكتبية اللازمة للقراء عن طريق نشر المعلومات المناسبة وايصالها للقارئ في الوقت المناسب ومن مثال ذلك تعريف القارئ بالكتالوج في المكتبة وطريقة استعماله لتسهيل عملية البحث عن المصادر كذلك توفر الورق وما الى ذلك .

(٤) دعم ومساندة وتطوير عملية التدريس عن طريق تقديم مصادر اخرى بالاضافة الى كتب

المنهج لكل من الدارسين والمدرسين سواء في المدرسة او الجامعة .

(٥) الوظيفة الاجتماعية للمكتبة وذلك من خلال المساهمة لمعالجة بعض المشكلات الاجتماعية كالامية مثلاً ، او من خلال الاستفادة منها لانجاز نشاطات اجتماعية مختلفة .

(٦) بالاضافة الى كل ما سبق فان المكتبة تلعب دوراً هاماً في الدعاية للنهضة السياسية والاقتصادية والدينية وبهذا تساهم

عملية التدريس والابحاث وذلك بسبب الرقابة الشديدة على المراجع والكتب وعدم توفر الظروف الموضوعية لسير هذه العملية بنجاح .
(٥) عدم الاهتمام بالمكتبات لخدمة طلبة المراحل ما قبل الجامعية اى الثانوية والاعدادية .

(٦) ونظرا للوضع الفلسطيني فانه لا توجد هناك اية ميزانية مستقلة خاصة بأى مكتبة وفي الغالب يلاحظ ان تمويل المكتبة يكون عادة من الموءسة التي تتبعها المكتبة .

وبالاضافة الى كل هذه المشاكل هناك مشكلة لا تقل اهمية عن المذكورة اعلاه وهي سوء توزيع المكتبات نفسها حيث انه ميسر الملاحظ ان المكتبات في الغالب تقع في المدن اما القرى والضواحي فقلما تجد فيها مكتبة عامة او متخصصة .

٢- اقسام المكتبة وانواع الخدمات المكتبية

ان نجاح المكتبة في تحقيق اهدافها بفعالية يعتمد على الكادر المكتبي الذى يسير عمل المكتبة ويعتمد بدرجة خاصة على امينها والذى له حق الاشراف والرقابة على سير العمل كذلك يعتمد على ادارتها وتنظيمها .

يتكون الهيكل التنظيمي العام للمكتبة النموذجية من الاقسام التالية :-

(١) قسم الادارة العامة Administration Public والصيانة والارشيف والموظفين .

(٢) قسم الاجراءات الفنية Technical services ويتكون من قسم التزويد والفهرسة والتصنيف والتجليد والصيانة .

يتم تزويد المكتبة بالادبيات بطرق عديدة منها حجز كتاب معين قبل صدوره من المطبعة ، شراء الكتاب من السوق اذا لم تتمكن من حجزه ، النسخة المفروضة (في المكتبة الوطنية او الرئيسية) واخيرا عن طريق عملية التبادل المكتبي بين مختلف المكتبات .

اما بخصوص التصنيف فيتم تقسيم الاداب حسب الموضوع بنظام تصنيفي معين وهو عادة النظام العشري العالمي في معظم دول العالم ما عدا الدول الاشتراكية التي تعتمد على تصنيف علمي وواقعي مأخوذ من تعاليم الماركسية - اللينينية حيث نجد في اساس هذا التصنيف تقسيم من انجلى للعلوم بشكل عام من علوم الطبيعة الفيزيائية الى علوم الطبيعة الحية ثم اخيرا الى المجتمع الانساني .

(٣) قسم الخدمات المكتبية Library Services ويتكون هذا القسم من الاقسام او الاجنحة ذات المصلحة المباشرة بالقارئ وهي كثيرة منها

- (ا) ضمان الاستعمال المريح للكتالوجات .
- (ب) توفير المستلزمات الخاصة لراحة القارئ ومثالا على ذلك توفير الاوراق على الطاولة
- (ج) توفير جو مريح للمطالعة وانارة جيدة . .
- (الخ . . .)

ولعل اهم قسم في المكتبة يقدم للقارئ المعلومات التي يحتاجها هو قسم الاعارة لكن لا يقل عنه اهمية قسم الكتالوجات . هذا القسم يؤمن للقارئ المعلومات الرئيسية الاولية التي بواسطتها يستطيع لاحقا ان يتوجه الى قسم الاعارة ويطلب الكتاب المعين وكثيرا ما يحدث ان يذهب القارئ مباشرة الى قسم الاعارة طالبا كتاب معين دون ان يعرف التفاصيل الضرورية التي يحدد على اساسها

عدا هذه الاقسام الرئيسية هناك اقسام اخرى لكن تقل عنها اهمية ومثال ذلك قسم الدوريات وقسم المراجع بالطبع لها دورها الذي لا ينكره احد لكن لكي يحصل الباحث او القارئ عن الوثيقة فانه يتوجه اساسا الى قسم الاعارة .

انواع الخدمات المكتبية

(١) الخدمات الفنية وغير المباشرة:-

Technical Services

هي عبارة عن خدمات لا تقدم مباشرة للقارئ ولكن يجب توفرها حتى تتم عملية تقديم الخدمات المباشرة بأفضل الطرق واكثرها فعالية، مثال ذلك اختيار المواد المكتبية المناسبة وطلبها وتأمين الحصول عليها عن طريق الشراء او الاشتراك او الاهداء او التبادل ثم استلام هذه المواد (الوثائق) وتدقيقها وتسجيلها وحفظ سجلات منظمة ودقيقة بها كذلك تشمل هذه العطية مسألة التأثيث ، الانارة التدفئة الى غير ذلك (٢) خدمات مباشرة او خدمات القراء :

User Services.

تقسم هذه الخدمات الى ما يلي :

(أ) اعارة بانواعها الداخلية والخارجية والحجز

Circulation Services

(ب) خدمات مرجعية مختلفة

Refence Services

(ج) خدمات خاصة بالدوريات ، المواد السمعية والبصرية .

(د) خدمات التصوير بانواعها المختلفة

Photoconying Services

(هـ) خدمات الترجمة .

(ز) خدمات اعلامية وبيبلوغرافية ... الخ .

انه هذا هو الكتاب المطلوب فعلا ومثالا على ذلك ان كتاب له مؤلفين اثنين - كاتبين - الاول منهم مشهور ومعروف فيحدث ان يسأل القارئ عن الكتاب بالاسم الثاني - الكاتب الثاني او باسم مستعار للكاتب - بالطبع موظف قسم الاعارة لا يستطيع ان يحفظ غيبا كل الاسماء وكل الكتب - مثال آخر كتاب لمؤلف معين صدر سنة ١٩٨٥ في الطبعة الاولى - بعد شهرين صدر نفس الكتاب تحت طبعه ثانية (جديدة) فيطلب القارئ الكتاب الاول وهو لا يعرف اية طبعة يحمل الكتاب وموظف المكتبة كذلك . هناتظهر المشكلة او كما يسميها علماء الببلوغرافيا ، التناقضات في نظام (الوثيقة - المستهلك) .

وهذا القسم (قسم الكتالوجات) يسمى كذلك قسم الفهرسة والتصنيف Classification and cataloging Section عدا ذلك هناك قسم الاعارة كل التناقض في العلاقة والنظام (الوثيقة - المستهلك) يعتبر قسم الاعارة حسب اهم الاقسام الموجودة في المكتبة ، اذ انه عن طريق هذا القسم يحصل المستهلك (ويقصد بذلك القارئ ، والمتفرج والمستمع) على المعلومات التي يطلبها . ايضا لمصطلح المستهلك اخيف انه في عصرنا هذا وايماننا هذه يدخل المكتبة ليس فقط الكتب بل والافلام والاشربة الموسيقية والميكروفيش وغيرها من المواد المكتبيّة لذا فلعلاقة (القارئ - الكتاب) لم تعد ملائمة فظهرت علاقة (المستهلك - الوثيقة) لذا فالمستهلك ليس فقط القارئ بل والمستمع داخل المكتبة لشرط موسيقى او متفرج الخ .. والوثيقة تضم الكتاب ، الفلم ، الشريط ، اسلايد الخ ..

٤ - انواع المكتبات

- هناك عدة انواع مختلفة من المكتبات وسبب الاختلاف هذا راجع لعدة عوامل منها :
- أ) اختلاف الوظائف والاهداف بعضها عن بعض من مكتبة لآخرى .
 - ب) الاختلاف في المقتنيات (الاساس المكتبي او الفوند) *
 - ج) اختلاف رواد المكتبات (اخصائيين ، قراء عاديين ، عمال ، اطفال .. الخ) .
 - د) اختلاف التنظيم والخدمات .
 - هـ) اختلاف الهيئات الممولة والمشرفة على المكتبة .

ومن الانواع المشهورة للمكتبات ما يلي :

- ١) المكتبة الوطنية .
- ٢) المكتبة العامة .
- ٣) المكتبة الاكاديمية .
- ٤) المكتبة المتخصصة .
- ٥) مكتبات خاصة .

١ - المكتبة الوطنية

تعتبر المكتبة الوطنية او القومية، المكتبة الرئيسية والمركزية للدولة ورغم اختلاف تسمياتها الا انها تقوم بنفس الواجبات والخدمات ، فهي عادة المسؤولة عن جمع التراث الفكري الوطني في المركز الاول وحفظه وتقديمه للقراء والباحثين . وهذا النوع من المكتبات يعتبر حديثا نسبيا ويعود تاريخه الى

زمن قريب حيث تأسست لتكون مركزا للنشاط الرسمي للدولة في مجالات البحث والتأليف والنشر ... الخ .

وغالبا توجد مكتبة وطنية واحدة في عاصمة الدولة فهي على سبيل المثال المكتبة الوطنية في كل من المغرب والجزائر وتونس ولبنان والعراق وقطر، اما في سوريا فهي دار الكتب الظاهرية وفي مصر دار الكتب المصرية وفي الاتحاد السوفيتي مكتبة الاتحاد السوفيتي باسم لينين وفي بريطانيا مكتبة المتحف البريطاني وفي فرنسا المكتبة الاهلية التي تأسست في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي .

لقد عرفت المكتبة الوطنية في تقرير الاحياء الدولي للمكتبات بانها تلك المكتبة التي تقوم بجمع وحفظ التراث الفكري الوطني سواء عن طريق الابداع القانوني Legal Deposit او اي شكل آخر . كذلك عرفت في مؤتمر اليونسكو للمكتبات القومية والذي عقد في جنيف سنة ١٩٥٨ بانها المكتبة المسؤولة عن جمع وحفظ المطبوعات القومية من اجل خدمة الاجيال الصاعدة .

أ - تنظيم المكتبة الوطنية

المكتبة الوطنية تنظم كأي مكتبة أخرى فقط هنا على نطاق واسع تستعمل فيها أحدث الآلات والأجهزة وأخصائيين ذوي درجات عليا في علم المكتبات .

* فوند - لفظ مصطلح روسي يعني اجمال مقتنيات المكتبة من كتب ومواد أخرى .

مؤسسات اشتراكية وديموقراطية (يستطيع استعمالها الجميع دون استثناء) ضرورة هامة لكل مجتمع ان تعرف هذه المكتبة على اساس انها المؤسسة الثقافية التي تجمع مصادر المعرفة المختلفة وتحافظ عليها وتسيرها لاجل استخدامها من قبل الجمهور .

اصدرت اليونيسكو بياناً للمكتبات العامة سنة ١٩٤٩ ثم اعيدت صياغته سنة ١٩٧٢ بمناسبة العام الدولي للكتاب جاء فيه ان تأسيس المكتبات العامة ورعايتها مهمة وواجب من واجبات الدولة في المستوى الرئيسي واكد كذلك على ضرورة الاهتمام بالاطفال ولذا يقع على عاتق المكتبة العامة واجب توفير الفرصة للاطفال لاختيار الكتب والمواد المكتبية الاخرى (الوثائق) ، لكن حديثاً نرى ان مكتبات الاطفال في اغلب الاحيان قد انفصلت عن المكتبة العامة وذلك راجع الى اعتبارات خاصة بعالم الطفل من حيث كيفية ايصال الوثيقة له اعتماداً على عوامل عديدة كما قلت خاصة فقط بالاطفال .

والمكتبة العامة تقوم بعملها على اساس اعتبارات عديدة منها مثلاً ان تكون عامة بمعنى ان تلبى حاجة القارئ بغض النظر عن لونه او دينه او اي شيء آخر ، كذلك يجب ان تكون الرفوف مفتوحة (نظام الرفوف المفتوحة) لتسهيل وصول القراء الى المواد المكتبية . ويشترط لنجاح المكتبة العامة في رسالتها ان تقدم الخدمات مجاناً لكن هذا العامل لا يتوفر غالباً عندنا اما في البلاد الاشتراكية خاصة فنجد انها مجانية ١٠٠٪ .

من خلال خدماتها تحقق المكتبة العامة اهدافاً كثيراً منها :

(١) تشجيع القراء وحشهم على المطالعة

عادة تضم المكتبة الاقسام الرئيسية الواجب توفرها في اي مكتبة ومنها :

(١) قسم الخدمات المكتبية .

(ب) قسم الاجراءات الفنية .

(ج) الادارة والعلاقات العامة .

ب - وظائف المكتبة الوطنية

يمكن حصر وظائفها في النقاط التالية :

(١) جمع التراث الفكري ، وهذا يشكل هدفها الاساسي والاهم . ويمكن تحقيق ذلك عن طريق الابداع القانوني ، ايضا المكتبة معنية بالحصول على اية اداب تطبع في الخارج

(٢) اتخاذ موقف قيادي ومميز بين المكتبات الاخرى في القطر، يظهر هذا في نواحي مختلفة من عملها كمكتبة رئيسية منها على سبيل المثال انها مصدر الببلوغرافية الوطنية ، تصدر نشرات وابحاث علمية في مجال المكتبات ومالي ذلك .

(٣) تقديم الخدمات المكتبية للمستهلكين :

(أ) مؤسسات الدولة والهيئات الحكومية .

(ب) للباحثين بشكل عام .

(٤) تقديم الخدمات الببلوغرافية .

(٥) تقوم بالتعاون المكتبي على المستوى الوطني والعالمي .

٢ - المكتبات العامة -

لقد تأسست المكتبة العامة لتعكس رغبة افراد الشعب في متابعة ثقافية في جميع مراحل حياتهم ويعتبر هذا النوع من المكتبات

وفي الحضارة اليونانية كمكتبة الاسكندرية اما المسلمون فقد اعطوا هذا النوع من المكتبات اهمية خاصة واوجدوا مكتبات لاتزال تذكر منها مكتبة بيت الحكمة في بغداد. وعندما ظهرت الجامعات كمركز للبحث والدراسة اصبح من الضروري الحاق مكتبات كبرى بها .

يمكن تعريف المكتبة الاكاديمية بانها المكتبة او مجموعة المكتبات التي تنشأ وتمول وتدار من قبل الجامعة او الكلية والمعهد العالي وذلك لتقديم الخدمات المكتبية للطلبة والمدرسين والعاملين بشكل عام في هذه المؤسسات وتقوم المكتبة بعدة اعمال او وظائف منها :

(أ) اختيار وحفظ المواد المكتبية المختلفة التي تساهم في دعم وتطوير وخدمة المنهاج الدراسي في تلك المؤسسة .

(ب) توفير المعلومات وتسهيل سبل البحث والدراسة من خلال الحصول على مصادر المعرفة التي تساعد الباحثين والطلبة في تطوير المعرفة الانسانية .

(ج) تهيئة الوسائل والشروط الملائمة للمطالعة والبحث .

(د) العمل كمركز للنشر وتوزيع الابحاث والمعلومات .

(هـ) العمل كمركز لتدريب العاملين في حقل المكتبات عن طريق عقد الدورات التدريبية .

(و) اصدار النشرات والمجلات والبيبلوغرافيا التي تساهم في مساعدة وتيسير عملية البحث العلمي .

وتختلف المكتبة الجامعية - الاكاديمية عن باقي المكتبات الاخرى في كونها تخدم مجتمعا اكاديميا متجانسا يتألف من الطلبة بشكل عام ومن اعضاء الهيئة التدريسية في

وارتقاء المكتبة .

(٢) تدعم العلاقة الاجتماعية بين افراد المجتمع عن طريق مشاركتها في حل بعض المشاكل الاجتماعية .

(٣) تساهم كذلك في رفع المستوى الوظيفي للفرد من خلال تعرفه على الجديد في مجال تخصصه وهناك اهداف اخرى كثيرة لا مجال لتسميتها .

بالنسبة لاقسام المكتبة العامة فهي نفسها الاقسام الرئيسية للمكتبة بشكل عام لكن هناك قسمين اضافيين هما :

(ا) قسم الاطفال (حتى الان في بعض الدول العربية) .

(ب) قسم التاريخ المحلي (قيسة تحفظ وثائق وسجلات واحصائيات خاصة بتاريخ المدينة او البلدة .. الخ) .

تقدم المكتبة العامة الخدمات ذاتها التي تقدمها اى مكتبة مع مراعاة انه يمكن التوسع في هذا المجال في المكتبة العامة عن طريق فتح فروع جديدة للمكتبة في الضواحي او في القرى المجاورة (اذا كانت المكتبة الرئيسية في المدينة مثلا) كذلك يتم التوسع فيها عن طريق استخدام نظام المكتبات المتنقلة - وهي عبارة عن سيارة تقوم بترويج المواد المكتبية في الارياض والقرى حسب برنامج زمني معين .

٢٣ . المكتبات الاكاديمية

المكتبات الجامعية

تعتبر المكتبات الاكاديمية المخصصة للبحث والدراسة من اقدم المكتبات ظهورا ، فقد ظهرت في الحضارة الاشورية كمكتبة نبوى



وتعرف كذلك على انها المكتبة التي تقتني مجموعة (صغيرة او كبيرة) من المواد المكتبية في موضوع محدد او عدة مواضيع مشتركة اى ذات علاقة وتقوم بتقديم الخدمات المكتبية لاشخاص معينين للعمل في مؤسسة او جمعية معينة وتمتاز المكتبة المتخصصة عن غيرها من المكتبات بما يلي :-

- (١) موادها المكتبية تكون محصورة في موضوع معين او علم معين ..
- (٢) روادها عادة يكونون من موظفي المؤسسات التي تتبعها هذه المكتبات .
- (٣) غالبا ما تكون ملحقة بالشركات والمؤسسات العلمية والصناعية والوزارات ..
- الخ ..
- (٤) تختلف من حيث الوظيفة والتنظيم والسرعة في تقديم الخدمات وعمقها عن المكتبات الاخرى . اما بخصوص وظائفها فهي وظائف اى مكتبة عادية اخرى مع فارق واضح وهو انها تقدم الخدمات لقارئ محدد وليس للجميع .

٥ - التعاون المكتبي

(التعاون بين المكتبات)

—Cooperation—

التعاون المكتبي مصطلح يطلق على كافة الانشطة التعاونية والخدمات والتسهيلات التي تقدمها المكتبات لبعضها البعض ويتم من خلال هذا التعاون المشاركة في اكبر قدر ممكن من الموارد والخدمات المكتبية وايصالها لمستهلك المعلومات . وهذه المشاركة تتم باستخدام المواد المكتبية المختلفة من كتب واجهزة وافلام .. الخ ومن الجدير بالذكر ان هذا التعاون يأخذ طابعا محليا ودوليا ، او

الجامعة والمعهد ، كذلك من الباحثين في مختلف حقول المعرفة وافراد من الهيئة الادارية وافراد من المجتمع .

اما بخصوص الكادر المكتبي او العاطلون فتحتاج المكتبة الجامعية لمجموعة من الموظفين المؤهلين وغير المؤهلين للقيام بهذه الانشطة ويشترط عادة في امين المكتبة الأكاديمية :

- (١) ان يكون حاصلا على مؤهل أكاديمي في احد التخصصات الأكاديمية .
- (٢) ان يكون ذا درجة في علم المكتبات .
- (٣) ان يكون لديه عدة سنوات من مدة الخبرة في مجال ادارة المكتبات .
- (٤) ان يكون ملما بلغة اجنبية واحدة على الاقل وهناك شروط اخرى كثيرة منها المعرفة بأهداف الجامعة والقدرة على الاتصال مع الهيئات المختلفة ... الخ .

٤ . المكتبات المتخصصة

ظهر هذا النوع من المكتبات كنتيجة طبيعية للاتجاه نحو التخصص في العلوم المختلفة وكذلك لوجود منظمات ومؤسسات وجمعيات متخصصة في ميادين وموضوعات متعددة .

تعرف هذه المكتبة على اساس انها تلك المكتبة التي تعنى بموضوع معين او عدة موضوعات وهي تشتمل تلك المكتبات التي تمثل محتوياتها شكلا معيناً من المواد ، وهذا التعريف يشمل مكتبات الكليات والجامعات والجمعيات التعليمية والمهنية ومؤسسات البحث والدوائر الحكومية والمؤسسات التجارية والصناعية وغيرها .



امتداد لعملية الشراء . المواد الجديدة يمكن تخزينها مؤقتاً حتى تم عملية الفهرسة والتصنيف . اما المواد التي لا تستخدم كثيراً فيمكن تخزينها بشكل دائم في مخزن موحد .

(٥) تبادل المطبوعات الفائضة عن حاجة المكتبة ، فبدلاً من اتلافها يمكن مبادلتها مع المكتبات الأخرى .

(٦) تدريب المكتبيين وتأهيلهم - عن طريق التعاون في مجال الدورات التدريبية يشارك فيها مكتبيون مؤهلون من مختلف المكتبات .

(٧) في مجال الفهرسة والتصنيف وعمل البطاقات الموحدة وذلك يتم في مركز موحد وهنا مكتبة مركزية تقوم بإرسال نسخ من البطاقات لتلك المكتبات التي تربطها علاقات تعاونية .

(٨) التعاون في مجال اعداد المواد البيلوغرافية والفهارس الموحدة للكتب والدوريات وتبادل هذه القوائم بعد اعدادها .

٢. المنظمات المكتبية العالمية

(٤٠٠م)

٤٠٠م هي عبارة عن اتحاد امنا المكتبات او القائمين عليها او هؤلاء المهتمين في العمل المكتبي والممثلين لدولتين على الاقل والذين وضعوا نصب اعينهم هدف تطوير العمل المكتبي والبيلوغرافيا والتعاون الدولي في هذين المجالين .

حتى سنة ١٩٨٢ كان هناك اكثر من ٣٠ منظمة مكتبية عالمية ، لكن بعضها كان غير قادر على القيام بمهامه على اكمل وجه وحسب طابع او صفة التمثيل يفرق هناك بين منظمات

عالمية من خلال مشاركة المكتبة في نشاطات وتعاون مع مكتبة اخرى خارج الدولة الموجودة فيها .

من فوائد التعاون :-

(١) يساهم في بناء مجموعات فنية من المواد المكتبية .

(٢) يمكن المكتبة من التركيز على حقل معين من الموضوعات التي يهتم بها مستهلكو معلومات هذه او تلك المكتبة .

(٣) يساهم في حل كثير من المشكلات المالية للمكتبة فبدلاً من شراء كتاب معين يمكن الحصول عليه من مكتبة اخرى ولمدة محددة من الزمن .

(٤) يوفر التعاون الكثير من الوقت والجهد الفنية .

(٥) للتعاون دور كبير من توسيع الخدمات وتطويرها .

ومن المجالات التعاونية بين المكتبات يمكن ذكر ما يلي :-

(١) الاعارة المكتبية - وهي اقدم اشكال التعاون وتتم بوجود علاقات واتفاقات تنظم هذه العملية وتحدد كمية وتنوعية المواد المكتبية التي يمكن اعارتها والالتزامات عند تعرض المادة المعارة للتلف او التأخير .

(٢) تصوير المواد التي لا تخضع للاعارة كالمراجع والدوريات والمخطوطات او الكتب النادرة اما بطريقة الفوتوستات (الحجم الطبيعي) او بطريقة الميكروفيلم (الحجم المصغر) .

(٣) الشراء التعاوني - حسب خطة معينة اما على اساس الموضوع او اللغة او المناطق الجغرافية التي نشرت فيها المواد .

(٤) الخزن التعاوني (حفظ الوثائق)

الكفرنس الخاص بها .

تنظم الجمعيات مجالات التعاون المختلفة بين المكتبات الموسيقية والارشيف ومراكز التوثيق تصدر مجلة :

"Fontes artis musicae "

٣- المنظمة الدولية لشؤون النماذج بالمقاييس

International Organization
for Standardization (ISO)

تأسست سنة ١٩٤٦ م تضم في صفوفها اللجان الوطنية لحوالي ٧٣ دولة، تجتمع الرابطة العامة او الجمعية العامة لها مرة واحدة كل ثلاث سنوات يعمل بين كل دورتين من دوراتها مجلس ولجنة تنفيذية وامين عام المنظمة الموجودة في لندن، تضم المنظمة في صفوفها ١٥٠ لجنة تكنولوجية و ٦٠٠ مجموعة عمالية .

اللجنة التكنولوجية رقم ٤٦ فيها الخاصة بمسألة التوثيق للمكتبيين والقائمين علي البيلوغرافيا تلعب دورا هاما في اعداد النماذج في مجال البيلوغرافيا والتوثيق .

تصدر مجلات ومعلومات خاصة بمسألة النماذج لتطوير التعاون الدولي في مجال التجارة والتعاون الثقافي .

٤- الاتحاد الدولي للجمعيات والمؤسسات

المكتبية - International Federation of Library Associations and Institutions (IFLA)

تأسس هذا الاتحاد سنة ١٩٢٧ . بلغ عدد المشتركين فيه حتى سنة ١٩٨٢ اكثر من ١٠٠٠ عضو فردي او جماعي الذين يمثلون

اجتماعية (غير حكومية) ومنظمات حكومية من هذه المنظمات ما يلي :

(١) جمعية المكتبيين والوثائقيين الدولية للمكتبات الزراعية - International Association of Agricultural Librarians and Documentalists (IAALD)

تأسست سنة ١٩٥٥ م الى سنة ١٩٨١ بلغ عدد المشاركين فيها ٦٠٠ عضو عن ٨٠ بلدا هذه الجمعية تدخل ضمن الاتحاد الدولي للروابط والجمعيات والمؤسسات المكتبية (IFLA) وضمن الاتحاد الدولي للتوثيق وتعاون مع اليونسكو ومنظمة التغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة (FAO) .

القيادة في هذه الجمعية تتم بواسطة :
(١) الاجتماع العام الذي يعقد مرة كل خمس سنوات
(ب) اللجنة التنفيذية المجتمع كل سنة مرة واحدة .
تقوم هذه الجمعية بعلاقات او بالتعاون بين المكتبات الزراعية وبين مراكز المعلومات لدول مختلفة، تنظم اعمالها في مجال البيلوغرافية الزراعية (خاصة بمجال الزراعة) والخدمات التقريرية (بواسطة التقارير) .
تصدر مجلة اربع مرات سنويا .

(٢) الجمعية العالمية للمكتبات الموسيقية والارشيفات ومراكز التوثيق International Association of Music Libraries, Archiv and Documentation Center (IAML)

تأسست سنة ١٩٥١ . بلغ عدد اعضائها سنة ١٩٨٠ اكثر من ١٨٠٠ عضو عن ٣٧ دولة، تدخل ضمن المجلس الدولي للموسيقى السلطة القيادية فيها تظهر من خلال (١) الاجتماع العام المنعقد مرة واحدة كل ثلاثة سنوات مع

١١٢ دولة. الأمين الدائم للاتحاد متواجد بشكل دائم في لاهاي. يترأسها رئيس ومكتب تنفيذي وايضا مكتب مهني . سنويا تنعقد جلسة المجلس العام والاقسام الثمانية للاتحاد وكذلك الثلاثين دورة او الجناح و ٩ "طاولات دائريسة".

٥ - اليونسكو - منظمة الامم المتحدة لمأئل التعليم ، العلم والثقافة . (UNESCO) United Nations Educational, Scien- tific and Cultural Organization
تأسست سنة ١٩٤٦م . يبلغ عدد الدول المشاركة فيها حسب احصاءات سنة ١٩٨٢ حوالي ١٦٠ دولة .

أعلى هيئة في اليونسكو هو الكنفرس العام .

المدير العام يترأس المجلس التنفيذي والسكرتارية في هذه المنظمة يقوم على مسألة العمل المكتبي في المنظمة قسم البرنامج الاعلامي العام . تقوم كذلك اليونسكو بتقديم المساعدة سواء بالمواد او بارسال المكتبيين المؤهلين للعمال ورفع مستوى العمل المكتبي في بلاد اسيا ، افريقيا وامريكا اللاتينية .

تصدر للمكتبيين دليل مكتبي ، مطبوعات مكتبية مختلفة اخرى منها مجلة اليونسكو، (UNESCO Joral of Information Sience, Librarianship and Archives Administration)
بحجم اربعة اعداد سنويا بعدة لغات منها اللغة العربية حيث صدرت اول مجلة بالعربية سنة ١٩٧٠ .

اعمال الاتحاد تحتل جميع المجالات النظرية والعملية في العمل المكتبي كذلك تقود عمل المكتبات مختلفة الانواع - من المكتبات الوطنية حتى المكتبات المدرسية . كذلك يقوم الاتحاد بالابحاث العلمية ويضع مشاريع النماذج المكتبة الدولية ويشارك في تنفيذ بعض المشاريع في مجال التعاون الدولي المكتبي وحل مشروع المراقبة البيلوغرافية العامة وانظمة الاعلام الوطنية ومجال الاكتفاء العام للمطبوعات وغيرها .

يصدر الاتحاد مجلة "IFLA Journal"
اربعة اعداد سنويا كذلك دوريات سنوية ، دليل الاتحاد ، وملخص اعمال الاجتماعات والدورات .

المراجع :

- (١) تاريخ العمل المكتبي في الدول الاجنبية (بالروسية) موسكو ١٩٨٢ - ص ١ - ٣٠ المؤلف تالينكا
- (٢) تاريخ العمل المكتبي في الدول الاجنبية (بالروسية) موسكو ١٩٨٢ ص ٢١٨ - ٢٢٢
- (٣) المدخل الى علم المكتبات والمعلومات - منشورات جمعية المكتبات الاردنية عدد ٥ : تحرير انور عكروش وصديقي دحبور .
- (٤) مجيرق ، هوش - دراسات في المكتبات - طرابلس ، ١٩٨٩ .

- ٥) العمل المكتبي في دول اسيا ، افريقيا وامريكا اللاتينية - منشورات مكتبة لينين عدد رقم ١ - موسكو ١٩٧٢ ص ٦٤ - ٦٨ .
- ٦) مجلة " علم المكتبات والبلوغرافيا في الدول الاجنبية " (بالروسية) عدد رقم ٥٦ لسنة ١٩٧٦ وعدد رقم ٩٩ لسنة ١٩٨٤ .
- ٧) التصنيف المكتبي - البيلوغرافي السوفييتي / في كتاب تنظيم المواد المطبوعة والكتالوج النظامي - اصدار معهد خاركوف الثقافي سنة ١٩٨٢ ص ٤ - ٦
- ٨) دليل المكتبي - مكتبة الاتحاد السوفييتي الوطنية باسم لينين - موسكو، ١٩٨٦ ص ٢٨٤ - ٢٨٦ .
- ٩) كورشونوف - البيلوغرافيا - كورس عام ، موسكو ١٩٨١ (بالروسية) ص ٣٦ - ٣٧ .

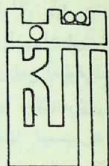
عزيزنا المشترك ..

مرحباً منا على التأكد من استلامك لنسخك ، وحرصنا منا على
الأخذ برأيك في كل ما يتعلق بمجلة « الكاتب » ، شكراً وضمناً ، نتوجه
إليك للاتصال بنا ، كتابة ، أو هاتفياً ، لإطلاعنا على رأيك وقرارك
لتطوير المجلة ، وإعلامنا عن كل تأخير في استلامك لنسخك ،
أو أي ملاحظات أخرى .

مع تقديرنا ومحبتنا ؟

« الكاتب »

في الربيع والخريف هل كان حنا مينة يكتب عن تجربته؟



أسعد الأسعد

من خلا قلبه من الحب ، لن يعرف طريقة الى الابداع ، تلك حقيقة لا بد من الاعتراف بها ، ومهما كان الحب الذي يعمر قلوبنا ، اكان حب الوطن ، ام حب الاهل ، ام الاطفال ، ام حب امرأة ما ، ام كل ذلك معا ، فان الحب هو الحقيقة الخالدة ابدًا ، والتي لا يمكن بغيرها ان يتحقق شيء ذو قيمة او منفعة .

وهذا بالضبط ما اراد ان يؤكده حنا مينة في روايته الاخيرة " الربيع والخريف " ، بل ان حنا مينة ذهب الى ابعد من ذلك حين حدد معالم رؤيته الخاصة ، المتعلقة بالابداع ، فهو يخلص الى نتيجة مفادها ان رجلا بلا امرأة لا يمكن ان يستشعر حلاوة الدنيا ، وروعة العيش فيها .

"كرم" - وهذا اسم البطل - شاب في اوائل الاربعينات ، عصفت به رياح القربة الى بكين ثم الى بودايست ، وحين هبط المدينة ، الجديدة ، لم يكن يعرف لغتها ، الا ان الصدفة عرفتة بفتاة مجرية تعرف الفرنسية - التي يتقنها .

كانت بيروشكا - وهذا اسم صديقتها التي تعرف إليها - طالبة في السنة الاولى - يكبرها بأكث

تدور احداث الرواية في مساحة صغيرة من ارض المجر - واذا استثنينا بعض المشاهد التي استخدمها الكاتب بهدف اضفاء الحيوية على احداث الرواية ، والخروج من رتابة اللقاءات المتتالية والتي غلبت على معظم احداث الرواية - فان بإمكاننا ان نقول ، ان احداث رواية حنا مينة " الجديدة " جرت في شارع لينين بالعاصمة الهنغارية ، وبعض الشوارع الجانبية المحيطة به ليس غير .



الى الرواية غير تابلوهات جميلة، يحس القارئ انها مجرد وصف ليوميات شاب عايش، شغله الشاغل التنقل ما بين بيروشكا، وايرجكا، ليس الا ؟ حتى تصويره للشخصيات الوطنية التي اضطرت الى الهرب من اوطانها هربا من قمع انظمة الحكم فيها، لم يستطع ان يقدمها بشكل مركزى في القصة، قد يقول قائل، انها ليست كذلك، وهذا صحيح، لكن اعتقد ان حنا مينة كان يمكن ان يوظف هذه الشخصيات توظيفا جيدا، وبدل ان يفعل ذلك، فقد قدمها لنا بشكل سلبي، قد يدفعنا الى الشفقة عليها، لكنه احساس لا يلبث ان يزول، لان الكاتب يحملنا وبسرعة الى صديقه بيروشكا، او ايرجكا، فتظل شخصيات ضياء التركي الذي هذه السعال، وزوجته سميحة التي تعمل مع زوجها ضياء في القسم التركي باذاعة بودابست هي الاخرى هذا الربو، وكذلك جورج، حسن الايراني، وغيرهم، كل اولئك شخصيات اقرب ما تكون الى النمطية، فحنا مينة يصر في روايته الاخيرة هذه على التنظير، وحتى التنظير المباشر، غير المقبول في العمل الادبي الابداعي، اذ ان المباشرة تكون الفصل ما بين الخطابة والعمل الفني، فرغم محاولته المتكررة، ان يجعل من هؤلاء المناضلين مثلا ودافعا له لعدم اتخاذ اية خطوة من شأنها دفعه الى الاستقرار في المجر، وبالتالي فهو يرفض الزواج من مجرية، ويرفض الاقامة الدائمة ويربط مستقبله بأى بلد غير بلده سورية، رغم ذلك كله الا انه قدم صورة سوداوية لهؤلاء جميعا، وخلط بين هؤلاء المناضلين المخلصين لقضيتهم المشتركة مع كافة مناضلي العالم اينما كانوا، وبين بعض الطفليين

تريد ان تفارقه، لكنه لا يريد ان يستغلها، او يغرب بها، ولا يريد ان يذهب معها الى النهاية، فهو يرفض الزواج، في الوقت الحاضر على الاقل.

وتظل نصيحة - البارمان فيرانتس - تسيطر على تصرفات كرم طوال احداث الرواية، - احذر ان تكون عجريا ... سواء مع بيروشكا، او مع ايرجكا، المغنيّة التي تعرف عليها عن طريق الصدفة والتي جاءت غير موفقة، حيث ان حنا مينة، لم ينجح - في اعتقادي - في طرح صورة مقنعة، لتعرفهما، اذ بينما في الشارع يسأل احدا المارة بالفرنسية عن الشارع الذي يقع فيه بيته - والذي ضل الطريق اليه - لم يفهم الرجل عليه، فاستعان بامرأة اطلّت عليهما فجأة، ورغم عدم معرفتها للفرنسية الا انها ادركت ما كان يريد، فطلبت منه مصاحبتها، فيفاجأ بها تصحبه الى ملهى، وتزداد دهشة حين يكتشف انها مغنية مشهورة ومحترفة، ... تغني له، وتهديه احدى الاغنيات، ... ثم ترافقه الى البيت بعد انتهاء عملها، .. لتبدأ قصة عشق عنيفة، تسيطر على جزء مهم من الرواية، لا يقل عن الجزء الذي تحتله قصة مع بيروشكا.

احداث الرواية التي يبلغ عدد صفحاتها ٣٢٨ صفحة، مليئة بوصف اللقاءات الغرامية الحارة، مرة بين كرم وبيروشكا، ومرة بين كرم وايرجكا. وحنا مينة، يجيد الوصف اجادة يكاد لا ينازعه احد فيها، الا ان وصفه هنا يضعنا امام تساؤل كبير، يتعلق بالضرورة الفنية لهذا الوصف، واعني، هل كان من الضروري ان يفرد حنا مينة كل هذه الصفحات لوصف لقاءات غرامية لا تقدم شيئا ولا تضيف

نفسه .. يتعاطف مع بقايا من احساس
ترفض التسليم بالهزيمة .. يعوّض ذلك
بالمشاركة المباشرة في اعمال تطوعية، يجمع
التبرعات لمنكوبي الحرب، والمتضررين .. الا
ان ذلك لا يخرجهم من محنته واحاطه ..
يترك كل شيء .. ويقرر العودة الى الوطن ..
ناركا وراءه حبه .. وذكرياته الجميلة .. يودّع
بيروشكا .. ايرجكا .. ضياء .. حسن ..
سميحة .. والبارمان فيرانتس .. ويعود الى
دمشق .. في المطار ، يستقبله رجال
المخابرات .. ويمتقلونوه ...
الى هنا وتنتهي الرواية ...

يبقى ان اقول .. ان من يعرف ان حنا
مينه عاش فترة الستينات في بودابست ، ومن
يعرف ملامح شخصية حنا مينه .. لا بد ان
يعقد مقارنة بين شخصية كرم .. وشخصية حنا
مينه ...

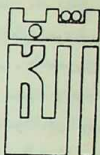
كما ان المتتبع لمسيرة حنا مينه
الابداعية منذ الشراخ والعاصفة .. وحتى
الياطر .. والمرصد وحكاية بحار .. من حقه
ان يتساءل .. هل كتب حنا مينه رواية "
الربيع والخريف" اثناء اقامته في بودابست
اي في الستينات ؟ .. وهل اراد حنا مينه ان
يكتب عن تجربته، فرأى نفسه في كرم ؟ ..
وان كان الامر كذلك .. فلماذا افرج عن
روايته بعد عشرين سنة ؟ ... !

امثال محمد حميش ونديم ، الذين يتاجرون
بالعملة الاجنبية وبالتهريب ، والمتاجرة ببعض
النساء ، وابتزاز بعض المغفلين القادمين من
دول النفط - العراق والكويت - وترتيب
السهرات الداعرة لهم وسرقتهم ..

اما الامر الاكثر وضوحا فيما يتعلق بالنمطية
، فهو ما ورد في الباب السادس عشر والذي
يبدو وكأنه اقم على الرواية ، فبدأ وكأنه
محاضرة في الاخلاق والسلوك الواجب اتباعها
في الخارج وخاصة في دولة اشتراكية مثل المجر
، بل ان الفصل المذكور يبدو وكأنه يشكل
الخطوط العريضة لقصة بوليسية ليس لها علاقة
برواية " الربيع والخريف " ...

اما محاولة حنا مينه الخروج على الرتابة
في محاضرات كرم الادبية في الجامعة ، فلم
تنقذه من المراوحة حول بيروشكا وايرجكا ..
والابقاء عليهما محور الرواية وعقدتها ، ثم
... جاءت حرب حزيران ٦٧ ، فقلبت الدنيا
رأسا على عقب ، .. فجأة ينهار كل شيء ..
كرم تركته تطورات احداث الايام الاخيرة من
شهر ايار ١٩٦٧ ، يبني احلامه القومية ،
وانتصاراته الوطنية ، تحمله التداعيات الى
محو الاحساس الدائم بالهزيمة ، تحمله الى
حلم .. لا يدوم طويلا .. يصحو الى انهيار
كل شيء .. الهزيمة .. ليتعمق ما كان قد
تأصل في نفسه .. يحاول ان يشد من ازر

العلاقة بين الفكر واللغة العربية



بقلم : مرزوق عبد ربه - استاذ التربية وعلم
النفس - معهد المعلومات الحكومي

ما يعنيني من هذه المقالة هو المنهج المستخدم فيها وليس مضمونها التفصيلي حيث انني لست من المطلعين على النواحي التفصيلية في هذا الموضوع. ولذلك سوف اتناول الموضوع من جانبين :

- (١) توضيح بعض المغالطات التي توجي بعلمانية وموضوعية المقالة .
- (٢) اظهار بعض التناقضات الداخلية في المقالة .

من حيث المبدأ تثير المقالة الاستغراب لدى القارئ العادي، ليس بسبب ضحالة الافكار الواردة فيها فحسب ولكن بسبب استهتار منهجها بما يمكن ان يسمى الحد الأدنى من العلمانية والموضوعية في البحث :

(١) فالمقالة تخلو من قائمة المصادر التي استخدمها الكاتب - كما يدعي في عرض المقالة - ومن شأن ذلك ان يستحيل على القارئ المدقق التحقق من صحة ما نسب الى المستشهد بهم وصحة تأويله . وكذلك يجد القارئ مجموعة من الاسماء في عرض المقالة دون التعريف بهويات اصحابها الاكاديمية فلا يعرف القارئ فيما اذا كان " بروترو، شوبي ،

كتب الدكتور احمد بكر في العدد السابع لعشرين من مجلة الكاتب للثقافة الانسانية لتقدم مقالة تحمل العنوان اعلاه ليوضح " اثر لغة على التفكير لدى الشخصية العربية فيما علق بسلك المخاطبة والمبالغة. والتوكيد . في الامثلة التي استخدمها اختار الكاتب ان تارن بين اللغة العربية والعرب من جهة اللغة الإنجليزية والأمريكيين من جهة أخرى حاولا بيان عجز العرب ولغتهم امام لأمريكيين ولغتهم . وقد خلص الكاتب في قائلته الى اعتبار المشكلة التي تحدث عنها أنها إحدى المشكلات الرئيسية التي تكمن وراء لتخلف الذي يعاني منه العرب ، "ودعا لزعماء السياسيين والمثقفين والعلماء الى لاهتمام بهذه الظاهرة وما يترتب عليها من نتائج واثار على العلاقات الإجتماعية والثقافية والسياسية " ص ٣٨ .

يحاول الكاتب اضافة صفة علمية على مقالته من خلال الاستشهاد ببعض الامثلة في مجالات المخاطبة، المبالغة والتوكيد وكذلك الاستشهاد بذكر نتائج توصل اليها عدد من الكتاب الغربيين المهتمين بالموضوع .

الاضلاع الاجتماعية والحضارية الراهنة. وإذا كانت اللغة العربية تختلف عن اللغة الأمريكية في أسلوب التعبير فلماذا يعتبر هذا الاختلاف سيئة في اللغة العربية وميزة في اللغة الأمريكية لماذا لا يكون العكس هو الصحيح مثلا ؟.

اجد الأدلة التي تدل على عدم موضوعية الكاتب فيما ذهب اليه هو تبنيه لقصة الشاب العربي الذي ضايق الفتاة الانجليزية. فالقصة في حد ذاتها (إذا كانت صحيحة) خفيفة لا تستحق الاعتبار ولا بد أن الكاتب يعرف بان :
(١) سلوك فرد لا يطرح مقياسا لسلوك مجتمع .
(٢) لا بد أن الشاب العربي خاطب الفتاة الانجليزية باللغة الانجليزية وليس باللغة العربية .

(٣) لو توخى الكاتب الموضوعية لروى لنا سلوك مجموعة عشوائية من الطلبة العرب بالمقارنة مع مجموعة عشوائية مشابهة من الطلبة الانجليز مثلا في كيفية مضايقة الفتيات .
(٤) ان نمط سلوك الفرد المفترب غالبا ما يتكيف مع انماط السلوك المتعارف عليها في المجتمع الجديد ، ومن الصعب ان يقبل بان نفس السلوك السيء لشخص عربي مفترب الى عرويته وبنفس الوقت تتجاهل السلوك الحسن وإذا اخذنا المسلك العام لاقلية مفتربة بانه انعكاس لخلفيتهم الحضارية فان ذلك يجب ان يطبق على جميع مظاهر السلوك وليس على السلوك الشاذ فقط .

(٥) يستخدم الكاتب الكثير من العبارات الغامضة . والتي لا تتم عن صفات تتعلق باللغة نفسها وانما هي في الغالب من طبع الكاتب فمثلا العبارات التالية والمستخدمه في عرض المقالة تدل على مدح الكاتب في التفكير :
" افترض بعض العلماء " ص ٣٥

وورف . الخ علماء لغة او علماء نفس او قادة عسكريين ، او رجال اعلام او مجرد اسماء لا وجود لها في الحقيقة . ان اغفال الكاتب التحريف بجماعته يدل على استهتار الكاتب بعقلية القارئ على احسن تقدير ، ومن الغريب ان يستخدم الكاتب اسلوبا من هذا النوع لمناقشة مشكلة بهذه الدرجة من التعقيد والحساسية .

(٢) يخلص الكاتب اثناء عرضه الى مجموعة من التعميمات (او الاتهامات) التي لا يمكن استنتاجها من العرض . فقائمة الاتهامات تشمل :

- تضغط اللغة العربية على من يتكلمها بأن يستخدم التوكيد والمبالغة ص ٣٦ .
- يميل الحديث العربي الى التوكيد والتكرار ص ٣٧ .

- لا يهتم العرب بالزمن والتوقيت الدقيق كما يهتم به الغربيون ص ٣٧ .
- العرب يقسمون استخدام الكلمات الصوتية الرنانة من اجل الكلمة ذاتها فقط ص ٣٦ .
- الحديث العربي يتميز بالمبالغة ص ٣٦ .
مثل هذه التعميمات يعوزها الدليل على اقل تقدير كما انه ليس واضحا فيما اذا كانت

هذه صفات على افتراض صحتها تنسب الى طبيعة اللغة العربية او صفات تتعلق بالشخصية العربية . كما يبدو ان الكاتب يميل الى اعتبار هذه الصفات بانها نقائص لمجرد انها ليست موجودة بنفس المقدار من التركيز في اللغة الأمريكية وعند الأمريكيين . واعتقد انه من الخطأ اتخاذ لغة ما مقياسا لصلاحية اية لغة اخرى ، واعتقد كذلك انه من الطبيعي ان تتفاوت عادات الشعوب ولغاتها حسب المعطيات الحضارية التاريخية ومستلزمات



بالنسبة للشقاقت الداخلية في المقالة
فالكاتب يورد بعض العبارات باللغة الانجليزية
ومقابلتها باللغة العربية . ولست ادري لماذا
تستهوي العبارات الانجليزية الكاتب بالنسبة
لمقابلتها العربية . نورد فيما يلي العبارات
الانجليزية ومقابلتها التي استخدمها الكاتب

الانجليزية	العربية	بديل
Thank you	شكرا	اللهم يكثر خيرك
Good Morning	صباح طيب	صباح الخير
We miss You	اوحشتنا	اشتغنا لك

واضح ان الكاتب اختار مقابلات عربية
للعبارات الانجليزية تتناسب مع وجهة نظره .
ومع العبارات العربية المختارة ربما تؤدي
المعنى المقصود ، لكنها ليست العبارات الاكثر
شيوعا وليست الاسهل . فالعبارات البديلة
المذكورة في العمود الثالث ليست اصعب من
مقابلتها الانجليزية وليست اكثر منها مبالغة
او توكيدا . الخ .

كذلك يدعي الكاتب ان الفرد العربي
يحتاج الى تكوين جمل من كلمات عددها اكثر
من عددا الكلمات في اللغة الانجليزية ليصل
الى نفس الانتاج "ص ٣٦ ، ويستخدم ترجمة
لعبارتين (ما فعلت) ، (ماذا فعلت) .

ما فعلت What did you do
ماذا فعلت What is this you did

ليدلل على ذلك . واضح من الترجمة
التي استخدمها الكاتب ان الامريكي يحتاج الى
اربع او خمس كلمات ليعبر عن نفس الشيء
الذي يحتاج العربي اليه كلمتين فقط للتعبير
عنه . وبناء على المثال المقدم ، فان الامريكي

" حاول علماء اللغة وعلماء النفس
ووجدوا ٠٠٠ " ص ٣٧ .

" توصي الابحاث العلمية والتفسير
المنافي ٠٠ " ص ٣٨ .

اقل ما يقال في مثل هذه العبارات انها
ليست من العلم في شيء فانها تعبير عن
هروب الكاتب من الاحساس بالمسؤولية نحو ما
يقول . مثل هذه العبارات تدل على ان
الكاتب يحاول ان يقيد التهمة ضد مجهول
شأنه في ذلك شأن بعض اجهزة الاعلام العربي
عندما تقول " ذكرت وكالات الانباء " ، و
" صرح مصدر مسؤول " ٠٠ الخ .

الامثلة الواردة اعلاه تدل على بعد
الكاتب عن المنهج العلمي في كتابته ، وتدل
ايضا على حجم التظليل المستخدم بالصاق
اتهامات بالعرب واللغة العربية يعوزها المنطق
السليم والتفكير الواضح .

اود ان اوضح هنا بانني لا اقتصد مما
ذكرت الدفاع عن العرب او اللغة العربية فانا
اعتقد ان المجتمع العربي (اذا صح التعبير)
فيه من النواقص الخطيرة والتي تشل حركة
تقدمه وبنائه مثل التخلف في التربية والتنظيم
وحرية الفكر ٠٠٠ الخ . لكن هذه النواقص هي
مظاهر قابلة للمعالجة حتى لو اقتضى ذلك
فترات زمنية طويلة وجهودا كبيرة ، اما الاتهام
الذي يوجهه الكاتب فانه يتضمن استحالة
التغيير والتقدم لانه ليس من المنتظر ان يحصل
تغيير جذري في تركيب اللغة العربية وطرق

استخدامها في المدى المنظور . ومن هنا تبدو
خطورة ما ذهب اليه الكاتب وكأنه يقول لنا
لا تحاولوا ، ليس لكم امل لان ثقكم ومسلحكم
لا يشبهان اللغة والمسلك الامريكي واذا اردتم
فلا بد لكم ان تتأمركو .

يحتاج الى ضعف عدد الكلمات بالمقارنة مع
العربي .

هناك قضية اخرى لا بد من ابرازها وهي
تتعلق بما ذكره الكاتب من حيث عدم اهتمام
العرب بالزمن والتوقيت . مع انني اتفق مع
الكاتب بان الاهتمام بالتوقيت والزمن ودقة
المواعيد .. الخ هي بعض المشاكل التي
يعاني منها العالم العربي الا انني اختلف معه
تماما بان مثل هذه الظواهر مرتبطة بعزوبة
العرب او لغتهم . ان هذه الظاهرة موجودة
لدى جميع الدول المتخلفة لاسباب تتعلق
بمرحلة النمو الصناعي والاقتصادي ومتطلبات
الحياة اليومية ، وليست صفة حضارية مستديمة .
ويستخدم الكاتب المثل القائل اللي فات مات
ليدل على عدم اهتمام العرب للماضي .
ولكن الكاتب يتجاهل المناسبة التي يقال فيها
هذا المثل ، فهو لا يذكر بشكل مطلق وانما
يستخدم لفض المشاكل والمنازعات ويدعو
الاطراف المعنية الى نسيان الحوادث المؤسفة
وعندما يشمل الماضي على احداث جديدة
بالاهتمام فان العرب يقولون " اسأل مجرب
ولا تسأل طبيب " ، اللي ما لو قديم ماله
جديد .

خاتمة :

معالجة الدكتور احمد بكر لموضوع "

العلاقة بين الفكر واللغة العربية " ليست علمية
في منهجها ويستخدم اسلوبا خاصا بالتضليل
للإيهاء بالموضوعية والعلمانية . ويجدر
بالكاتب الا يسارع الى التعميمات التي يبرزها
الدليل القاطع والاستشهاد المتوازن وان ما
توصل اليه هو اقرب الى كونه اشاعات من ان
يكون حقائق يمكن الاعتماد عليها . ويبقى
موضوعه بحاجة الى بحوث جديدة
في منهجها واسلوبها . وانه لمن الخطورة
بمكانة في مثل هذه المواضيع ان تتخذ
المجتمعات والحضارات المتقدمة بانها هي
الصحيحة وكل ما خالفها فهو باطل ، وليس
من الصعب ان يجد الباحث بعض الظواهر
المنتشرة في المجتمعات المتقدمة وخاصة
المجتمع الامريكي (والتي تدل على قمة في
التخلف بجميع المقاييس ، فظاهرة التمييز
العنصري ، وظاهرة استغلال الطبقات العاملة ،
وظاهرة الانحلال الاسرى .. الخ . هي امثلة
على ظواهر لا تفخر بها امة من الامم وهي
مستفحلة في المجتمع الامريكي اكثر من اي
مجتمع آخر . ويجب ان لا يفهم من هذا
القول بانني امدح المجتمع العربي واذم
المجتمع الامريكي بل ادعوا الى الموضوعية في
التفكير والبحث ، بغض النظر عن النتائج فلكل
مجتمع وحضارة ولغة ، حسنات وسيئات ، ولا
يجوز ابراز بعضها على حساب البعض الاخر .

التشكيل محتفلون بالاول من ايار عيد العمال العالمي ١٨٨٦-١٩٨٦



بقلم : علي الجبري

- خط الواقعية والابداع التشكيلي .
ويتجاوزهم لهذه الخطوط الثلاثة يكونون
قد اصلوا مسيرتهم من المعاناة الفنية
التجريبية وتجاوز ارغفة الاشكال والمسكن
الموضعي في البحث الى المواجهة والمشاركة
في الابداع التشكيلي .

وقد تجلت هذه المشاركة الابداعية
تشكيليا في لوحات كريم دباح . في لوحاته
التضامنية مع بيرزيت والمطالبة بالحرية
الاكاديمية نحو: "ارفعوا ايديكم عن جامعة
بيرزيت" . والتضامن الكفاحي ضد العدوان
الارهابي على ليبيا في لوحته "ارفعوا ايديكم
عن ليبيا" ولوحة "الذكرى المئوية لاول ايار"
والذكرى الاربعين لتأسيس اتحاد النقابات
العالمي الديموقراطي" وبشترك معه وليد
حمودة في تضامنه مع ليبيا في تشكيل مكر
مقارب .

وظهرت المواجهة في تشكيلاته الرائعة،
الحمامة تحطم الصليب المعقوف وساعد العمال
يلوى ذراع الامبريالية .

الى جانب لوحاته الاخرى والتي كرر فيه
نماذج فنية تقليدية كالبورترت والبوستر

في قاعة المطران وبالتنسيق بين الاتحاد
العام لنقابات العمال ورابطة الفنانين
التشكيليين الفلسطينيين . اقيم معرض تشكيلي
احتفالا بيوم الاول من ايار عيد العمال
العالمي والذكرى المئوية ١٨٨٦-١٩٨٦ .
وقد جسد المعرض الشعارات الاحتفالية
بالفن التشكيلي تضامنا مع كفاح الطبقة العاملة
الفلسطينية والعالمية .

وجاء المعرض حشدا فنيا تشكيليا شارك
فيه نحو ستة عشر فنانا وفنانة من مختلف
مناطق الوطن الفلسطيني .

وقد احتشد في يوم الافتتاح الالوف من
ابناء الطبقة العاملة امام المعرض حيث افتتحه
الامين العام لاتحاد نقابات العمال عادل
غانم بعد انتهاء الاحتفال العمالي الخطابي
والفني في قاعة الحكواتي .

ويمكن القول بان التشكيليين
الفلسطينيين تمكنوا من العبور على ثلاث
خطوط :

- خط المعاناة الفنية التجريبية .
- خط الاظرفة المغلفة بالموتيفات (الجملة
التشكيلية) .

x الذكرى المئوية لمذبحة العمال المضربين في شيكاغو

بشهداء الطبقة العاملة فزينت جدران المعرض
برسومات باليد للشهداء معين بيسو لعصام
حلس واحمد ديب دحدول وخليل السالم
لخليل غندور .

وشاركت في الواجهة التشكيلية نيلي
اسطمبولي بالاعمال الزجاجة واين برذويل في
لوحة جمعت الحب والجراح والورد والحرب
والشمس تطلع من بعيد اعتمد فيها على
البنوية المتكافئة واللون والحركة .

ومحمد العاوور احتفل بشكل تظاهري وقد
ظهرت لوحاته في الحرق على الخشب ترفع
شعارات نحو: نعم لوحدة الطبقة العاملة
وعاشت ذكرى اول ايار يوم التضامن العالمي
وحسام ناصر شارك باعمال " الغرافيك "
داخلها بالحرف العربي والخط العربي
والالوان الاحمر والابيض والاسود والاخضر
والازرق وجمع بين الدماء والاورار والماء
الطليعة تكرر القبود بالحرب في السنة
الثامنة لميلاد جريدة الطليعة . يستخدم
" الارايكس " في تشكيلاته .

عدنان الزبيدي : شارك وواجه في
تشكيلاته الناهضة من خلال عرض لوحة لرواد
الماركسية الاوائل ماركس - انجلز - لينين
ويستخدم الخامة البسيطة المادية بشكل
بالاسلاك الشائكة المعدنية في " تمكين الظاهر
وكشف المظروف " ويركر كغيره على الالوان
الازرق والاحمر ويعطي هذه اللوحة شكل العلم
الامريكي وسواعد العمال تمزقه حتى لوكان
مصنوعا من الاسلاك الشائكة. ولوحة اخرى له
تظهر متفائلة في تحطيم الطبقة العاملة
للبيت الابيض، غير انها من الناحية الفنية
كررت شكل المسكن الموضعي في البحث وهو
ما ظم في لوحاته الاحتفالية بالذكرى الثموية

والملصقات والتشكيل السميتري في نحاسياته
والحفر على الخشب وقد تجلت السميتريا في
التشكيلات الهندسية والوردية .
هذه المواجهه كررها المشاركون في معرض

ايار .

فظهرت في لوحات قاسم منصور ووليد
حموده وخالد الحوراني من خلال دقة اختيار
الالوان والتشكيل بالاخضر والاحمر والابيض
والازرق وكما ظهرت مساكن الطبيعة كالورد
والشمس والارض. والدم والربيع . والمنجل
والمطرقة .

والتشكيل بالحرف كما عن قاسم منصور
وابراهيم المزين فتظهر الطبقة العاملة
وطليعتها تحتفل بالاول من ايار ومعاناة العمال
في كدحها وفي تحطيمها لقيود الاستغلال
والقهر .

ويشارك اسامة خالد في لوحاته العمال
وهم يرفعون ادواتهم يساندتهم الفلاحون وهم
يهتفون بالاول من ايار . والمرأة الفلسطينية
تحي نضال الطبقة العاملة .

وهي ذات المشاركة المكررة عند سمير ظاهر
في لوحة الاول من ايار التي تعكس تضامن
وتحالف العمال والفلاحين .

اما فتحي فحجان . فقد شارك في لوحات
تشكيلية تصويرية تعكس معاناة الطفولة
العاملة وبائع الفلافل وعاملات النسيج اليدوي
التراشي .

الشيء الجديد الذي اخرج فتحي فحجان
عن التصويرية الواقعية المجردة تشكيلاته
بالخطوط واستخدام الشعر في لوحة القدس
وسوق الجمعة والفلاحات البائعات والسلال
والثوب الفلاحي في الحرق على الخشب .

والتشكيليون لم ينسوا ابدا الاحتفال



لاول ايار ويشكل بالخط والكلمة منجلا ومطرقة
موحدا الطبقة العاملة والفلاحين في تحميمهم
للصخر الصلب .

وشاركت سعاد نصر من حيفا في الاشكال
التعبيرية الجرافيكية والكولاج التشكيلي
والقصيدة المشكلة .

ونادر حذوه : راوح المظروف بالتمثال
التاريخي التعبيري .

اما الفنان فتحي غبن مدرس التربية
الفنية في غزة فقد اكد على التراث فجمع
في تشكيلاته البحر والرمال وراعية الماشية،
الصحراء وراكبي الجمال والفلاحين منظر
الشجرة العارية والصحراء . الشيخ والخراف
ويتكرر المظهر التشكيلي موضعيا في الصخور
والرمال والاتربة والاشجار الصحراوية والجذور
الباقية في الارض ، وصور الفلاحين واشجار
الزيتون .

اما قاسم منصور .

فيعطي ايار نشيدا تشكليا من خلال
لوحاته فهي اقرب الى الجو الفني الشعري
منها الى المعيار التوقيعي حيث تشاهدون ايار
والطيور والباقة الحمراء والعائلة العمالية وسط
المعمل والدخان المتصاعد وفرح الانتاج وعرق
الشغيلة والمنجل والمطرقة . والشعر العربي -
بالخط العربي هذى المطارق والمناجل تحصد
الظلام حصدا وتحرر الانسان حتى لا ترى في
الكون عبدا . صورة . لينين والراية الحمراء
تخفق فوق العالم الكروي . وبرز وحدة الراية
والمرأة والرجل معا على طريق الانتصار .

وباختصار . ظهر هذا الاحتفال . في حشد
تشكيلي فني متقدم تجاوز الاطرفة المفلفة
بالموتيفات وجسد المعاناة المشاركة والمواجهة
وحقق الابداع التشكيلي فمزيدا من الالتحام .
ومزيدا من الابداع والى الامام .

فلسطين في عين تشيلي



، وانريكي سولانين استاذ تاريخ الفن في جامعة تشيلي والناقد الفني ريكاردو بندي استاذ في تاريخ الفن .

كما شارك في هيئة التحكيم من النادى الفلسطيني رئيس النادى السيد كارلوس ابو مهر توما ، والمدير السيد كارلوس عبارة وفي نهاية الحفل الذى حضره اكثر من الف شخص ، وزعت جوائز مالية على الفائزين وكانوا ثلاثة من المحترفين ، وثلاثة من الهواة ، وقد اشار عميد كلية الفنون في جامعة تشيلي بمبادرة النادى ، مؤكدا على اهمية هذه النشاطات .

كما تحدث الخطباء ، فاثنوا على الجهود التي بذلت من اجل تحقيق هذا الهدف النبيل ، داعين الى ضرورة الاستمرار في تقديم هذه النشاطات من اجل خدمة القضية الفلسطينية ، والتعريف بها .

والجدير بالذكر ان عددا كبيرا من سفراء وقناصل الدول العربية ، ورجال السلك الدبلوماسي الاجنبي حضروا الاحتفال ، بالإضافة الى مكتب الاعلام الفلسطيني ، واتحاد الشبيبة الفلسطينية ، وعدد كبير من الاتحادات والمؤسسات الثقافية والمهنية في تشيلي ومختلف مناطق امريكا اللاتينية .

يعتبر النادى الفلسطيني في تشيلي احد ابرز الهيئات الشعبية التي تنتشر في مختلف بلدان امريكا اللاتينية ، وينشط اعضاء النادى في اقامة العديد من النشاطات الفنية والثقافية للتعريف بالتراث الفلسطيني ، ولشرح القضية الفلسطينية والدعوة الى مؤازرة الشعب الفلسطيني في نضاله العادل من اجل اقامة دولته الوطنية المستقلة على ترابه الوطني ، وكان من ابرز نشاطات النادى الفلسطيني في تشيلي ، التظاهرة الفنية الكبيرة ، التي دعا اليها النادى ، بعنوان " فلسطين في عين تشيلي " بمناسبة يوم التضامن مع الشعب الفلسطيني الذى يصادف ١١/٢٩ وكان عدد الفنانين المشاركين في المعرض ستمائة وخمسون فنانا ، قدموا ثمانية لوحات فنية ، وقد تم اختيار خمسة وخمسين فنانا محترفا ، وواحد وثمانين فنانا من الهواة التشيليين .

وقد تشكلت الهيئة المنظمة للمعرض برئاسة السيد "نانسي لولص" وتكونت لجنة التحكيم من الفنان كارلوس بيدراسا ، والناقد الفني فكتور كرفاشو ، وهو عضو الجمعية الدولية للناقدون الفنيين ، والسيدة دولورس موهيكا غارسيا ويدرفرو مديرة المتحف الفني العصري



طه حسين بين الأصالة والتحديث



مكتبة
بيرزيت

بقلم : نظمي عادي - جامعة بيرزيت

طه حسين كأحد المفكرين القوميين

=====

ان دراسة لمفكر لامع وباحث كبير في التراث والادب والثقافة والحضارة العربية الاسلامية بحاجة الى مدخل ومنهج دراسي حتى نستطيع تفهم ذلك المفكر والاثار التي تركها . وهذا المنهج الذي سأسلكه في بحثي هذا سوف يكون هو المفتاح الذي بواسطته استطع دخول هذه الظلام التي دارت حول كتابات طه حسين وخاصة كتابه في الادب الجاهلي . ومنهجي هو حين يكون المرء قد عاش طويلا في جو ثقافة معينة وقد بذل الجهد الكبير ليكتشف اصولها وطرق تطورها فان هذا المرء يحس باغراء يدعوه الى ان يدير ناظره بالاتجاه المعاكس ، ويتساءل بينه وبين نفسه عن المصير اللاحق لهذه الثقافة والتحول التي لا بد ان تنتابها ، وهذا بدوره يحتاج الى اشخاص لديهم القدرة على رؤية النشاط الانساني بشموليته (١) .

ان فهمنا للفكرة السابقة جزء لا يتجزأ من فهمنا لما قام به طه حسين والدور الذي لعبه على صعيد الثقافة العربية ورغم ان فرويد في النص اعلاه كان يقصد شيئا اكثر من ثقافة اقليمية معينة الا انه يمكن تطبيق مثل هذا المنهج على ثقافة امة او شعب معين وهنا استطع ان اجزم بان طه حسين استطاع بعقلية الاديب والناقد والمفكر ان يشكل نظرة مختلفة وجديدة في فترة مهمة من تاريخ الامة العربية الا وهي الفترة الجاهلية وصدر الاسلام وهنا يكمن اختيار طه حسين كمادة لمثل هذا البحث ، فطه حسين حاول البحث في الجوانب التي يباح البحث فيها من حياتنا السياسية والادبية والاجتماعية ، حاول ايضا ان يقتحم التراث العربي لكي يعيد النظر فيه مخالفا من سبقوه والذين جعلوا من ذلك التراث حصنا مقدسا لا يمكن فحصه والتأكد من مادته . وطه حسين لم يختار القوالب الفكرية الجاهزة ورفض التقليد الاعمى ، بل واختار التفكير الحر . التفكير الذي يقوم على مبدأ الشك الموصل الى اليقين والحقيقة الساطعة بجمالها وجراحها ولان البعض لا يتحمل جروح الحقيقة

فاننا نجد الازهر قد أقام الدنيا واقعدها على رأس طه حسين (٢) والطريقة السالفة الذكر دائما تكلف اصحابها تضحيات كبيرة على جميع المستويات خاصة في المجتمعات المحافظة التي في بدايات تطورها الفكرى والتي ايضا لم تأخذ بعد بمبدأ النقد الموضوعي والنقد الذاتي. ومن هنا ايضا نستطيع تفهم تلك الثورة والتحرر الذى كان يسيطر على القطاع الواسع من المثقفين المصريين .

على ضوء ما تقدم نستطيع القول ان طه حسين خلق صراع اضداد داخل المجتمع المصرى . صراع اشتعل لهيبه بين محافظ ومجدد سواء على صعيد السياسيين او الادباء وحتى المثقفين ، ذلك الصراع الذى عرى المجتمع المصرى ودفع الكثير من الكتاب الاجتماعيين الى اعادة النظر في كثير من الامور التي كانت تجرى ساكنة في المجتمع المصرى . فالمجتمع يجب ان يوجد فيه الاشخاص القادرون على هذه وتوجيه الضربات الموجعة اليه ، حتى يستطيع التخلص من الشوائب التي تكن بداخله من غبار واوساخ تعيق تقدمه واستمراره ونموه . وبدون تلك الضربات والتي دائما توجع ايدى اصحابها واحيانا تؤدى بهم الى نهاية مأسوية لن يتقدم ولن يسير قيد ذره . وفي تصورى بان طه حسين كان كذلك فقد حاول ان يغير ما اخذه من ثقافة وتنشئة اجتماعية وسياسية جاهزة بدون فحص او تنقيب وهذه الهزة كادت ان تؤدى به وبكل من حاول ان ينهج نهجه . وعليه كان اختيارنا لطفه حسين كموضوع لمثل هذه الدراسة المتواضعة والتي سحاول فيها الكشف عما يحدث في المجتمع المصرى وعما احده طه حسين في ذلك المجتمع في نهاية القرن السابق وبداية هذا القرن .

الاضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مصر نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

أصبحت مصر منذ عام ١٨٨٢ مستعمرة انجليزية ، الا ان اوضاعها من الناحية الاجتماعية والاقتصادية لم تتغير لغاية عام ١٩١٤ ، حيث ان بريطانيا اعتبرت مصر جزء من الامبراطورية العثمانية . حيث كان الخديوى يتراأس هيئات السلطة السابقة في مصر . كان مجلس وزراء الخديوى نفسه في وضع ان السلطة موصورة في ايدى الحكم الانجليزى حيث ان الحكومة المصرية كانت مجردة من السلطة والشعب المصرى كان محروما كليا من الحقوق واقامت انجلترا دكتاتورية الراسال الانجليزى وقد قمعت الحركة الوطنية المصرية (٣) .

الا ان النظر الى هذه الحركة - الحركة الوطنية المصرية انذاك نجدها حركة غير منظمة ، حيث ان قمع انتفاضة عرابي باشا في ثمانينات القرن التاسع عشر ادى الى تشتت كوادر الحركة الوطنية المصرية . حيث اصبح معظم اعضائها يمارسون النشاطات السياسية بشكل سرى . ورغم ذلك فاننا نجد في تسعينات ذلك القرن قد شكلت منظمات وحلقات وطنية انتعش نشاطها عن طريق النشاط الذى كان يقوم به ايدىولوجيو البرجوازية الوطنية (٤) غير ان تلك البرجوازية والتي كانت تنصدر وجه



الحركة الوطنية المصرية لم تكن تؤمن بإمكانية الحركة الشعبية الجماهيرية حيث حسبت الف حساب لانكلترا التي ستقوم بقمع تلك الحركة الوطنية، بالإضافة الى ذلك وجد ان بعض فئات من البرجوازية المصرية تستنكر خوض النضال ضد المحتلين الانجليز معتبرة قدوم الانجليز مصدر خير للشعب المصري. وقد اعتبرت هذه الفئات ان مهمتها ستكون في النضال من اجل الاصلاحات الداخلية وتغيير الكيان الداخلي للحياة المصرية ومن اهم هذه الفئات او من اكبر منظريرها هو محمد عبده واتباعه الذين كانوا قد وضعوا الحجر الاساسي للاصلاحات الاسلامية في مصر (٥).

ولد الشيخ محمد عبده عام ١٨٤٩ وقد تعرف على جمال الدين الافغاني عام ١٨٧٢ وقد شارك الشيخ محمد عبده في انتفاضة عرابي ونفي الى الخارج اى خارج مصر على اثر ذلك. وفي عام ١٨٩٩ تصدر منصب مفتي الديار المصرية (٦) بمساندة السلطات الانجليزية له. وقد توفي الشيخ محمد عبده عام ١٩٠٥. وقد ناضل محمد عبده والمصلحون المسلمون ضد السيطرة السياسية للاقطاعيين وايدولوجيتهم وضد رجال الدين المسلمين المحافظين المرتبطين بهم واتهموهم بتشويه الاسلام وحملوهم سوء ولية تأخر البلاد واستعبادها ودعوا ايضا الى تجديد الاسلام بالعودة الى اصوله الحقيقية وهي السنة النبوية والقرآن الكريم. وهذه نقطة مهمة جدا تقتضي هنا ان نقف عندها حيث اعتبرها احد المؤرخين الكبار للوطن العربي في العصر الحديث انهم كانوا يسعون الى تكييف الاسلام وفقا للعلاقات البرجوازية حيث ان مفتي الديار الاسلامية اعطى محمد عبده

فتوى بالسماح له بتعاطي الفاض وايد تبني المدنية الرأسمالية الغربية، وكان يرى انه لا يوجد اى تناقض اساسي بين الاسلام وبين العلم ودعى الى الاعتراف بالحقوق والحريات البرجوازية الاولى على اساس المبادئ الاسلامية واعتبر الاسلام ديناً ديموقراطياً (٧) اما الناحية الثانية التي اثر فيها محمد عبده والمصلحون المسلمون فهي الناحية الفكرية حيث كان لهم تأثير بالغ في النمط المعاشي لحياة المسلمين وفي طريقة تفكيرهم في التطور اللاحق للاراء الاجتماعية والسياسية في مصر وقد تقبل الناس نشاط المصلحين حيث كان هذا النشاط منصب على اجراء نهضة اقتصادية وثقافية في مصر مع التخلي عن النضال السياسي. وفي هذا التخلي يكن الجانب الرجعي لنشاط المصلحين المسلمين الذين كانوا عائقاً موضوعياً في سبيل تطور الحركة الوطنية التحررية في مصر (٨) ومن ناحية اخرى فقد نشأت مبادئ نزع القومية العربية مع ظهور الحركة الاصلاحية الاسلامية حيث ناضل هؤلاء ضد سياسة تتركب العرب في الامبراطورية العثمانية ودعوا الى اللغة العربية الفصحى والتي اهتموا بها اهتماماً خاصاً في تاريخ الشعوب الاسلامية. وهذه الفكرة لم تجد صداها على صعيد المسلمين وحسب، بل على صعيد قومي عربي اجتماعي حيث نجد المصلح الاجتماعي عبدالرحمن الكواكبي قد اعطاها اهتماماً خاصاً والذي يعتبر مؤسس فكرة القومية العربية (٩).

ولد الكواكبي في حلب سنة ١٨٤٩ وهو سوري الاصل ودعا الى مقاومة الاتراك وقد سجن ونفي من سوريا واخيراً توفي في مصر عام ١٩٠٣ وقد نشر في مصر كتابه بطابع الاستبداد وام القرى، وفي كتابه ام القرى يصور الامة الاسلامية وقد اجتمعت في مكة تنظر في مشاكلها وخلافاتها القائمة وقد تصور مركز دوله عربية موحدة هي مكة (١٠).

وقد دافع الكواكبي عن الفقراء والبؤساء وطريقة تعليميه تشبه اراء المثقفين الفرنسيين

والإيطاليين، كذلك استنكر الكواكبي علم اللاهوت المدرسي والتعصب الديني، حيث دعى إلى وضع الوطن فوق الدين والوطنية خلف الخلافات الدينية. وتعتبر نشاطات الكواكبي ذات مدلول تقديمي وقد كان ذلك بمثابة اعداد ايدولوجي لنهضة عربية واحدة (١١) بالإضافة إلى ما قيل عن الظروف والأوضاع التي كانت تسود مصر في أواخر القرن المنصرم وأوائل هذا القرن فإن الطرف السياسي كذلك انتعش وكان له تأثيره. فقد هب لهذا الظرف المفكر المصري العربي البارز مصطفى كامل حيث يعتبر من أكبر الكتاب في المجتمع المصري آنذاك وقد لعب مصطفى كامل دوراً طليعياً في تطوير المنظمات المصرية الوطنية وفي النضال السياسي.

ولد مصطفى كامل عام ١٨٧٤ وقد درس الحقوق في فرنسا ويذكر أنه كون تنظيمًا وطنياً وهو لميذ. وفي فرنسا وأثناء دراسته تعرف على نخبة من الكتاب الفرنسيين والذين تلقوه وساعدوه على نشر مؤلفاته السياسية وذلك يرجع إلى العداء الذي كان يسود العلاقات الفرنسية البريطانية كدوليتين مستعمرتين إلا أنه في النهاية أدرك بأن هذه اللعبة عديمة الجدوى أي استغلال العداء الفرنسي البريطاني حيث وجد أن فرنسا فضلت المساومة مع انكلترا بدلاً من الدفاع عن مصر واستقلالها. وفي سنة ١٩٠٠ ترأس صحيفة اللواء وأخذ يكتب فيها ضد السياسة الانجليزية في مصر وضد سياسات الدول الامبريالية بصورة عامة. وقد حاول في هذه الفترة أن يتقرب من الخديوي عباس الذي كان يحكم مصر في ذلك الوقت إلا أن ذلك لم يكن له جدوى سوى حصوله على لقب باشا (١٢).

وفي سياق الاحداث السياسية التي حدثت في مصر في هذه الفترة ايضاً " حادث دنشواي " * حيث كان هذا الحادث مثيراً للاستياء حيث كان لهذه الحادثة تأثير عالمي فقد اضطرت بريطانيا إلى تقديم نوع من التنازل حيث افرجت عن سجناء دنشواي (١٣).

أما بالنسبة للشق الثاني من الحياة السياسية في مصر في تلك الفترة فإنه يتمثل في وجود أو نشوء الأحزاب السياسية والنقابات، حيث ألفت جماعة من المصريين من ذوى الولاء الانجليزي " حزب الإصلاح " في عام ١٩٠٧، حيث كان من أعضائه البيروقراطيين المصريين وبعض المثقفين الذين كانوا يؤيدون التعاون مع الانجليز. وقد اعتمد هذا الحزب على دعم الانكليز له وكان يسيطر على معظم الصحف المصرية مثل الاهرام (١٤) إلا أنه وكما نعلم فإن صراع الأضداد كان لا بد أن يأخذ دوره. فقد ألف مصطفى كامل " الحزب الوطني " في نفس العام الذي تشكل فيه الحزب السابق وكان أعضاء هذا الحزب يمثلون البرجوازية الصغيرة الديمقراطية في الحركة الوطنية المصرية. كذلك تشكل حزب آخر وهو حزب " الأمة " والذي كان يمثل العناصر البرجوازية

* حادثة دنشواي : سنة ١٩٠٦ نشب قتال بين اهالي قرية دنشواي قرب طنطا على الدلتا وبين فرق من الضباط البريطانيين كانوا يسطادون الحمام في الجوار. فوق بعض الجرحى من الضباط ومات احدهم من الرعب ومن حرارة الشمس. وكان كرومر حاكم مصر في اجازة حيث فقد المسؤل ولبن صوابهم ونفذوا في بعض اهالي القرية الاحكام بتشهير بربرى. وقد كان لهذه الحادثة تأثير في نفوس الشعب المصري.

والملاكين العقاريين في الحركة الوطنية وكان هذا الحزب يمثل الخط الوسيط بين الحزبين السابقين (١٥) .

أما بالنسبة للنقابات العمالية في مصر فقد نشأت في نفس الفترة التي نشأت فيها الأحزاب السياسية، حيث أجريت أول محاولة لإنشاء أول نقابة في مصر عام ١٨٩٩ ولكنها فشلت . وفي عام ١٩٠٨ ألف الوطنيون نقابة عمال الصناعات اليدوية التي فتحت لها فروعاً في مختلف المدن المصرية وقادت الحركة العمالية في البلاد وفي عام ١٩١١ كان يوجد في مصر ١١ نقابة تضم أكثر من ١٧ ألف عامل (١٦) إلا أن الحركة الوطنية المصرية بمختلف فئاتها فقد تلقت الضربة في موت مصطفى كامل عام ١٩٠٨، حيث بعد موته فقد خفت حدة الحركة الجماهيرية المصرية . ولكن في هذه السنة هناك مرحلة تحدثت عنها سابقاً بعض الشيء وهي ثورة تركيا الفتاة سنة ١٩٠٨ حيث أعادت نشوء دستور ١٨٧٦ وكان له وقع كبير في مصر، فقد نشطت الحركة الوطنية وجرت مظاهرات عارمة ضد الامبريالية البريطانية وتقدمت جميع الأحزاب المصرية مطالبة بدستور للبلاد وإنشاء مؤسسات بهذا الشأن . وقد ترأس هذه الأحزاب " الحزب الوطني " إلا أن هذه المرحلة بقي مستواها النضالي ضعيف حيث حصرت الأحزاب نشاطها في السياسة والإصلاحات الداخلية فقط . وهنا ونتيجة لهذا الهبوط قامت انكلترا مستغلة ظروف الضعف والتفكك السياسي التي كانت تسيطر على المجتمع المصري بشن هجوم على الحركة الوطنية المصرية ولضرب الوطنييين حيث أصدرت في عام ١٩٠٩ قوانين استثنائية استخدمت كأساس شرعي لظهور الوطنييين المصريين وقمعهم . وأصدرت أيضاً قانون المطبوعات الذي حرم على الصحف المصرية توجيه النقد لسياسة الانجليز في البلاد . وقد صدر قانون آخر يقضي بنفي الأشخاص الذين يتعاونون مع الوطنييين دون محاكمة أو تحقيق (١٧) .

وقد سببت القوانين السالفة الذكر أرباكاً في صفوف الوطنييين حيث هاجر البعض وأخذ يمارس نشاطه السياسي في الخارج وبقي البعض الآخر في مصر يمارس نشاطه السري فيها . وبسبب العمل السري هذا فقد انقطعت العلاقة ما بين الوطنييين والجماهير حيث اتبع الوطنييين تكتيك العمل الثوري الفردي . وفي هذا المسياق قام أحد الوطنييين باغتيال رئيس الوزراء والذي كان قبطياً، حيث استغلت السلطات الانجليزية هذه الحادثة من أجل خلق وتغذية نزاعات طائفية بين صفوف الجماهير المصرية على غرار ما فعلت في الهند (١٨) .

إلا أن بريطانيا وفي عام ١٩١٣ قامت بإجراء إصلاح في الدستور المصري حيث تشكل مجلس شورى والأعضاء يتم تعيينهم بواسطة الانتخاب بالاغلبية إلا أن وظائف هذا المجلس كانت محدودة وقد كان يرأس الجمعية التشريعية سعد زغلول (١٩) الذي لعب الدور الرئيس في تاريخ الحركة الوطنية المصرية وخاصة في ثورة سنة ١٩١٩ والتي كانت أعظم من سابقتها وتركزت آثارها العظيمة في الحركة الوطنية المصرية . تلك الآثار التي جعلت جميع المؤرخين يجمعون على أنها ثورة بمعنى الثورة المعاصرة .

إن انتفاضة سنة ١٩١٩ فقد كان لها أثر كبير كما قلت سابقاً حيث اشترك في هذه الانتفاضة عدد كبير من الفلاحين والعمال والبرجوازية الاقطاعية والليبرالية (٢٠) .

ان الدكتور طه حسين قد نشأ في خضم هذه الاحداث كلها وكان يحس بهذه الظروف . فقد كانت مصر تحت الرقابة البريطانية ولكن بعد انتفاضة سنة ١٩١٩ قام الشعب المصري بمعظم فئاته باعلان التمرد والعصيان والمطالبة بالناء الوصاية البريطانية .

من كل ما سبق يتضح لنا بأن مصر قد شهدت تحولات جذرية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . والسبب في ذلك هو دخول الافكار الغربية التي افرزت جيلا جديدا من المثقفين الذين كانوا يختلفون تماما عن الجيل القديم . ان هذا الجيل الجديد كان يوء من ضرورة التقدم واللاحاق بالاوروبيين ومحاربة التخلف من جهة اخرى فكما يصف انور عبد الملك التقدم فيقول :

١- ان للتقدم صورة وحيدة وفضلى هي تلك التي تتمثل في حضارة الغرب الرأسمالي .

٢- ان للتقدم مسارا فريدا يتعين على كل الشعوب ان تسلكه وان تمر بالباب الضيق الذى اجتازته الحضارة الغربية .

٣- ان هذا المسار يمكن اختصاره او اختصار امده سلوكه بالتركيز مباشرة على اكتساب ثمراته المادية
آخذا عن الغرب " (٢١) .

ان اهم ما يميز القوميين في الفترة الفاصلة بين الحربين العالميتين هو :-

أ - التخلص من السيطرة الاوروبية عن بلادهم .

ب - الاعتراف بتفوق الدول الاوروبية في جميع المحاولات (٢٢) .

ولكن النقطة التي كان يوء من بها دعاة الفكر القومي في تلك الاونة هي ان الحضارة الاوروبية ارقى الحضارات . وكانوا يعتبرون بأن معونة الدول الاوروبية مهمة جدا في تحقيق الاستقلال بالنسبة للدول العربية . وان قيمة اوروبا كانت تكمن في القيمة التي تدعيها لنفسها بل بتعبير ادق هي في القيمة التي ينسبها اليها مفكرو القرن التاسع عشر الليبراليين " وهناك عوامل مهمة في تقدم المدنية الاوروبية مثل :

أ - المجتمع القومي .

ب - حكم الامة لنفسها .

ج - فصل الدين عن السياسة .

د - النظام الديموقراطي في الحكم او سيادة الارادة العامة .

هـ - احترام حقوق الفرد .

و - الولاء للمجتمع والاستعداد للتضحية في سبيله .

ز - اهم هذه الاسس هي تنظيم الصناعة الحديثة " (٢٣) .

وخلال العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين فقد برز بعض الكتاب الموهوبين الذين كانوا على دراية تامة بما يجرى حولهم وكانوا مجمعين على اتخاذ موقف موحد من السياسة العامة . ومن بين هؤلاء الكتاب برز طه حسين وعباس العقاد وأحمد امين وتوفيق الحكيم وغيرهم .
ان مثل هؤلاء الكتاب كانوا ينشرون افكارهم في الجرائد والمجلات وبعضهم اهتم بالفن المسرحي . ويعتبر طه حسين هو عميد الادب العربي وهو اشد الكتاب التزاما بالادب . هذا

بالإضافة الى انه يمثل التيار المجدد الذي يرفض الثقافة التقليدية رفضا قطعيا وسوف نتناول طه حسين وسيرته ولمحة عن حياته .

لمحة تاريخية عن حياة طه حسين

ولد طه حسين في إحدى مقاطعات الصعيد المصري سنة ١٨٨٩ لأسرة فقيرة الحال بلغ عدد أفرادها ما يزيد عن ١٢ فردا ، وقد عاش طه حسين في جو أسرى يسوده الكبت والقمع والجوع والحرمان ، هذا عدا عن آفة طه حسين الشخصية وهي الحرمان من حاسة البصر والتي يمكن اعتبارها من أكبر العوامل المؤثرة في شخصية طه حسين خاصة في مراحل الأولى كإنسان تقليدي .

أما بالنسبة للمرحلة العلمية الأولى من حياة طه حسين كان قد استقاه من القصص الزاخرة في التراث والحضارة العربية حيث تلقى علومه الأولى حول القرآن والسنة في الكتاتيب التي كانت منتشرة في تلك الآونة . وكذلك من القصص التي كان يتداولها الكبار في الأحياء والمساجد والمنازل وهي قصص ربما يعرفها الكل أو معظم الناس يسمع عنها مثل " قصة عنتره " و " قصة أبو زيد " و " قصة الف ليلة وليلة " (٢٤) وطه حسين كما يخبرنا في كتابه " الأيام " - الكتاب الذي يعتبر بحق ملخص لحياة طه حسين والمعاناة التي واجهها في مختلف مراحل حياته يصور فيه مدى تخلف وبؤس التعليم في تلك الآونة في الكتاتيب التي تعلم فيها . وهو كتاب أيضا ذو قيمة أدبية عالمية عدا عن أنه يلقي الأضواء على طبيعة تفكير وطرق حياة المجتمع المصري سواء في الريف أو في المدن . ولا يمكن لاي دراسة أن تتم بطريقة واضحة ومتكاملة عن طه حسين دون الرجوع الى هذا الكتاب .

انتقل طه حسين في المرحلة الثانية الى الأزهر في القاهرة ليدرس النحو والفقه ويذكر ان طه حسين كان قد حفظ القرآن في التاسعة من عمره . ولم يوفق في دراسته في الأزهر بالشكل السليم حيث كان دائم الشكوى من الشيوخ والقائمين على التعليم فيه . وقد ذهب للآزهر ليعود ومعه الشهادة العالمية وهي التي تخوله بالتدريس في الكتاتيب التي تخرج منها، إلا ان اصطدامه بالشيوخ والقائمين على التعليم في الأزهر سببت له عدم الحصول على الشهادة (٢٥) ورغم نجاح طه حسين في الامتحان واستحقاقه إياها في تلك الفترة كانت البؤادر والظروف في القاهرة تنضج لإنشاء جامعة القاهرة وفعلًا تم إنشاؤها وقد كانت بمثابة الملاذ الذي استطاع طه حسين ان يلوذ إليه نتيجة لصراعه المستمر مع شيوخ الأزهر . انتسب طه حسين الى جامعة القاهرة وهنا اول اتصال لطحه حسين بعلماء الغرب " المستشرقين " حيث كان يدرس في هذه الجامعة في تلك الآونة نخبة من الاساتذة من جنسيات مختلفة وقد كان طه حسين اول من حاز على بعثة دراسية الى باريس من هذه الجامعة ، إلا انه تبين فيما بعد انه سبقه شخص آخر في هذه البعثة (٢٦) إلا ان طه حسين وفي مرحلة انتسابه للجامعة اشغل في الصحافة حيث عرفته هذه المهنة على الكثير من الأمور التي كانت تجري في المجتمع المصري آنذاك . وطه حسين قدم في تلك المرحلة إنتاجا أدبيا وفكريا تلخص في النقد اللاذع للفئات الدينية المتسترة والارستقراطية المصرية المترفة (٢٧) إلا ان

الانتاج الحقيقي لطف حسين تمثل في المرحلة الجامعية اى مرحلة جامعة القاهرة ، فانفصال طه حسين عن الازهر وانخراطه في الحياة الجامعية والتي اتاحت له لونا خفيفا من العلمانية استطاع من خلالها ان يتلقى الدروس والمحاضرات في التاريخ والجغرافية والفلسفة وكذلك احتكاكه ببعض رجال العلم الغربيين . وقد استطاع طه حسين ان يتعلم الفرنسية من اولئك الناس . وقد حصل طه حسين على شهادة الدكتوراه في كل من رسالة الغفران للمعري ، والجغرافيا عند العرب ، الروح الدينية للخوارزمي من جامعة القاهرة قبل سفره الى فرنسا (٢٨) وهي المرحلة الثالثة من حياة طه حسين والتي سأتكلم عنها بعد قليل .

ففي هذه المرحلة اتصل طه حسين بالحضارة الغربية وتأثر بها تأثرا جديدا ولعل هذا الاقتباس كتاب الايام يوضح ما اريد توضيحه .

" وكان جديرا بان يحول هذا الفكر تحويلا خطيرا يفنيه في العلم الاوربي افناء " (٢٩)
وقد درس طه حسين في فرنسا عدة مواضيع من الادب والتاريخ والفلسفة وعاد بعد ذلك الى مصر ويذكر طه حسين في كتابه السابق بأنه قد تأثر بالمبدأ الوظيفي في علم الاجتماع وأود هنا ان اقدم هذا الاقتباس من كتابه السابق .

" وكنت شديد التأثر بدروس الاستاذ دروكهايم في علم الاجتماع وكان الاستاذ دروكهايم قد انفق عاما كاملا يدرس لتلاميذه مذهب الفيلسوف الفرنسي سان سيمون الذي يقوم على امور الحكم الصالح المنتج الذي يحقق العدل " . (٣٠) .

وفي تصوري ان الاقتباس السابق مهم جدا بالنسبة للمهتمين بعلم الاجتماع . فطه حسين كاديب معروف هذا النص يكشف عن جوانب اخرى من افكاره خاصة للدارس والمهتم في علم الاجتماع حيث نعلم مدى الفراغ الذي غطاه العالمان السابقان في علم الاجتماع ، فيبدو من كلام طه حسين انه اتصل بدوروكهايم شخصيا .

نعود ونقول بأن طه حسين عاد من فرنسا الى مصر وفي هذه الفترة وبعد عودته مباشرة انخرط في سلك السياسة . وطه حسين هنا يمثل الفكر الليبرالي حيث يتبين ذلك من وصفه للاحداث التي عصفت في العالم خلال الحربين العالميتين الاولى والثانية كذلك من خلال مواقفه السياسية بما كان يدور على الساحة المصرية من احداث (٣١) .

عندما عاد طه حسين الى مصر سنة ١٩١٩ فقد قاد الحركة الادبية فيها فقد عمل استاذاً وعميدا لجامعتي القاهرة والاسكندرية ثم عمل موظفا في وزارة التربية والتعليم ثم بعد ذلك وزيرا للتربية والتعليم في حكومة الوفد الاخيرة . وفي هذه الفترة فقد مر طه حسين بازمئين هما :

١ - ازمة سنة ١٩٢٦ عندما احدث كتابه الشعر الجاهلي ضجة كبيرة حيث قام بتعديله ، حيث ان طه حسين في هذا المؤلف قد طبق الاساليب العلمية على الشعر وشك في أن يكون مثل هذا الشعر قد نظم فعلا قبل الاسلام .

ب - ازمة الثانية وقعت سنة ١٩٣٢ عندما اقالته حكومة صدقي باشا من منصبه كمعيد للكلية الاداب في القاهرة لميوله الوفدية ، ثم بعد ذلك اعادته الحكومة الوفدية الى هذا المنصب سنة

١٩٣٦ (٣٢) .

"طه حسين والادب الجاهلي"

=====

هنا نصل الى اهم قضية هزت عقول مثقفي مصر والوطن العربي في مطلع هذا القرن والتي لا تزال تحدث الصدى في قاعات ومحاضرات التاريخ والادب العربي . وقبل ان نحاول الدخول فيها ومناقشتها بالشكل المفصل نحاول القاء الضوء على ذلك الكتاب حتى تصبح الدراسة امامنا واضحة . صدر كتاب طه حسين في البداية تحت اسم " في الادب الجاهلي " عام ١٩٢٦ ومنذ لحظة صدوره قامت الزلزلة في المجتمع المصري حتى انه في غضون يوم واحد او يومين كانت جميع النسخ قد صودرت من الاسواق . وقد اضطر طه حسين ان يغير الكتاب تحت اسم " في الشعر الجاهلي " ، حيث حذف منه فصلا ووضع بدلا منه فصلا آخر . ولقد كانت النسخة الثانية التي وضعها طه حسين تدور حول الادب الجاهلي حيث يحاول طه حسين ومن خلال دراسته للقبائل العربية في الجزيرة العربية وللهجات المختلفة ان يتوصل الى اثبات او نتيجة ، وهي ان معظم ذلك الادب اي الادب الذي وصلنا من الجاهلية معظمه متحلل وهي وجدت بعد ظهور الاسلام . فهي اسلامية ووجدت في

حياة المسلمين ومن انتاجهم وليس من انتاج الجاهليين (٣٣) .

وقد اعتمد طه حسين في استنتاجاته هذه من دراسته للقرآن ومقارنة تلك الدراسة وربطها بتلك اللهجات التي كانت جميعها في طريق الدوبان في لهجة قريش التي كانت تسيطر على مدينة مكة وكانت تسيطر على سوق عكاظ الذي كان يعتبر اكبر تجمع حضارى تلتقي فيه قبائل العرب وشعراؤها في موسم من مواسم السنة (٣٤) . وبهذا الطريق ونتيجة لاهمية قبيلة قريش فقد ظهر القرآن بلهجتها ، ونحن هنا لا نستطيع مناقشة الكتاب بشكل مفصل الا اننا نستطيع القول ان الكتاب اعتبر في حينه كتابا جديدا من نوعه ودراسة مختلفة للحضارة العربية في الفترة التي يبحث فيها الكتاب ، والاهم من ذلك هو الطريقة التي اتبعها او لنقل المنهج الدراسي الذي اتبعه طه حسين في كتابه المذكور ونستطيع ان نستخلص تلك الطريقة من هذا الاقتباس " لا اريد ان اقول الشك ، اريد ان لا اقبل شيئا مما قاله القدماء في الادب وتاريخه الا بعد بحث وتثبيت ان لم ينتهيا الى اليقين فقد ينتهيان الى الرجحان (٣٥) .

وهكذا فاننا نجد من خلال العبارات السابقة وعبارات اخرى شبيهة بها ان طه حسين ينسجم مع ما قلته في الصفحات السابقة حيث استطاع ان يعيد النظر الى الوراثة ويعاكس التيار والجو السائد ، بل استطاع ان يعارض تيار افريقيا كان يسود مصر آنذاك . ونعود مرة ثانية ونرى خصوم طه حسين والذين قاموا برفع دعوى عليه في المحكمة عدة مرات وحتى نتجلى الصورة امامنا فاننا من الواجب ان نعرف ماهي التهمة التي وجهها هؤلاء الى طه حسين ، واول دعوى رفعت الى النائب العمومي من احد شيوخ الازهر اتهم فيه طه حسين انه يطعن في القرآن الكريم ، حيث يتهم طه حسين ايضا بانه نسب الخرافة والكذب لهذا الكتاب السماوي ، وكذلك طعن فيه على الرسول وعلى نسبه الشريف ، حيث طلب تقديمه الى المحاكمة (٣٦) وقد حاول بعض المتعصبين قتل طه حسين لولا الحماية التي وفرت له في النهاية رغم ان معظم الساسة في مصر وقفوا ضد طه حسين حتى سعد



زغلول نفسه (٣٧)، الا انه شكلت لجنة لوضع تقرير حول الموضوع والتقرير حول النسخة الثانية ولعل التقرير الذي وضعته اللجنة السابقة يكشف الكثير من جوانب الكتاب وجوانب العقلية الرئيسية المصرية في ذلك الوقت .. فقد جاء في ذلك التقرير ان الكتاب يمس بما يلي :-

- ١- اضع الكتاب على المسلمين الوحدة القومية والعاطفية .
- ٢- اضع الكتاب على المسلمين الايحاء بتواتر القرآن وقراءته .
- ٣- اضع الكتاب على المسلمين الثقة بسيرة النبي .
- ٤- اضع الكتاب على المسلمين اعتقاد صدق القرآن وتنزهه عن الكذب .
- ٥- اضع الكتاب على المسلمين ما وجب من حرمة الصحابة والتابعين .
- ٦- اضع الكتاب على المسلمين تنزيه القرآن عن التهمك والازدراء بما كتب في صورة الجن وفي صف ابراهيم وملة ابراهيم .

٧- اضع الكتاب على المسلمين ايضا براءة القرآن مما رماه به المستشرقون من اعدائه (٣٨) .
 هذه بعض البنود التي اعدتها اللجنة، ويكفي ان نقول ان طريقة معالجة هؤلاء لمشكلة فكرية من هذا النوع تجعلنا نستنتج ان نقول انها كانت احد العقبات الرئيسية التي ادت الى عدم ظهور اتجاهات راديكالية في الثقافة المصرية آنذاك بنفس الطريقة التي ظهرت اتجاهات ثقافية في اقطار عربية غير مصر . وهناك جوانب اخرى يجب ان نلقي الضوء عليها بنفس الطريقة السابقة، حيث رغم وجود البوليس المصري لحماية طه حسين من الاغتيال فقد قدم بيان آخر ضد طه حسين يكشف عن جوانب اخرى من تلك العقلية التي تكلمنا عنها وهذا البيان يقول :
 " طلبه كلية الاداب بالجامعة المصرية حول عميدهم الدكتور طه حسين وقد جلست كل شابة الى جانب كل شاب .. فكيف تستمر وزارة المعارف على عدم احترام الشعور الديني والاداب القومية " (٣٩) .

ونتيجة لهذا الزخم من الاتهامات والملاحقة لطه حسين فقد تقرر فصله من الجامعة عام ١٩٣٢ .
 ولقد بقي نقطة هامة حول هذه القضية لم نشر اليها ضمن سياق الكلام حول الكتاب وهي ردة الفقل السياسي حول الكتاب .

حول هذا الموضوع اود ان اشير الى انه في فترة صدور هذا الكتاب فقد كان يحكم مصر الملك فؤاد، وكان سعد زغلول زعيم حزب الوفد المصري ولقد كان الاثنان ضد الفكرة والاسلوب التي حملها الكتاب، وقد وضع طه حسين موقف سعد زغلول واسبابه ودوافعه وقد اشرت الى ذلك في القراءات السابقة اي في الصفحات المتقدمة من هذه الدراسة . اما الملك فؤاد فيقول طه حسين في معرض رده على سؤال وجهه اليه محمود عوض فيما اذا كانت السياسة هي السبب الرئيس في الازمة التي اثارها الكتاب ام انها كانت سببا اضافيا (٤٠) حيث يقول طه حسين بان السياسة طبعا واحد من الاسباب الرئيسية . " الملك فؤاد يكرهني لانه ضد الديموقراطية السياسية التي ادعو اليها " .
 كذلك فان طه حسين يوضح الموقف اكثر ويقول ان الحرية في الادب حتما ستقود الى الحرية في السياسة . وهو يدعو الى الحرية لانه مؤمن بعدم نهوض اى امة بدون ان تملك تلك الحرية .

وهو يعلل موقف الازهر والذين ثاروا ضده بانهم يحافظون على القيم التقليدية ويخافون من الحرية لان القيد سهل والقوالب الفكرية للعقل اسهل من التفكير الحر المبدع (٤١) .

طه حسين والقومية المصرية

ان فكرة القومية العربية قد نشأت في اواخر العهد العثماني ، ولعل اول شخص نادى الى فكرة القومية بالمفهوم الحديث هو عبد الرحمن الكواكبي كما سبق في الفقرات السابقة . ولكن فكرة القومية العربية كفكرة سياسية واعية ثم حركة لها برامجها فقد ظهرت منذ ١٩٠٨ - ١٩٢٢ (٤٢) ولو رجعنا الى الوراء فترة من الزمن سيتضح لنا بأن العرب كان لهم نصيب في الاسلام لا سيما وان القرآن الكريم قد نزل باللغة العربية ، وكان الرسول محمد هو من اصل عربي وقد ايدته كثير من العرب . فقد كانت اللغة العربية بالنسبة للمسلمين هي لغة القرآن ولغة الدولة الرسمية ، ولقد قامت الدولة بتطوير هذه اللغة لكي تشمل كافة نواحي الحياة المختلفة . ولكن بعد انتشار الفتوحات الاسلامية وتوسع الاسلام فقد دخل فيه عناصر اخرى غير العرب وخصوصا في العصر العباسي ثم بعد ذلك في العصر العثماني . وهذا قد اثر فيما بعد على اللغة العربية . ولكن الشعور القومي بدأ كفكرة غير متبلورة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بعد تفكك الامبراطورية العثمانية ، حيث ان الامبراطورية العثمانية حاولت تتركب الامة العربية وجعل اللغة التركية هي اللغة الرسمية في الدولة وبهذا فان ذلك يؤدى الى اضعاف اللغة العربية وطمسها لا سيما وكما قلت سابقا بأنها هي لغة القرآن ولغة الاسلام وان الكثير قد تغنى بامجادها حيث يقول جبران خليل جبران في هذه القضية " ان اللغة مظهر من مظاهر الابتكار في مجموع الامة او ذاتها العامة فان هجعت قوة الابتكار توقفت اللغة عن مسيرها وفي الوقوف التقهقر وفي التقهقر الاندثار (٤٣) ونفس الشيء او نفس الظرف بالنسبة للغة العربية في فترة ضعف الدولة العثمانية ، حيث كانت في اواخر عهدها متهلة ومفككة واللغة كانت مهملة بسبب احلال اللغة التركية محلها . من هذا الواقع وضمن هذه الظروف فقد برز دعاة الفكر القومي ابتداء من عبد الرحمن الكواكبي ومصطفى كامل وصولا الى طه حسين .

ان الدكتور طه حسين كان قومي عربي . ولكن فكره القومي فقد كان يختلف عن سابقه ، حيث نادى بفكرة القومية المصرية . الذى يعتقد فيها طه حسين بأن شعب مصر هو الوحيد القادر على بناء الحضارة والمدنية الزاهرة وانه ليس بمقدور شعب آخر ان يفعل ذلك وقد كان يعتبر مصر هي ام الدنيا . ان مثل هذه الفكرة ليست غريبة علينا اذ كان مصطفى كامل قبل طه حسين قد تغنى بفكرة القومية المصرية ، حيث انه كان يتغنى بجمال مصر وماضيها العظيم ، وهولا يعتبر المصريين ، بل بلاد مصر هي الاله الذى يعبد لان مصر وهي جنة الدنيا لا تستحق ان يداس شرقها . بالاقدام ونصبح فيها مقوتين غرباء . (٤٤) .

ان طه حسين يدعو مصر للاهتمام بالحياة الوطنية الجديدة حيث يسميها فلسفة المجتمع والتاريخ التي استمدتها الى حد ما من ابن خلدون ، الا انه استمد اسسها من مفكرين فرنسيين مثل

كونت ودوركهيم وغيرهم . ولقد كان كتاب طه حسين مستقبل الثقافة في مصر هو كتاب طرح فيه طه حسين اسمى افكاره . حيث كان لهذا الكتاب مضمون سياسي بالدرجة الاولى حيث انه قبل صدور هذه الكتاب وفي سنة ١٩٣٦ فقد كانت المعاهدة الانجليزية التي انتهت رسميا الاحتلال عن مصر . وفي سنة ١٩٣٧ كانت اتفاقية مونتريو التي الفت كل الامتيازات وفحوى هذا الكتاب الذي الفه حسين هو ان مصر كانت تطمح من اجل الاستقلال الذي نالته ، وماذا يجب عليها ان تفعل بهذا الاستقلال فما هو الهدف الجديد المثل على الافق المصرى بعد الاستقلال ، اجل انه هو الانسان المصرى الجديد ، وفي هذا يقول طه حسين " وقد شرت كما شعر غيرى من المصريين بان مصر تبدأ عهدا جديدا من حياتها ان كسبت فيه بعض الحقوق فان عليها ان تنهض فيه بواجبات خطيرة وتبعت ثقال ... فحزن نعيش في عصر من اخص خصائص ما يوصف به ان الحرية والاستقلال فيه ليسا غاية تقصد اليها الشعوب وتوسع اليها الامم ، وانما هي وسيلة الى اغراض ارقى منها وابقى وأشمل فائدة واعم نفعاً (٤٥) .

طه حسين والعلوم العربية

=====

ان تأثر طه حسين بالمستشرقين امثال نالينو ورنيان ودوركهيم وتعلمه اللغة الفرنسية ، ان كل هذه الاحداث اثرت على طه حسين حيث سلك مسلكا جديدا مجددا . وان تأثر طه حسين بالعلوم الغربية جعله يميل اليها ويحب ايضا بأن يسلك الشعب المصرى مثل هذا الملك وان هذا التأثير عند طه حسين بالعلوم الغربية جعله يسأل عدة اسئلة مهمة من بينها .

لماذا تطورت اوروبا ؟

والاجابة كانت بسبب التوازن الحقيقي بين دور العقل ودور الدين حيث فصل الدين عن السياسة .

وأهم ما كان يلفت نظر طه حسين في اوروبا

أ - الحضارة الانسانية .

ب - الفضائل المدنية .

ج - الديمقراطية .

والاوروبيون عند طه حسين يضحون بكل شيء في سبيل معتقداتهم وان الغرب ليس ماديا كما يدعي الشرق . فالملحدون يموتون في سبيل معتقداتهم (٤٦) .

وبناء على ذلك فان طه حسين كان يرى بأن الانسان العصرى هو الانسان الذي ينتمي الى امة مستقلة وهذه الامة يجب ان تكون ديموقراطية ولها حكومة مسؤولة امام مجلس نيابي ينتخب انتخاباً عاماً .

وان طه حسين كان يرى انه من الممكن اقتباس اسس المدنية الاوروبية دون اقتباس دينها . فالمدنية الاوروبية متطورة ومتقدمة بفضل مقدرة الناس على الابداع ومعرفتهم لاسس الترتيب

والتنظيم وليس بفضل دينهم، وفي هذا الجانب يقول جبران خليل جبران " من المعروف بان الغربيين قد اتقنوا فن الترتيب حتى بلغوا اقصى درجاته، فهم ان رتبوا عيوبهم ظهرت وكأنها حسنات جليلة، وان رتبوا حسناتهم بدت كأنها معجزات رائعة . فاذا كان لا بد من الاقتباس فلنقتبس هذا الفن عن الغربيين بشرط ان لا نقتبس غيره (٤٧) .

وقد كان طه حسين يطالب بفصل الدين عن السياسة وكان يعارض التيار التقليدي القديم ويدعو الى التيار المجدد .

الخلاصة :

ان نظرة سريعة الى ذلك الزخم من الاحداث والافكار والظروف تقودنا الى كثير من الاستنتاجات ربما يتعارض بعضها ويتناغم البعض الاخر، فطه حسين كما ذكرنا تأثر بالحضارة الغربية والثقافة ايضا وهو يعتبر بحق مصلح اجتماعي في وسط كانت تجرفه وتسيطر عليه التيارات التقليدية . ولعل عدم تسلح طه حسين بايديولوجية فكرية وسياسية جعلته بعيدا عن جماهير الناس قريبا من الصالونات او ما يسمى بالادب البرجوازي وارتباطه ذلك يجعلنا نطلق عليه انه كان ليبرالي النزعة، الا انه يعتبر ظاهرة متقدمة بالقياس مع غيره . وقد وصف طه حسين الاحداث الكونية على سبيل المثال تحقيق الاشتراكية في روسيا والحرب العالمية الاولى والثانية . هذا عدا عن زخم الاحداث التي مرت بها مصر الا اننا لا نجد المستوى المطلوب للتفاعل مع تلك الاحداث والذي يخرج من مستوى طبيعة الحدث .

الا ان ذلك لا يمنعنا من القول بان طه حسين وامثاله كانوا يمثلون تيارا جديدا رافضا للقيم التقليدية المتوارثة .

المراجع :

- (١) سيفموند فرويد، مستقبل وهم .
- (٢) لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديث الطبعة السابعة ١٩٨٠ .
- (٣) هاني حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة من ١٧٩٨ - ١٩٣٩ .
- (٤) عبد الرحمن الكواكبي، ام القرى .
- (٥) عبد الطك انور، دراسات في التنمية والتكامل الاقتصادي العربي .
- (٦) طه حسين، الايام باجزائه الثلاثة .
- (٧) طه حسين، في الشعر الجاهلي .
- (٨) طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر .
- (٩) حافظ محمود، مجلة الهلال .
- (١٠) جبران خليل جبران، القومية العربية .
- (١١) محمود عوض، افكار ضد الرصاص .
- (١٢) تاريخ الاقطار العربية المعاصر .

- (١) انظر مستقبل وهم، تأليف فرويد سيغ蒙德، ترجمة جورج طرايشي، منشورات دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ص ١ - ٢ .
- (٢) قصة ثورة الازهر على طه حسين ومحاولة قتله قصة مشهورة، وقد وردت وتناقلت في الكثير من الصحف والكتب الحديثة وقد احدث هذا الوضع ضجة كبيرة في الاوساط الثقافية والسياسية والادبية في مصر وأثّل هذا القرن .
- (٣) انظر تاريخ الاقطار العربية الحديث لوتسكي الطبعة السابعة ١٩٨٠ ص ٢٧٤ - ٢٧٦ .
- (٤) انظر نفس المصدر السابق ص ٢٨٦ .
- (٥) تاريخ الاقطار العربية الحديث . لوتسكي الطبعة السابعة ١٩٨٠ ص ٢٨٧ .
- (٦) كان هذا المنصب يعتبر اكبر منصب في الاسلام اقتباس من هاني حوراني . الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ - ١٩٣٩ ص ١٦٧ .
- (٧) تاريخ الاقطار العربية الحديث لوتسكي الطبعة السابعة ١٩٨٠ ص ٢٩٠ .
- (٨) تاريخ الاقطار العربية الحديث لوتسكي الطبعة السابعة ١٩٨٠ ص ٢٩٢ .
- (٩) تاريخ الاقطار العربية الحديث لوتسكي الطبعة السابعة ١٩٨٠ ص ٢٨٦ .
- (١٠) الكواكبي عبد الرحمن ام القرى ص ٤٩ .
- (١١) تاريخ الاقطار العربية الحديث لوتسكي الطبعة السابعة ١٩٨٠ ص ٢٨٦ .
- (١٢) لوتسكي تاريخ الاقطار العربية الطبعة السابعة ١٩٨٠ ص ٢٩٤ .
- (١٣) حوراني البرت . الفكر العربي في عصر النهضة الفصل الثامن ص ٢٤٣ .
- (١٤) لوتسكي . تاريخ الاقطار العربية الطبعة السابعة ١٩٨٠ ص ٢٩٠ .
- (١٥) نفس المصدر السابق ص ٢٩٣ .
- (١٦) نفس المصدر السابق ص ٢٩٥ .
- (١٧) المصدر السابق ص ٢٩٤ .
- (١٨) المصدر السابق ص ٢٩٦ .
- (١٩) المصدر السابق ص ٢٩٥ .
- (٢٠) تاريخ الاقطار العربية المعاصر الجزء الثاني ص ٣ .
- (٢١) عبد الملك انور . دراسات في التنمية والتكامل الاقتصادي العربي ص ٤٤ - ٤٦ .
- (٢٢) حوراني البرت . الفصل الثاني عشر طه حسين ص ٢٨٦ .
- (٢٣) حوراني البرت ، الفصل الثاني عشر طه حسين ص ٢٨٧ .
- (٢٤) انظر الايام طه حسين الجزء الاول .
- (٢٥) انظر هنا الجزء الثاني من كتاب الايام حيث يصور طه حسين طريقة واسلوب التعليم في الازهر وكذلك الحياة الثقافية بشكل مطول .
- (٢٦) انظر مجلة الهلال . حافظ محمود بعنوان بقية قصة جامعة القاهرة العدد فبراير ١٩٨٤ ص ٢٦ .

- (٢٧) انظر الايام الجزء الثاني . طه حسين .
- (٢٨) حسين طه - الايام الجزء الثالث ص ٦٢ .
- (٢٩) المصدر السابق ص ٣٧ .
- (٣٠) المصدر السابق ص ١٥٨ .
- (٣١) المصدر السابق وهنا يبين طه حسين بعض الاحداث التي حدثت في المجتمع المصري وكذلك يبين كيف اتجه في تلك الاحداث ص ١٥٩ - ١٦٥ .
- (٣٢) حوراني البرت . الفكر العربي في عصر النهضة - الفصل الثاني عشر ص ٣٨٩ - ٣٩٠ .
- (٣٣) اعتمدنا هنا على النسخة الثانية من كتاب طه حسين ، وطه حسين يصف باسهاب اصول لهجات العرب وانسابهم ومواقعهم ، ولمزيد من المعلومات تستطيع مراجعة الكتاب المذكور " في الشعر الجاهلي " .
- (٣٤) سوق عكاظ يعتبر من اهم الموارد التي تزودنا عن شعراء وادب الجاهلية وهو ليس فقط على صعيد الادب والشعر وانما ايضا على صعيد الاقتصاد والسياسة حيث كانت قريش تحيي او تقيم ذلك السوق في كل عام لاسباب عدة منها بعض ما ذكرناه ، ولمزيد من المعلومات انظر توازن النفاث لسليمان بشير ص ٢٧ وكذلك انظر الادب في العصر الجاهلي لشوقي ضيف .
- (٣٥) انظر حسين - طه في الادب الجاهلي وهو الكتاب الذي نبحت فيه .
- (٣٦) انظر عوض محمود . افكار ضد الرصاص ، منشورات دار المعارف بمصر ، وهذا الكتاب يعتبر وثيقة بالنسبة لهذه القضية حيث ان الكاتب عايش الاحداث وقد استقى المعلومات من الاشخاص انفسهم المعنيين بالقضية ص ١٥٩ .
- (٣٧) المصدر السابق مع ان الكاتب سعد زغلول كان متعاطف مع طه حسين الا انه كسياسي كان مضطرا لمعارضته امام الجمهور المصدر السابق ص ١٦١ - ١٦٢ .
- (٣٨) عوض محمود . افكار ضد الرصاص ، منشورات دار المعارف بمصر ص ١٦١ - ١٦٣ .
- (٣٩) المصدر السابق ص ١٧٣ .
- (٤٠) المصدر السابق ص ١٧٩ - ١٨١ .
- (٤١) نفس المصدر السابق ص ١٨٣ .
- (٤٢) حوراني البرت - الفكر العربي في عصر النهضة الفصل الحادي عشر باب القومية المصرية ص ٣٥٦ .
- (٤٣) جبران خليل جبران - القومية العربية ص ٥٦ .
- (٤٤) هذا الاقتباس نقلته من كتاب البرت حوراني ص ٢٤٩ المأخوذ من مصدر Kamil Letiebs P.94
- (٤٥) حسين طه - مستقبل الثقافة في مصر ص ٢٠١ .
- (٤٦) انظر المصدر السابق ص ٤٦ .
- (٤٧) انظر جبران خليل جبران - القومية العربية ص ٤٣ .

قراءة في كتاب "رحلاتي في الخارج" للدكتورة نوال السعداوي



الجزء

اعداد : جميل السلحوت

ادب الرحلات ليس جديدا على العرب ولعل اشهر الرحالة العرب هو ابن بطوطة الذي عاش في القرن الرابع عشر الميلادي الذي افنى من عمره تسعة وعشرين عاما زار خلالها شمال افريقيا، الجزيرة العربية، بلاد الشام، وشرقي افريقيا، الخليج العربي، بلاد الهند، والسند، تركستان، افغانستان والاندلس، وأملى مشاهداته على محمد بن جزي الكلبي مطلقا عليها "تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار". وقد قام قبل ابن بطوطة عدد من الرحالة العرب برحلات مشهورة امثال ابن خرداذبة - ٩١٢م - واليعقوبي - ٩٢٢م - والبلخي - ٩٣٤م - والمسعودي صاحب مروج الذهب وياقوت صاحب معجم البلدان وابن جبير الذي سبقهم بكثير.

وفي القرن العشرين سجل الصحفي المصري انيس منصور رحلاته عندما كان مراسلا لصحيفة الاخبار القاهرية في كتاب سماه "حول العالم في ٢٠٠ يوم".

ونحن الان امام الجزء الاول من كتاب "رحلاتي حول العالم" للطبيبة المصرية الذائعة الصيت نوال السعداوي الذي صدر عن دار الهلال القاهرية في شهر شباط الماضي ونأمل ان نستعرض الجزء الثاني الذي صدر في اذار الماضي في العدد المقبل.

والدكتورة نوال السعداوي معروفة لدى القراء والمهتمين بالثقافة في الاراضي المحتلة

مثلما هي مشهورة في العالم اجمع فقد اعيد نشر معظم كتاباتها تقريبا في الاراضي المحتلة امثال "المرأة والجنس، الرجل والجنس، الوجه العاري للمرأة العربية، المرأة والصراع النفسي، الانثى هي الاصل، امرأتان في امرأة، امرأة عند نقطة الصفر، الغائب، اغنية الاطفال الدائرية، موت الرجل الوحيد على الارض، وموت معالي الوزير".

الفصل الاول

اول رحلة خارج الوطن كان ذلك عام ١٩٦٤ وتقول الكاتبة " منذ الطفولة كان الوطن في عيني هو الحب " . وفي شبابي اصبح الوطن هو الثورة . والثورة هي الحب . ولان الحب كان محرما فقد اصبحت الثورة محرمة ايضا نقودني الى السجن لا الى الحرية وكان حلم حياتي هو الطيران والفرار من السجن " ثم تتكلم عن طفولتها وعن الحرمان الذي عاشته في بيت والديها كمثل كل الفتيات العربيات ، وعن احلامها في ان تتمرد على هذا الواقع المرير . وجلست في الطائرة بعد ان اغلقت بابها ومع ذلك ظلت خائفة من ان لا يسمح لها بالسفر . واثناء الرحلة ، جلس خلفها رجل عجوز يسعل وتصف سعاله بأنه " من النوع الجاف بسبب الدخان وليس الدرن ، " اذناى تدريبنا على تشخيص المرض من نوع السعال " وتتذكر عملها كطبيبة في مصر " أضع السماعة المعدنية بين الضلوع البارزة واسمع صفارة الهواء ثم شخشة الدم والصدید " ثم تنتبه الى ان المرضى يعرفون سبب المرض فعندما اعطت امرأة في يدها طفل وعلى كتفها طفل آخر الدواء وقالت لها ثلاثة اقراص في اليوم الواحد بعد الوجبات الثلاثة " استدارت المرأة وهي تزمجر : وهل كنت امري بالسل اذا كانت هناك وجبات ثلاثة ؟ " ثم تتساءل الكاتبة موجهة حديثها للـ : " من هو المسؤل عن هذه التعاسة فوق الارض ؟ انت ام رئيس الدولة ؟ " وتعبير عن شعورها بالخوف بعد ذلك قائلة " وتسرى في جسدى قشعريرة الخوف ، وقد القيت المسؤلوية على رئيس

وخير ما نبدا استعراضنا لهذا الكتاب هو ما قدمه الناشر للتعريف به حيث يقول " بالسلوبها الخاص وقلمها المميز الذي جعلها واحدة من ابرز كاتبات العالم تقدم الدكتورة نوال السعداوى في هذا الكتاب نوعا جديدا من ادب الرحلات ، ترى الكون والتاريخ وحدة لا تتجزأ وتجمع بين المعنى واللفظ والعام والخاص والماضي والحاضر في كائن شبه عضوى وتخلق على الورق حياة مترابطة لا انفصال فيها بين علم وفن او طب وسياسة او رجل وامرأة .

انها رحلاتها حول العالم خلال العشرين عاما الماضية شرقا وغربا شمالا وجنوبا . وبقدر ما ترى الاوطان الاخرى ترى الوطن في ضوء جديد .

في هذا الكتاب تجول بنا الدكتورة نوال السعداوى من بلد الى بلد ومن قارة الى قارة من اسيا الى اوروبا والامريكتين تكشف بقلمها كمشط الجراح عن الهنى العميق الظاهر الاشياء تبحث في التاريخ والدين والعلم ، وتنتقل من الفلسفة الى الطبيعة والمجتمع وصراعات النفس .

تدخل المعابد والاديرة والحانات وبيوت الليل .

تقدم في هذا الكتاب مفهوما جديدا لمعنى الرحلة والسفر ، وروية واسعة الافق لمعنى الوطن كتاريخ وجغرافيا وانسان وليس مجرد حدود المكان . انه عمل مبدع خلاق تثرى به المكتبة العربية الى جوار مؤلفاتها الاخرى المتعددة الجوانب .

وقد قسمت الكاتبة الجزء الاول من كتابها الى سبعة فصول .

الدولة وليس على الله ."

الطب " المنيسي " وهو حيا الاول وسقط شهيدا هو الآخر في سجون فاروق لمقاومته للانجليز وتشاهد بقايا حرب التحرير من خلال السيارات المحترقة . ويفتح بن بيلا المؤتمر الطبي بكلمات عربية تختلط بالفرنسية " يقول بدل مدرسة " اقول " وبدل موعد " راندفو " .

وبعد الجزائر تطير الكاتبة الى باريس وتعجب من جمال هذه المدينة الأوروبية ، الشوارع فسيحة والاشجار خضرتها قوية، البيوت انيقة شرفاتها تطل منها الزهور . الناس وجوههم نضرة متوردة . الوجوه مشرقة والخطوات مرحة . الملابس انيقة متعددة الاشكال والالوان . ثم تزور متحف اللوفر وتتكلم عن بعض الاعمال الفنية الكبيرة التي رأتها مثل تمثال آلهة الجمال " فينوس "

و " أثينا " الهة الحكمة و " الموناليزا " رائعة ليوناردو دافنشي . وتمشي في شوارع باريس تريد ان ترى كل شيء وتجلس على مقهى لتشرب القهوة، تمدد ساقيها في ارتخاء وترشف القهوة وهذا ما تفتقده في بلادها حيث ان جلوس المرأة على المقهى ممنوع ويثير حولها الشبهات .

ومن باريس تطير الى لندن ومن هناك تركب القطار الى مقاطعة ويلز وهناك ترى جمال الطبيعة وهناك " وعلى احدى تلال ويلز الخضراء رأيت فوق العشب رجلا عجوزا راقدًا يرتدى سرة صوفية قديمة وفي الاكام ثقب وسمعت الشباب يقولون انه السير برتراند راسل واتسعت عيناي بدهشة كيف ارى المشهورين في بلادنا يرتدون ملابس ذات قماش جديد يلعب تحت الضوء الساطع . ليس في اكامهم ثقب ولا يرقدون على الارض " .

ولسوء الاحوال المعيشية في الوطن وانعدام الديمقراطية وحرية الفرد كانت الكاتبة تفكر بالهجرة النهائية من هذا الوطن المعذب وفي كل رحلة خارج الوطن كنت اظن انني لن اعود لكنني في كل مرة كنت اعود، حينئذ لا يبتني يشدني الى الوطن ! وحينئذ الى الارض . رائحة الارض والتراب والهواء الوجوه والملاحم المألوفة . اللغة واللهجة تشاق اليها اذني ... "

عندما وصلت الكاتبة الى الجزائر في رحلتها الاولى خارج الوطن لحضور مؤتمر طبي تبدى اعجابها بجمال شمس الاصيل تلعب فوق الشجر والجبل العالي الاخضر . فهي اول مرة ترى في حياتها جبلا اخضر صاعدا نحو قرص الشمس ففي مصر لا توجد جبال . وفي الجزائر عندما سمعت النشيد الوطني الجزائري وفتت خاشعة على ارض الطيبون شهيد . الارض التي عرفت التضحيات الجسام وسجون التعذيب الرهيبة وفظائع المستعمرين وتحدثت الكاتبة ايضا عن ادق خصوصياتها فمثلا في الجزائر حاول الدكتور جميل ياسر احد اساتذتها في كلية طب القصر العيني ان يلتقي بها خلسة عن زوجته عندما كتب لها يدعوها الى العشاء في اليوم التالي موقعا على دعوته باسم جميل علي وعلي هو اسم والده الذي لم تكن تعرفه به . وعندما اتصل بها في اليوم التالي واستفسرت منه عن عدم كتابته اسمه الذي يعرف به اجاب بان التقاليد تطاردنا اينما سافرنا وعندما اخبرها ان زوجته لم تصطحبه في الدعوة للعشاء رفضت دعوته . وعندما التقت مع احد الفدائيين الجزائريين وناقشته عن الثورة تذكرت زميلها في كلية



نزلا فيه . وفي الجامعة تعبيء الاستمارة ومن ضمن ما عبأته لون البشرة وعدم وجود سوابق سياسية والخلو من العاهات . ومع ذلك لامتها المسؤولة عن ادارة الجامعة لانها لم تكتب انها حامل علما انه لا توجد خانة لذلك فكتبت . ثم سافرت الى جامعة البنى . لحضور المؤتمر الرابع عشر لمنظمة الطلبة العرب في امريكا وكان رئيس المنظمة انذاك اسامة الباز مستشار الرئيس المصري حاليا ومن الشخصيات التي كانت في المؤتمر د . فايز الصايغ ، د . عزت طنوس ، د . محمد المهدي ، وسعادات حسن .

وبعدها سافرت الى نيويورك حيث التحقت بجامعة كولومبيا وهناك شاركت في مظاهرات مناهضة للحرب في فيتنام كما شاركت في مظاهرة بمناسبة وعد بلفور وانجبت هناك وليدها . وبعد ان اتمت عامها الدراسي عادت الى بلادها .

الفصل الثالث

الاغوار وحافة النهر

عام ١٩٥٦ بعد العدوان الثلاثي تدرت الكاتبة على السلاح . واخذت تصيب الهدف من اول مرة وخبرنا عن فلسفتها تجاه السلاح فتقول " أكره ملمس السلاح في يدي ، وكره منظر الدم ، لكن كراهيتي للاغتصاب اشد . اغتصاب حق المرأة او اغتصاب ارض الوطن . كلاهما اغتصاب . وكلاهما وجهان لعملة واحدة العبودية او القهر بالقوة المسلحة " . وفي عام ١٩٦٩ تسافر الى عمان ، ومن المطار تركب سيارة مع عدد من الفدائيين ،

كما تتحدث عن رؤيتها للملكة اليزابيث تمر بسيارتها عبر احد الشوارع بلا تصفيق او هتاف او سيارات بوليس تخلي الشوارع من الناس ولا حراس ولا ما يحزنون . تعقب على ذلك بقولها " واكتشفت ان الدنيا في بلاد العالم يمكن ان تختلف عن دنيانا . وطبائع الناس ايضا تختلف . لكن هذا الاكتشاف لم يساعدني على رؤية الاوطان الاخرى وسكانها لأول مرة فحسب ولكني رأيت وطني والناس في الوطن لأول مرة ايضا " .

الفصل الثاني

النصف الاخر من الارض

بعد وفاة حبها الاول " المنيسي " الطالب في كلية الطب تقول الكاتبة انه اصبح للسجن في ذهنها علاقة بالحب . وفي ربيع عام ١٩٦٤ التقت مع احد الاشخاص الذي قضى في السجن ثلاثة عشر عاما وتزوجته . وبعد ان حملت سافرت في رحلة تعليمية لامريكا وتصل

الى دالاس في نورث كارولينا عن طريق نيويورك وفي المدينة الجامعية ترى طالبة امريكية تمت قدميها في وجه الرئيس الامريكي جونسون الذي يظهر على شاشة التلفزيون وتهتف " كاذب تتحدث عن السلام ثم ترسل جنودك بالاسلحة الى فيتنام " وفي اخر الاسبوع تصطحبها معها الى نادى السباحة وترى في دورة المياه في النادى بابان كتب على احدهما للبيض وعلى الاخر للملونين وقررت الكاتبة ان تدخل من باب الملونين . وتعود صاحبها دون ان تسبح لان حمام السباحة للبيض مغلق للتطهير لان اثنان من الزوج

السوفييتي فالنتينا تريشكوفا اول رائدة فضاء
سوفياتية التي وجهت دعوة لوفد النساء
المصريات لزيارة بلادها كما تحدثنا عن احدى
السيدات الفنلنديات التي تعيش مع ابن
بدون زواج ويعتبره المجتمع كاي ابن اخوهو
يحمل اسم امه الذي تعتبره شرفا له : لاني
امراة لي عمل ناجح".

الفصل الخامس

اول رحلة الى العالم الاحمر

من هلسكي ركبت عدة وفود نسائية من
بينها الوفد المصري القطار الى ليننجراد في
الاتحاد السوفييتي وفي "لوجيكا" اول قرية
سوفييتية حدودية تستقبل الوفود بالزهور
وزجاجات الشمبانيا ويشربن نخب الصداقة
والحرية والسلام . وفي ليننجراد تزور اكبر
مصنع للنسيج في الاتحاد السوفييتي يعمل به
عشرة الاف عامل ٨٥٪ منهم نساء ، كما تزور
الكاتبة ضريح الجندي المجهول ومقبرة يرقد
فيها سبعمائة الف من ضحايا النازية .
وليننجراد هي التي عاشت تسعمائة يوم تحت
الحصار النازي ومات منها مليون شهيد ،
والاتحاد السوفييتي مولع بالمتاحف ففي
ليننجراد وحدها خمسون متحفا للفنانيين
والادباء قدسية خاصة . والمشاهد يحتاج الى
ثمانين عاما ليرى كل لوحات متحف "
الهيرميتاج" اذا ما دخل المتحف كل يوم
لمدة سبع ساعات ووقف امام كل لوحة دقيقة
واحدة ، وفي "اوليانوس" تزور البيت الذي
عاش فيه لينين والذي تحول الى متحف . كما
زارت البيت الذي عاش فيه الاديب الكبير

ولتقي بقيادات المقاومة الفلسطينية في عمان
وفي مركز القيادة لتلقي مع فدائي فقد احدى
ذراعيه في فلسطين وفقد احدى ساقيه في
معركة الكرامة . ومن عمان تسافر الى الاغوار
بصحبة ثلاثة فدائيين احدهم فتاة اسمها اسماء
من رام الله وخلفها امرأة متوسطة العمر اسمها
ام يوسف . وتنشب المعركة ، الفدائيون يطلقون
المدافع ويختبئون في مغارة على جدرانها
محفورة قصيدة لمحمود درويش وفي الليل
تتسلل سعاد وتلقي قبلة يدوية على ثلاثة
جنود اسرائيليين فقتلت اثنين وجرحت
الثالث .

وسعاد هذه كانت معتقلة في سجون
الاحتلال كما تخبرنا الكاتبة لانها القت قبلة
على سينما صهيوني . وام يوسف كانت تساعد
في اسعاف الجرحى وعندما عاد احد الجرحى
من الضفة المحتلة رافقته الكاتبة الى مستشفى
السلط .

الفصل الرابع

مؤتمر النساء في هلسنكي

في حزيران ١٩٦٩ تسافر الكاتبة الى
العاصمة الفنلندية هلسنكي لحضور المؤتمر
النسائي الذي نظمه الاتحاد النسائي
الديمقراطي العالمي ، الذي حضرته اكثر من
الف امرأة يمثلن ٩٢ دولة . وتحدثنا كيف
شاهدت الليالي البيضاء التي تستمر ثلاثة
اشهر بدون ليل ويقابلها مثلها في فصل
الشتاء ويسموننها الليالي السوداء لانها لا
تعرف النهار . وتحظى القضية الفيتنامية
بالصدارة في المؤتمر تليها القضية
الفلسطينية . كما تقابل رئيسة الوفد

بترول اسرائيل يأتي من عبدان من عندنا يا للخجل وبيا للعار"، ويخبر الكاتبة ان ٨٠٪ من الشعب الايراني يعيشون دون خط الفقر . وفي عام ١٩٧٠ تمنع السفارة الايرانية في القاهرة منع تأشيرة للكاتبة لانها نشرت مقالا عن هذا الاديبي بعد عودتها في رحلتها انفة الذكر . وتقرأ على الدعوة لحضور المؤتمرات الطبي عبارة " تأشيرة الدخول يمكن ان تعطى لاعضاء المؤتمرات الذين لم يجدوا الوقت للحصول على التأشيرة في بلادهم " وتستغل الفرصة وتحصل على تأشيرة دخول في مطار طهران . وتذهب لزيارة اديب الشعب الايراني جلال آل احمد وتجده قد مات . وبعد مناقشات المؤتمرات الطبي عن تحديد النسل ، تخرج وفي احد المطاعم تسأل احدي الفتيات واسمها "ماني" عن خليفة جلال آل احمد فتخبرها عن عباس بهلوان . وتذهب لزيارته حيث كان يرأس تحرير مجلة "فردوس" والتقت عنده شاعر ايراني اسمه علي نوري زادة يتكلم العربية وترجم الى الفارسية مجموعة اشعار لمحمود درويش، سمح القاسم وفدوى طوقان . واللييلة الاخيرة في طهران تقضيها الكاتبة في بيت ماني الفقير تحدثها عن السافاك رجال استخبارات الشاه . وكيف كانوا يحرقون حلمة ثدى صديقة لها .

وفي حزيران ١٩٨٤ تلتقي الكاتبة في لندن ببعض الشباب الايرانيين الذين هربوا من بطش الخميني بعد الثورة وتسألهم عن "ماني" فيجيبون بانها اعدمت في سجن الخميني وقبل الاعدام دخل عليها رجل واعتدى عليها جنسيا ، حتى لا تموت وهي عذراء "فهناك اعتقاد عند الخميني ان الفتاة اذا ماتت وهي عذراء تدخل الجنة"!

مكسيم جوركي والذي تحول الى متحف ايضا وعندما وصلت الى موسكو وجهت لها دعوة لحضور مؤتمر الكتاب في طشقند وهناك أكلت لحم الحصان اللذيذ لأول مرة . كما تجولت في بعض المزارع الجماعية وتتحدث عن عادات وتقاليد وأسماء اهل كازاخستان وأزبكستان فتصفها بانها تشبه الاسماء والعادات والتقاليد العربية والاسلامية . واثناء عودتها الى موسكو تزور صريح لينين .

الفصل السادس

ايران قبل الثورة

في نوفمبر ١٩٦٨ تسافر الكاتبة الى طهران لحضور مؤتمر طبي وتخرج عن حدود المؤتمرات في البحث عن الادب وتسأل عن افضل اديب في ايران فيدلونها على عميد كلية الاداب في طهران فتذهب لمقابلته وتخرج كما دخلت بلا شيء بعد ان جلست معه نصف ساعة . فتخرج من الباب الخلفي وتذهب ليتناول الغداء في احد المطاعم وهناك تحدث مجموعة من الشباب فيدلونها على اديب ايران الحقيقي جلال آل احمد وهو كاتب يساري مبدع له رواية باسم " لعنة الارض وصف فيها مأساة الفلاحين في ايران وكتاب "سحقا للغرب" يهاجم فيه الاستعمار الغربي . وقد منع نشر هذا الكتاب في ايران لكن تلاميذ الكاتب اعادوا نشره وتوزيعه سرا في ايران وله مؤلفات عن القضية الفلسطينية اخرها كتيب كتبه بعد حرب عام ١٩٦٧ ولكن السلطات تصادره وتحرق دار النشر التي طبعته . وزوجته الدكتور "سيمين دانشوار" استاذة في جامعة طهران ويخرج احد كتبه ويقرأ منه " ٩٠٪ من

بشدة بين الطبقات وأعلى طبقة هم البراهميون وأدنى طبقة هي طبقة الخدم أو المنبوذين والناس لا يصفحونهم لأنهم ملوثون، ويفرض عليهم أن يتحدثوا مع الطبقات الأخرى من على بعد معين كي لا تمل أنفاسهم إلى أنوف الآخرين .

أو بعض أثرياء البراهميين كانوا يستحمون إذا ما وقع عليهم ظل رجل من المنبوذين^٨.
وتحدث لنا الكاتبة عن التناقض في المجتمع الهندي ففي بعض المناطق تقدر سيادة الرجل على المرأة وفي مناطق أخرى لا يزال المجتمع أمويا تسود فيه النساء وترث البنات الأرض ولا يرث الأولاد الذكور . وفي مناطق أخرى تفرض الأخلاق المترتبة على المرأة ويفرض عليها الحجاب وفي مناطق أخرى المرأة تتزوج عددا من الرجال وتتبع إليها أطفالها .

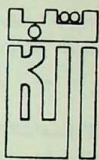
وفي جنوب الهند حيث مزارع الشاي الشاسعة التي تعمل فيه النساء من سن العاشرة إلى الشيخوخة ومصنع الشاي أيضا تعمل فيه النساء ويخرج منه الشاي بأربع درجات . الدرجة الأولى وهي أنقى أنواع الشاي لا تباع في الأسواق وترسل بناءً على طلبات خاصة إلى الملوك والباطرة وروءاء البلاد . والدرجة الثانية وبه بعض الثواب . ويباع في أوروبا وأمريكا والدرجة الثالثة . وهو الذي لا يلقى ويباع في دول العالم الثالث . والدرجة الرابعة وهو تراب الشاي الذي يبقى بعد أن ينخل وهذا الذي يباع في السوق المحلي بالهند وهذا هو الشاي الذي يشربه هؤلاء الذين يزرعون الشاي والذين يصنعونه .

الفصل السابع

رحلة الهند

تصف الكاتبة رحلتها إلى الهند بأنها مرهقة وممتعة وتشبهها بالرحلة إلى النفس في قسوتها وفي حلاوتها . وتصف بطريقة غاية في الإنسانية فقر الهنود وغنى رجال الأعمال الأجانب الذين ينهبون ثروات الهند ومن مظاهر الغنى والفقر في الهند وجود أفخر موديلات السيارات إلى جانب المركبات التي تجرها مختلف أنواع الحيوانات بما في ذلك الإنسان . وبمزيد من المرارة تصف الكاتبة الرجل الذي يجر العربّة ليركبها سائح أوروبي فتقول : " على أن هذا الرجل النحيل اللاهث أحسن حالا من غيره لأنه لا زال يملك القوة التي يجرب بها شيئا " وتتكلم عن " الجنبة " إحدى ديانات الهند ، التي تفرض على الناس أن يرتدوا فوق أنفهم قناعا لحماية البعوض من أن يدخل مع الهواء إلى أنفهم فيموت وعليه أن يمشي حافيا وبخفة كي لا يقتل الحشرات . وفي الهند تزور " تاج محل " من أعظم الآثار التاريخية الذي بناه أحد ملوك المغول كمقبرة لزوجته المتوفاة والذي عمل فيه آلاف الجوعى من الهند لمدة عشرين عاما . وتصف هذه المقبرة بقولها " أن التاج محل في رأيي ليس رمزا للحب الذي حدث في التاريخ ، ولكنه رمز للحب الذي فقد في التاريخ ودفن تحت مقبرة من الرخام الأبيض " ورغم فقر المجتمع الهندي فإنه ما زال يفرق

الانتظار



بقلم : محمود شقير

فقد اشرأبت اعناق الركاب كلهم تقريبا نحو فوزية، وكادت عيونهم تأكلها وهي تكشف بوضوح عما في نفوسهم من مشاعر متضاربة تجمع بين التقرز والشهوة والرغبة في القمع والايذاء، فكانهم بذلك يفضحون عالما خفيا من الاستيهامات المكبوتة التي تشكل اداة جليّة لهذا الزمان واهله معا .

تأكدت من ذلك حينما تعطلت الحافلة بعد انطلاقة لم تدم طويلا على اية حال . امرنا السائق ان نهبط منها الى حين الاتصال بالشركة لاحضار حافلة اخرى تقلنا الى اماكن سكننا . هبطنا من الحافلة ، وقفت على حافة الرصيف استظل من شمس آب بصحيفة يومية جعلتها فوق رأسي .

أبصرت فوزية تتعجل النزول من الحافلة ، والآخرين يحدجونها بنظرات عارية باعتبارها واحدة من نساء الشوارع ، ويبدو انها استراحت وتخرجت من ذلك ، مما جعلها تدفع بذراعيها العاريتين امرأة تتلكأ امامها وهي تتلغف بشال اسود في عز الصيف ، انزلت قدم المرأة ،

وقفت اتفرج مثل الآخرين ، غير انني لم اضحك كما فعلوا ، ولم اتفوه بأية كلمة يستدل منها انني راض عما يدور امامي ، انها مهزلة مائة ، ومع ذلك فالآخرون يضحكون . ولا أدري لماذا !!

فوزية كانت هي السبب ، فهي لا تحسب للعادات المرعية حسابا ، كما تفعل بعض النسوة الحاذقات ، اللواتي يتظاهرن امام خلق الله بأنهن الأكثر عفة ، دون ان يكون ذلك بالضرورة صحيحا . اما فوزية فالتظاهر بما ليس فيها امر لا يعينها بتاتا ، ولذلك فهي غالبا ما تجر على نفسها متاعب يمكنها ان تستغني عنها لو استعانت بشيء من الحذق واللباقة .

حينما دخلت - ظهيرة ذلك اليوم - حافلة الركاب ، بدا واضحا من العلكة التي تلوكها باستهتار . ومن الاصباغ الفاقعة على خديها ، ومن اهتزازات ثدييها تحت بلوزة شفافة برتقالية اللون ، ان يومنا هذا لن يمر دون مفاجأة ما .

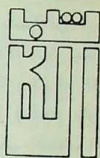
تلتحق بها ضربة قاضية، غير ان ام الشال
تراجعت خطوة (حدث التراجع دون تخطيط
مسبق، ولم يكن تعبيرا عن دربة في خوض
المعارك، ولا علاقة لها بمشاهدة برامج
المصارعة في التلفاز، لان ام الشال لا تملك
تلفازا في الاصل) فتعلقت ساق فوزية في
الفضاء اكثر مما ينبغي، فسقطت على الرصيف
بعد ان اخلت توازنها، وعلا ضحك الاخرين
(بعضهم سالت الدموع من عينيها من فرط
الضحك). نهضت فوزية وهي تتلمس قفاها في
الم، تلتفتت حولها في حرج، اعترت وجهها
تقلصات حادة مثيرة للشفقة، ثم ما لبثت ان
اجهشت بالبكاء.

شرعت ام الشال تلتقط حبات البندورة
المتناثرة على الرصيف، وهي تتعمق بكلام
غامض يثير الرهبة والاسى في النفوس. خيم
صمت مفاجئ على الاخرين (يبدو انهم
ادركوا اخيرا ان الموقف ما عاد يحتمل
السخرية والضحك). قلت يجب ان افعل شيئا
، اذ لا ينبغي ان استمر في وقفتي هذه مثل
شيطان اخرس، كشفت رأسي لشمس آب،
تهيات للقول، غير ان انظار الجميع انشدت
الى حافلة فارغة، جاءت على عجل، فانسربوا
داخلها وهم يتزاحمون بالمناكب والايدي.
ساعدت ام الشال في التقاط آخر حبتين
من البندورة فوق الرصيف، نظرت الي في
امتنان، واطلقت لسانها يلهج لي بالدعاء،
فاستراحت نفسي لهذا المكعب الصغير،
ثم ولجت الى الحافلة ابحث عن فوزية، لملي
اعقد صلحا بينها وبين ام الشال، فلم اعثر
لها على اثر هناك، كانت قد غادرتنا الى
شوارع المدينة من جديد.

وقبل ان تعذر فوزية (اذ نمت ملامحها عن
نيتها في الاعتذار) انشطر الكيس الورقي
الذي كان في يد المرأة ذات الشال،
وتساقطت منه حبات بندورة ذابلة فوق
الرصيف.

هوت قدم فوزية (بدافع العجلة وليس
الاستهتار كما اعتقد) فوق حبة بندورة
فانهurst، فاستشاطت ام الشال غضبا،
ودفعت فوزية بعيدا بحركة من ذراعها، ثم
انهمكت لتلمس حبات البندورة المتساقطة،
غير ان فوزية وجدت المسألة (كما يبدو)
قابلة للدعابة، خاصة وان قاطع التذاكر تفوه
ببضع كلمات ساخرة حول الموقف، فضربت
بقدمها حبة بندورة (ذكرتني بمباراة هزيلة
بكرة القدم) راحت تتدرج بعيدا فوق
الرصيف وهي تنثر من بطنها سائلا لزجا، وهنا
لم تعد ام الشال تحتمل مزيدا من المناكفات
مهما كان القصد منها، فاطبقت يداها بعنف
على خصر فوزية (سقط شالها على الرصيف
واصبحت مثل لبوء معان. ملامحها قبل
لحظات كانت تنم عن طيبة مفطرة) وهجمت
عليها ثم عضتها في ابطها وهي تزمر غاضبة
تملصت فوزية منها ووجهها محترق من
اثر العضة، تحلق الاخرون حول المراتين
وراحوا يرقبون الاقتتال وهم ينثرون تعليقات
ساخرة بين الحين والآخر. وحينما سمعت
فوزية من يحرضها على استخدام مهارتها في
الكراتية (اسهم قاطع التذاكر في التحريض
اسهاما ملحوظا، لانه يعرف مواهب فوزية منذ
سنوات، فهو من المتسكعين المعروفين في
ليل المدينة) ابتعدت قليلا الى الوراء،
نفضت قدمها في اتجاه ام الشال على امل ان

بضعة الأسرار - تلك



بقلم : وليم فوسركيان - القدس

ملهى الفينوس وتلك الراقصة العراقية ..
قطعت كل تلك المسافة لاحصل منها فقط
على تلك النظرات الملتهية ..

زحاجة الويسكي ، بيرة الامستل ونصف
كيلو الكباب وملحقاته لعبون صديقي الذي اراه
للمرة الثالثة خلال ست سنوات منذ تعارفنا من
اجل كلمة خير يقولها للاستاذ قبل ان اذهب
لمقابلته في الغد بخصوص الوظيفة الجديدة ..

هه .. لم ينس ان يدس في جيبه علبة
سجائر الثانية قبل ان يسلم علي مودعا ..
وتلك العجوز التي كانت تحدجني
بنظراتها ، وكأنني فارس الاحلام الذي انتظرته
كل تلك الاعوام الطويلة ...

حدائي الجديد ..
ذلك الاعمى ..
تلك ال

قاعة الجلوس ليست معدة لاستقبال
الضيوف .. اى ضيوف .. ومع ذلك ها انذا
اخرق قانونا آخر .. اجلس وكان القاعة قد
اعدت لاستقبالى ..

المكان كله مخصص لعائلة من نوع آخر ..
مكونة من حوالي ثمانية وعشرين طفلا ..

سيجارة اخرى بين اصابع يدي تكاد تلفظ
انفاسها الاخيرة .. لم يبق هناك مكان في
المنفضة المستلقية بهدوء على الطاولة القريبة
مني اطفى فيه سيجارتي الثالثة عشرة ..
هدوء وشبه ظلام يحيطان بي من كل
جانب بينما احداث ذلك اليوم تتراعى امام
عيني للمرة الخامسة ، وربما العاشرة او
العشرين ...

تلك المرأة التي لا تزال تملك قلبي
وكانني رأيتها عند ذلك المنعطف قبل ان
تصعد سيارة الاجرة تلك ..

دعوة السلاح ولوشيون ..
بندقية جدى وغسان كنفاني ..
لست ادري لماذا كان يجب ان اشترى
هذين الكتابين .. الثوب الفلاحي الذى
اشتريته لاختي ..

البرقية التي ارسلها اليها اخبرها فيها
انني قادم ...

البوظة مع الفستق الحليبي ..
ساندويش الفلافل ..

علي ولقاء بعد اكثر من خمس سنوات ..
اصبح الكيف غال هنا ايضا ..

رأيت ان الامر جدى بالنسبة له ، همت ثانية
 - باين عليك تعبان كثير .. يلله كمل
 نومك ، وبكرة الصبح ان شاء الله ناسفر
 لهنناك ...

وبرزت على وجهه شبه ابتسامة غاضبة
 وكأنه قد احسن ان في الامر مزاح ما .. ترك
 رقبتي ، وعاد الى فراشه ونرفزة عمرها لحظات
 تصل اذني ..

مفيد وتوفيق وكثيرا ما اخطأ ما بين
 اسميهما يأتیان الى غرفة رقم تسعة وعشرين
 والتي اشغلها منذ حوالي اربعة ايام ليجعلاني
 استيقظ في حوالي السادسة صباحا من كل يوم
 لكي لا يضيع علي طعام الإفطار ، ولكي يكون
 لدى متسع من الوقت لرؤية المدينة وقضاء
 اعماله التي اتيت من اجلها .. هاني ، ذلك
 الصديق الوفي والذي اناح لي الفرصة ان
 اعيش تلك الايام وكأنني في بيتي وبين اهلي
 وأصدقائي ، بصران يدفع ثمن طعامي واجرة
 اشغالي لتلك الغرفة .. كنت اعرف ان الناس
 الطبيين قليلون في العالم ، ولكنني لم اكن
 اعرف انني استطع ان التقى معهم بهذه
 السهولة ..

تسكن هنا ست عائلات تضم كل منها
 حوالي ثمانية وعشرين طفلا .. غرفة جلوس
 العائلة الاولى والعائلات الخمسة الاخرى
 ليست معدة لاستقبال الضيوف .. اي ضيوف ..
 ومع ذلك ها انذا اخرق قانون آخر .. اجلس
 وكان المكان كله قد اعد لاستقبالي .. متى
 يكون لي اطفال .. بعد سنة ، سنتين ، ثلاثة ،
 خمسة ...

وماذا ستكون اسماءهم ؟ فقال .. سلمى
 .. فاطمة .. هيثم .. حسن ...
 غرفة الجلوس لا تبعد الا خطوات عن

تتراوح اعمارهم ما بين الرابعة والسادسة عشرة
 فرح صاحب الخمسة اعوام والذي لا
 يستطيع ان يلفظ حرف الراء كالاخرين ، يريد
 ان يسافر معي .. انه لا يخشى بنادقهم
 الطويلة وعصيهم المشهورة بلونها الابيض
 والتي تستعمل لتفريق المظاهرات وفي السجون
 عند وجود حالات مستعصية .. امه هناك ،
 ولن يمنعه احد من ان يذهب اليها ...

قبل لحظات ، ذهبت اليه مع توفيق
 صاحب الاثني عشر عاما .. كان نائما على
 بطنه بطريقة تجعلك تبتسم رغما عنك .. من
 الذين يرفضون استخدام المخدرة واللحاف
 .. كنت اريد ان اداعبه .. حاولت ان اجعله
 يستيقظ .. وتحرك رأسه ، ثم جسده الصغير .
 وكوالد اشتاق لولده ، احتضنته بين ذراعي ..
 وتعلق برقبتي وهو ما يزال مغمض عينيه وكأنني
 احمل كرة قدم صغيرة للغاية .. وهمت ..

- ما بدك تيجي معي ..
 وانتظرت لحظات طويلة قبل ان تتحرك
 شفتاه الصغيرتان ...

- لويسن ..
 وبدون تردد قلت ...
 - انا مسافر .. لامك ...
 وشد على رقبتي بيديه الرقيقتين ..
 - صحيح ..
 - والله ..
 نظر في عيني ، وخرجت الكلمات بعناد
 من فمه الصغير .

- بدى اروح معاك ..
 - يلله ...

وارتسمت الفرحة على وجهه ، وبدأ كمن
 يحاول ان يخلع ملابس النوم ليرتدى ملابسه
 العادية وهو نصف مغمض العينين .. وعندما



اليمين .. لا بد وان هناك شيء ما ، ومع ذلك لا اشعر بحاجة الى تناول اى طعام .. ساعة الحائط الكبيرة جدا تعلن انتصاف الليل وانا ما زلت ارفض النوم .. ساسهر الليلة اكثر من العادة .. المنفضة الملاءى بسجائرى القتيلة تغط كاطفالي الثمانية والعشرين بنوم عميق ..

ما بال كل تلك الطائرات والدبابات والسيارات المصفحة والجنود المدججين بكل ذلك السلاح متكومون هناك .. ككومة زباله .. ككومة من الطعام الفاسد .. ككومة من الحشرات والمومسات والقاذورات الوطن على بعد امتار وانتم هنا مختبئون الوطن على بعد تلك الامتار وانتم هنا .. نائمون ومستيقظون ..

حالمون وعراة وجائعون ..
احياء ومقتولون ..

تغطيكم الزباله والاحذية القديمة والبنادق التي لا تعرف الا الخمره والنساء .. ما بالكم لا تحرقون كل تلك الزباله والقاذورات والطائرات والبنادق والوجوه التي تخنقكم حتى الثمالة .. ما بالكم لا تتحركون .. ما بالكم لا تتحركون ..

القائد الكبير امامي يبتسم ابتسامته الوديعه تلك منذ اكثر من خمسة وعشرين عاما ، والغربة تحرقني منذ اكثر من خمسة وعشرين عاما ..

ملاءت رثتي المتعبتين بصراخي النائر والاف الجدران .. الصغيره والكبيره ..

القائله والمقتولة ..

الساقطة والمأجورة ..

تضغط ..

وتضغط ..

ناعتين كبيرتين ينام فيهما اولادى الجدد .. طفل العائله الاولى .. دخان سجائرى لخمسه والعشرين تملأ المكان .. الهدوء وشبه الظلام يحيطان بي من كل جانب وصديقي لم يعد بعد ..

قاعة الجلوس ملاءى باشياء جميله كثيره .. بيوت بلاستيك مختلفه الاحجام والالوان .. سيارات .. اوتوبيسات .. تراكاتورات .. متورسيكلات .. عجلات هواثيه .. دببة .. جمال ... خيول .. فيله .. اسود .. نمور .. طيور وحيوانات اخرى حجم علبه الزعوط .. حجم فلقة صابون الاطفال منتشرة هنا وهناك .. طائرات حربيه ومدنيه معلقه بخيوط تكاد لا ترى بالسقف .. دبابات ، سيارات مصفحة وجنود مدججه بالسلاح ككومة في احدى زوايا القاعة .. صور اطفال ومناظر اخرى معلقه على الجدران الاربعه .. صورة اخرى كبيره للقائد الكبير بابتسامته العريضه المشهوره معلقه في صدر المكان .. حاجز حديدى يقسم القاعة الى قسمين ..

لست ادري لماذا .. شمع كبيره حمراء اللون على حامل معدني تقبع امامي بكبرياء اثرياء مدينتي الكثيرين .. ولفظت اخر سيجاره انفاسها الاخيره وهي لا تزال بين شفتي .. كان هناك في المنفضه باقى سيجاره .. ومددت يدي كشاذى العالم السفلى ، واشعلتها من آخر عود كبريت لى ، وبدأت بتدخينها بنهم .. اريد ان ادخن .. هكذا شعرت .. ولم استطع ان اقاوم نفسي .. خزانه كبيره امامي تمتد بامتداد الحائط ملاءى باشياء اخرى تخص اطفال العائله الثمانية والعشرين .. ابتداء بفرح وانتهاء بتوفيق .. قاعة الطعام على بعد خطوات مني الى

وتضبط ..

قرون ..

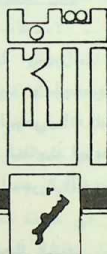
وتضبط ...

من يعطني سجارة اطفئ بها غضبي
واعطيه ما يشاء من لحمي ودمي ..

وبكل شراسة على صدرى المقتول منذ

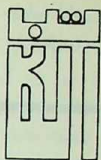
فجر الآمال

مالك صلاحة - بيت جن



غيوم الحزن في عيني ..
 تروى ارض حرمانى ووجدانى ..
 وقيثار من الآلام في قلبي - ١١
 يدوى .. عازفا للموت الحانى .
 وأشجاني ..
 قطار .. جن جريا في شراييني ..
 وليلي .. صار مطلوبا على حيطان احزاني ..
 - وبيتي - لم يزل يشكوسياط البرد والمأساة ١٠٠
 - وآهاتي كأمطار من النيران قد صارت ..
 فهل من بعد هذا سوف يأتي فجر آلامي ؟؟
 ويكسو ارض هذا العالم الفاني ..
 بنور الحب ١١٠٠

أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ شَاعِرًا.. مَسْئُولِيَّةً كَبِيرَةً



بقلم: مارينا لوزينسكايا

السعادة والكشف، وشهرزاد، رمز الحكمة والجمال أيضا .. واسلوبه متميز بالبساطة الممزوجة بالرمز الموحى، انه السهل الممتنع ولللغة المدهشة المفاجئة اضافة الى خاصية مبهرة في اطار التجربة الموسيقية الشعرية الغنية .

الجوع يحزّ ينزّ بحلق الزنجي
فينطلق، يدق، يدق
البرد المر يمر بذكره الزنجي
فيرتمش الجلد المعروق
وينطلق يدق، يدق..

والمرأة تأخذ حيزا كبيرا من انتاجه الابداعي .. ولكن ما هي ملامح بطله اشعاره؟
- هي رمز متعدد الجوانب - يقول ايمن ابو الشعر- قد تدبوا هدايا الحبيبة غايات للوطن، وينفتح جفناها عن بحاره .. ضفيريها نخلة، وحزنها امطار .. وهي ايضا كائن محدد مأمول تمنح العمر معناه وايقاعه .. عندما يحتويك الحب تحتوى انت اللامحدود ويحرضك على ان تعطي وتتميز ليس فقط في سبيل من احببتها بل عبرها من اجل الناس من اجل قضية ..

... لم يتكون نشاط الشاعر الابداعي بسهولة. فقد خاض مدرسة نضالية عنيدة .. وكان دائما في صفوف الشعب، دائما في صلب الاحداث، وهو يمتلك الى جانب كونه شاعرا جماهيريا تحريضا طاقة ابداعية خلاقة واسلوبا غنائيا عذبا، ويوجد في نتاجه تطلع المناضل الذي لا يساوم من اجل العدالة الاجتماعية مع حب كل ما هو حي واصل ورائع . تلك هي الملامح الرئيسية للبطل الغنائي في شعره ..
أحب الربيع، أحب الحياة،
أحب الجمال
أحب الينابيع والكرفال
وأبني للنع الغمام السدود
وامسح من خارطرات النضال
مساحيق وهم الحدود..
ولون المحال

يمكن تسمية الشاعر ايمن ابو الشعر بحق شاعر الشعب ومن الشعب. وهو مجدد غير عابث، فقد استطاع كسر الرتابة القديمة دون الدخول في لعبة الضياع الشكلية، وكثيرا ما تتمازج في صوره معطيات الفولكلور الشعبي والاساطير الشعبية كالسدباد، رمز البحث عن

.. فأبى الصدق يا مهراً سيأتى
فى انفجار الضوء دلىنى

أحببىنى .. وشدينى الى عينيك
شدينى

فخيل الشوق قد جمحت
مدارج ساحها امتدت شرايىنى
بلى للحب خلأفاً كواهن ثورة
تجنح كالاعصار اردنى ..
فتحببىنى ..

والى جانب الرموز التصويرية للمرأة فى
شعره والى جانب الاسقاطات على الاسماء
النسائية التى لعبت دورا كبيرا فى حياة
الانسانية من مثل ناديجدا كروبسكايا وانجيلا
ديفيز نجد بطلات اشعاره الواقعات، المرأة
من عامة الشعب وهى جنبا الى جنب مع الزوج
والاخ تخوض معركة النضال ..

— نحن نعيش فى منطقة طهية، — يقول
الشاعر — لا يمكن للشاعر الحقيقي ان يكتب
بعيدا عن هموم شعبه، نسائنا يعانين الجوع
والقهر والتعذيب لن تكفى ورود نهديها لهن
.. بل علينا ان نناضل من اجلهن .. من
اجلنا جميعا .. الرفاق السوفييت عاشوا
تجربة الحرب وقدّموا للبشرية دروسا فى
الصمود والتضحية والبطولة ونحن نتابع
المشوار ونشكر الرفاق السوفييت من صميم
قلوبنا ...

جاء ايمن ابو الشعر الى الاتحاد
السوفييتى لانهاء الدراسة العليا وقد دافع عن
اطروحته " طرائق التصوير الشعرى الحديث "
وسط تقدير عال من الاخصائيين السوفييت .
وخلال وجوده فى الاتحاد السوفييتى استطاع
الشاعر اتقان اللغة الروسية حتى غدا احد
المرجمين الادبيين البارزين . وهو يعيش
مؤقتا فى موسكو لمتابعة عمله لاعداد

انطولوجيا الشعر السوفييتى التى ستضم اضافة
الى ترجمة مختارات شعرية لحوالى مائة
وخمسين شاعرا، دراسات نقدية تحليلية
للالايب والفنون والتوجيهات الشعرية فى
مختلف الجمهوريات السوفييتية . وسصدر
المجلد الاول خلال عام ١٩٨٦ .. انه لعل
جليل يصعب تقدير الدور الذى سيلعبه فى
التقريب الثقافى بين الشعب العربى والشعب
السوفييتى .. هذا الى جانب نشاطه الصحفى
الادبي الواسع وندواته التى ينشرها باستمرار
فى الصحافة العربية مع الادباء السوفييت
جنكيز ايتماتوف، رسول حمزوف، بافل
بوتسو، اناتولي سافرونوف وغيرهم .

فى بداية صيف عام ١٩٨٥ فى الاتحاد
السوفييتى منح الشاعر ايمن ابو الشعر جائزة
"مايكوفسكى" للاداب، وبهذا يكون اول شاعر
غير سوفييتى يفوز بهذا التقدير الكبير كما
صدرت فى العام ذاته مجموعته "صوت الحياة
باللغة الروسية عن دار "برافدا" وترجمت
العديد من قصائده، الى لغات مختلفة .

— لقد اغتنيتى تجربتى فى الاتحاد
السوفييتى ، — يقول ابو الشعر — هنا حيث
التقيت بالانسان الجديد ، الانسان الامى
حتى اعماقه، ولمست بوضوح دور المرأة
السوفييتية فى الحياة وبناء المجتمع الجديد
مع محافظتها على رقتها الانثوية .. طبعا كنت
ادرك هذا الدور مسبقا فى تكافؤ المرأة
والرجل فى المجتمع السوفييتى، ولكنى هنا
لمست بنفسى الى اى مدى تحقق المرأة
وجودها ومساهماتها فى مختلف المجالات .

وكشاعر بودي ان انوه الى مساهمة
الشاعرات السوفييتيات .. انا لا افضل فى
الشعر بين امرأة ورجل، ولكن الملاحظ ان



..شردوا في الليل أطفال المدينة
ذبحوا أولاد حارتها الحزينة
واستراحوا.. طفلة تنمو ولكن أرملة..
...

طفلة تنمو كطبع السبله
وغبار الطلع في الريح انتشار
حين زفوها لحل المسأله
وارنموا للشم في وهج انتصار
رفعت منديلها عن مقصله..!

النشيد الاول من قصيدة العجر

ما الذى يقوله مشط الذهب
بعد أن اعاده الحراس من قبيلة العجر
للغرة الصغيرة
فى جبهة الأمير
للمخدع الوثير

ما الذى يقوله لشعرها القصير
أترى يحدثها عن الغزوات فى غاب البلابل
عن دفء شلال السنابل
أدغال تبه حمرت فى العتم أعشاب الجدائل
عن عبيق رشتته الريح من بط الظهيره
كيف غلّ وكيف شمتة الجدائل
أتره يحكى حرقة
كيف انتشت أضلاعه
بالعرش اذ وقعت أسيره
بين النجاعيد الغزيره
أم سيكنم سره..
للمله..
مرة أخرى بضيع

الشاعرات يكشفن لنا اعماق الحنان الامومي
والرقه المتناهيه .. وقد ترجمت لشاعرات، من
مختلف الجمهوريات .. ادهشتني آنا
اخماتوقا بتعبيرها عن اعماق النفس الانسانية،
وربما كازاكوف بحسها الامومي الطاعى،
وغولروخور صفيقا من طاجكستان بمزجها
للحكمة الشرقية مع الرقة الانثوية، والجورجية
مديا خيتاغورى بامكانياتها الفنية الخلاقة
واستيعابها لايقاع العصر ...

ولكن ماذا يقول الشاعر عن نفسه ..
- طالما ما زلت احيا .. فأنا ما زلت احاول
.. انالست وحدى .. هناك العديد من
الزملاء الشعراء التقديسين الموهوبين في العالم
العربي .. مهمتنا ان ننسج خيوطا في راية
الفجر القادم باختلاف اساليبنا تزهو الوانها،
ويتوحدنا يخفق تصفيقها مع ريح الصباح .
.. ان يكون الانسان شاعرا .. هذا ليس
منصبا بل مسوء وليةكبيرة ..

قصائد جديدة للشاعر أيمن أبو الشعر

بيروت

طفلة تنمو بأرض المرحلة
شعرها أزر..
ونهذ قنبله
غازلوا بنشيد الانتحار
ألبسوها شال نار
وحزام الخصر أسلاك الحصار
طفلة تنمو بأرض المرحلة
فى غد تهوى فتخصب فى النهار

فندسه كف مشتمة صغيره

فى مناهات الضفيره

الطائر

كلما جف.. نكأت

ذلك الجرح الحميم

ثم سرت

هاجراً بينى وحيداً فى الدروب

باحشاً عن ظل طائر

ذات يوم نحوه أرسلت كفى

لوقها رعشة حبى

لربها العربون خبز

وخزّة كالومض أهدى.. ثم طار..

حاطفاً رعشة حبى

تاركاً قطعة خبزي

لربها.. جرح ينزّ..

اغنية (٢)

أحبك لا تسَلْ قلبى عن السبيل

سألت الزهر، كيف يفوح، لم يجب

يكاد القلب من شوقى يغادرنى

فإن تفتح بصدري معبراً يشب

وقالوا: دربك الإعصار.. موعدنا

فلم أرجع، ولم أندم، ولم أنب

تواعدنى بشالو الشمس فرحتنا

وهل أغلى على نار.. من اللهب

وتسألنى أرضى العجوزفتنا

وسجد المجدي إكليل من الشهب

وكنّت الشمع حين القهر من لهب

وهل شمع؟.. إذا بالنار لم يذبر

وها قد عدت يوم الوعد محملاً

قوا لهفى على حفر من الخشب

يصبُّ النهر وسط البحر منطفئاً

ولا يفتى.. نراه يعود.. فى السحب

(من القصائد القديمة للشاعر)

اغنية (٢)

الحصار

فلتزعج الحراشف

لن يرحل النهر

ولنمحق الزواحف

القمح والزهر

لن يشرد الغمام عن مواسم المطر

لم يبق للنظر..

ظل سوى الحفر..

قذائف.. قذائف

لم يبق فى الشجر

غصن ولا ثمر

قذائف.. قذائف

ولم تزل دماؤنا منابع النهر

لن يرحل النهر..

...فليفهم الحصار

لوهذا ألف دار

لوفت البيوت حجراً على حجر

لن يسقط النهار

من كوة الخراب والدمار

سيمعد البشر..

اعتراف

تُعبدني عيونك الجميله
لشرفه البراءة الخجوله
لساحل النقاء والرجوله
مقاتلاً يطبع المحال زنده
وقلبه.. فراشة..
لللغة الطفوله

لكنى حين رأيتك

حين احتلنتي العيان

بتُ أصيخ السمع لصوت الله

بهتف.. آه..

يا إنسان!..

دمشق..

آسرة..

حين تفاجئ عيني روعة منظر
أهتف.. آه.. يا الله..!

إن كان الكون قبله عاشق
فالشام عند العاشقين شفاء..

عن مجلة المرأة السوفييتية

الكتاب
تأليف
فؤاد قاسم

دار الأستوار عكا

الموسوعة الفلسطينية

• في أربع مجلدات فاخرة مع غلبة كرتون بسبع عشرة ورقات مطبوعة مع هدية تكميلية
• الموسوعة الفلسطينية من إصدار دار الأستوار - عكا هي الأصلية وهي الأصلية المعتمدة عليها

الموسوعة الفلسطينية من إصدار دار الأستوار عكا

دار الأستوار - عكا - مؤسسة الثقافة الفلسطينية - عكا القديمة ص ٩٤٤ ت ٩١٧٨٤٤ - ٩١٦٨٤٤ (١٩٨٤)

عكا

اقفل الباب ليلى عليه والمدينة في غضب



بقلم : يوسف حامد

اقترب لالاغالي
كان يكتب
ان ليلي لم تزل فيه
وكان يكتب :
- سقط في الوطن
ترابا
لنحيبا
ويحيا الوطن
كان يعلن
ان هذا الليل
اقفل ليلى عليه
ولم يزل
وان المدينة
بعد ،
لم يلتقيها

كان يكتب للمدينة
دمه الذي يحمله منها
كان يكتب
ان ليلي
لم تزل فيه
شمعة ،
في الليل يشعلها
ليلتقينا
ما نسيناه
ما رمينا . صوته عنا
ولا
اسقط الليل منا
مداه
نحن امتداده
صوته فينا

أقفل الليل ليلى عليه
 والمدينة في دمه
 تتواصل بالغضب
 المدينة دمه
 يحمي عروقه
 انه الان
 يسقط نحو ليلى
 ترابا غاليا
 ويغنّي:
 نسقط في الوطن
 ترابا
 لنحيا
 ويحيا الوطن
 أقفل الليل ليلى عليه
 صوت ليلى في المدينة
 يلتقيه
 صوتها وزعه

رغم الليل
 فينا
 نحن امتداده
 ما نسيناه
 ومن دمننا
 سبرق للصبح هيا
 أقفل الليل ليلى عليه
 لكنه يمتد
 بالبحر اقوى
 ما نسيناه
 يهتف فينا
 ان البحر قويا اتانا
 وان البحر يرجع في الليل
 ونحن امتداده
 قويا اتانا
 والمدينة في غضب
 المدينة دمه
 يحمي عروقه .



الاشتراكية العلمية :

=====

مرحلتا التشكيل الاجتماعي - الاقتصادي الشيوعي، والاشتراكية هي مرحلته الاولى الادنى. والشيوعية هي مرحلته الاعلى، وهما تختلفان في درجة النضج الاقتصادي. ولا توجد في ظل الاشتراكية اية ملكية خاصة لوسائل الانتاج، ولا تقوم علاقاتها الاقتصادية على التسلط والخضوع بل على التعاون القائم على الزمالة والمساعدة المتبادلة بين الناس المحررين من الاستغلال. وفي هذا المضمار لا يوجد اختلاف بين الاشتراكية والشيوعية. والملكية العامة لوسائل الانتاج توجد في ظل الاشتراكية في شكلين : شكل ملكية الدولة (الملكية العامة) وشكل المزرعة الجماعية والملكية التعاونية. وعلى اية حال ستكون في ظل الشيوعية ملكية واحدة هي ملكية كل الشعب وهناك فروق لا تزال في ظل الاشتراكية بين الطبقة العاملة والطبقة الفلاحية التي تعمل في المزارع الجماعية، وعندما يتكامل بناء الشيوعية ستختفي هذه الفروق. والامر كذلك بالنسبة للفروق بين الطبقة العاملة والفلاحين من جهة، والمتقنين من جهة اخرى وجميع هذه الفروق مشروطة في الحساب

النهائي بمستوى تطور قوى الانتاج. فهذا العامل هو الذي يحدد الاختلافات في اشكال التوزيع التي تسير في ظل الاشتراكية وفق مبدأ " لكل حسب كم وكيف عمله"، والتي تسير في ظل الشيوعية وفق مبدأ " لكل حسب حاجاته" وبسبب نمو قوى الانتاج سيأخذ التوزيع المباشر للثروة في ظل الشيوعية مكان السلعة والعلاقات المادية التي لا تزال قائمة في ظل الاشتراكية. ويصاحب التغيرات في الاقتصاد تغيرات في البناء الفوقي (انظر القاعدة والبناء الفوقي). فسوف تذوى الانظمة السياسية والتشريعية والايديولوجية السياسية والتشريعية عند مرحلة معينة من التطور الشيوعي. فكل الناس سيزاؤون القواعد المدركة بشكل عام للحياة الشيوعية لان هذه القواعد ستلبي متطلباتهم الداخلية وعاداتهم وستدوى الدولة، ويكون الحزب قد ادى دوره التاريخي. وسترى الشيوعية تقارباً متزايداً بين الامم في جميع المجالات يصل الى درجة الالغاء التام للفروق بينها. وستكون الشيوعية شكلاً اعلى للتنظيم الاجتماعي. الذي سيعمل على اساس قوى الانتاج المتطورة للغاية. والعلم والتكنولوجيا والثقافة والادارة الذاتية العامة الشيوعية. يقول برنامج الحزب الشيوعي السوفيتي : " الشيوعية هي نظام اجتماعي لا يطبق له شكل واحد للملكية العامة لوسائل الانتاج والمساواة الاجتماعية الكاملة بين جميع افراد المجتمع، وفي ظله سيصاحب التطور الشامل للناس نمو قوى الانتاج. عن طريق التقدم المستخدم في العلم والتكنولوجيا، وسوف تتدفق ينابيع جميع الثروة التعاونية بشكل اكثر غزارة، وسيتم تنفيذ المبدأ العظيم: " من كل حسب مقدرته

للقوى الانتاجية (المعدلات المنخفضة للنمو الانتاجي ، والازمات الدورية ، والتشغيل دون الطاقة لدولاب الانتاج ، والبطالة المزمنة) ، والصراع المتزايد بين العمل ورأس المال ، والاشتداد الحاد في التناقضات داخل الاقتصاد الرأسمالي العالمي ، والنمو الذي لم يسبق له مثيل للرغبة السياسية في كافة المجالات ، ورفض البورجوازية للحريات واقامتها حكومات فاشية واستبدادية في عدد من البلاد . والازمة العميقة للسياسة والايدولوجية البورجوازية .. كل هذه مظاهر للازمة العامة للرأسمالية " (برنامج الحزب الشيوعي السوفييتي) . وقد مرت الازمة العامة للرأسمالية خلال تطورها بمراحل عديدة . بدأت المرحلة الاولى منها اثناء الحرب العالمية الاولى ، وخاصة نتيجة لانتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى في روسيا عام ١٩١٧ وبدأت المرحلة الثانية اثناء الحرب العالمية الثانية ، وخاصة نتيجة لقيام الديموقراطية الشعبية في عدد من الدول الاوروبية والاسيوية وكانت السمة الحاسمة لتلك المرحلة امتداد الاشتراكية الى ما وراء حدود بلد واحد وتكوين النظام الاشتراكي العالمي . اما المرحلة الثالثة من الازمة العامة للرأسمالية فقد بدأت في النصف الثاني من الخمسينات ، وسمتها الميزة انها لم تظهر مرتبطة بحرب عالمية . وانما مرتبطة بالمنافسة والصراع بين النظامين ، وانهايار النظام الاستعماري العالمي للامبريالية والتفكير المتزايد في علاقة القوى العالمية لصالح الاشتراكية .

الاساس المادي والتقني للشيوعية :

مستوى القوى الانتاحية التي لا غنى عنها

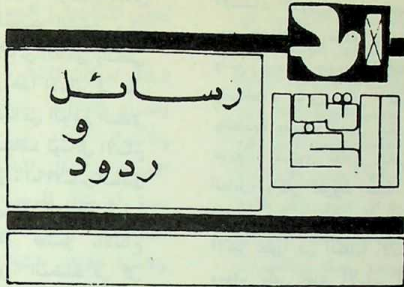
ولكل حسب احتياجاته " . ان الشيوعية هي مجتمع منظم بشكل سام للشعب العامل الحر ، الواعي اجتماعيا ، والذي تتأسس فيه الادارة الذاتية العامة . انه مجتمع يصح فيه العمل من اجل خير المجتمع المطلب الحيوي الاول لكل فرد . وهي ضرورة يدركها الجميع وكل فرد . وسيتم استغلال مقدرة كل شخص بأكبر فائدة . من اجل الشعب " . ويتضمن التطور التدريجي للاشتراكية الى الشيوعية سلسلة من التغيرات الكيفية العميقة ، تتركز حول ثلاث مشكلات رئيسية : خلق الاساس المادي والتقني للشيوعية (الحلقة الحاسمة في سلسلة جميع المهام الاجتماعية - الاقتصادية) وترويج العلاقات الاجتماعية الشيوعية ، وصياغة الانسان الجديد .

الازمة العامة للرأسمالية :

الازمة الشاملة للنظام الرأسمالي العالمي التي تكتنف النظام الاقتصادي ونظام الدولة والسياسة والايدولوجية ، وكذلك جميع مجالات الحياة الاخرى في المجتمع البرجوازي المعاصر . وتقسم العالم الى نظامين متعارضين - رأسمالي واشتراكي - هو السمة الحاسمة للازمة العامة للرأسمالية . " ان انشقاق المزيد والمزيد من البلاد عن الرأسمالية ، وضعف المراكز الاستعمارية في المنافسة الاقتصادية مع الاشتراكية ، وانهايار النظام الاستعماري الامبريالي ، واشتداد حدة التناقضات الاستعمارية مع ظهور رأسمالية احتكار الدولة ونمو النزعة العسكرية ، وعدم الاستقرار الداخلي المتزايد ، والتدهور المتزايد للاقتصاد الرأسمالي ، الذي يدل عليه عجز الرأسمالية المتزايد عن الاستخدام الكامل

الاقتصاد القومي، كما يتضمن ظهور فروع جديدة للانتاج فعالة اقتصاديا على نطاق واسع، ومصادر جديدة للطاقة ومواد جديدة، واستخدام شامل وواع للمصادر الطبيعية والمادية ومصادر العمل وتقدم علمي وتقني سريع، ومستوى ثقافي وتقني عال للشعب العامل. واكثر الشروط اهمية لانتصار النظام الشيوعي تفوق هائل على البلاد الرأسمالية الاكثر تطورا في الكفاية الانتاجية والعمل . وسوف يكون خلق الاساس المادي والتقني للشيوعية اساس تحول العلاقات الاجتماعية الاشتراكية الى العلاقات الاجتماعية الشيوعية، واساسا للتغير في اسلوب حياة الشعب وصهر الانسان الجديد - انسان المجتمع الشيوعي الكامل . ويخلق الاساس المادي والتقني للشيوعية سوف يرتفع انتاج السلع المادية الى مستوى يسمح بالتحول التدريجي نحو المبدأ الشيوعي في التوزيع طبقا للحاجات .

للتحول من الاشتراكية الى الشيوعية والاساس المادي لوجود وتطور المجتمع الشيوعي . ان لكل نظام اجتماعي الاساس المادي والتقني المتطابق معه . ويتمثل هذا الاساس في ظل الرأسمالية في الانتاج الصناعي الواسع النطاق ،القائم على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج واستغلال الانسان للانسان . اما الاساس المادي والتقني للاشتراكية، التي هي المرحلة الاولى والدنيا من الشيوعية، فيتميز بالانتاج الصناعي الواسع النطاق، المخطط في كل فروع الاقتصاد، والقائم على اساس الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج، والمتحرر من استغلال العامل . وخلال عملية بناء الشيوعية يتحول الاساس المادي والتقني للاشتراكية تحولا تدريجيا الى اساس مادي وتقني للشيوعي ويتضمن خلق الاساس المادي والتقني للشيوعية الكهربائية الكاملة للبلاد، والاستخدام الواسع الانتشار للكيمياء في



● الصديق عادل محمد - القدس

ونحن بانتظار استعراضه كاملاً .
مع تحياتنا وشكرنا الجزيل .

كنا نود نشر قصتك - حدث في العيزرية
- الا ان اسلوبها المباشر ، حال دون ذلك ،
ولم يمكننا من نشرها ، نرجو دوام المحاولة ،
مع اطيب تحياتنا وتمنياتنا .

x الصديق س.ر - رام الله .

صاحب قصيدة " عنوان فتاة "
المادة التي وصلتنا لا يمكن تصنيفها في
باب " الشعر " ، قد تكون اقرب الى النثر ، لو
ادخلت عليها بعض التعديلات في الشكل
والمضمون .

تحية لك ، والى محاولة اخرى .

● الصديق ع.ع - رام الله .

● الصديق هاني عرفات - موسكو .

قصيدتك - طير العشق - ينقصها الوزن ،
اذ انها جاءت تقليدية الشكل - خليلية -
لكنها لم تعتمد بحور الخليل المعروفة ، كما
انك لم تلتزم قافية محددة ، الامر الذي ضيعك
وضيق ما كتبت ، وكذلك قصيدتك الاخرى -
عائدون - .

للشعر يا صديقنا قواعد واصول ، سواء ما

تناولك لمقدمة كتاب خالد القشطيني -
نحو اللاعنف - والفصل الاول منه لا يكفي
حيذا لو اكملت استعراض باقي فصول الكتاب ،
وعدم الاكتفاء بالمقدمة . والفصل الاول من
الكتاب ، مع تقديرنا لاهمية نقد الكتاب ،

كان منه تقليديا ، ام حديثا ، ننصحك بالمزيد
من القراءات الشعرية ، والاهتمام بمعرفة
الغروض وبمحور الشعر ، مع تمنياتنا لك
بالتوفيق .

في ابياتها القدرة على الصياغة الجميلة
والناضجة ، لكنها غير مترابطة وتحتاج الى
تداعي الافكار وتسلسلها ، لتصبح مكتملة
البناء ، وغير مفككة ، تمنياتنا لك بالتقدم
والنجاح .

● الصديق صاحب قصيدة - بين الطلقة
والطلقة نلتقي -

● الصديق صاحب قصة " الطريق " .

ذيلت قصتك باسم - مريد - نرجو
تزويدنا بالاسم الكامل ، حتى نتمكن من نشرها
، فهي صالحة للنشر .

● الصديق - م . ش - القدس .

قصيدتك - ليلة انعقاد المشروع - لهاذك
وراء القافية اضعف شعرك ، ووقعك في التكلف
ننصحك بكثرة مطالعة الشعر ، قديمه وحديثه
اذا كنت ترغب في تطوير قدراتك وادواتك
الفنية ، كما ننصحك بالاهتمام بقواعد اللغة
واصولها ، بالاضافة الى الاملاء ، مع تحياتنا

قصيدتك جيدة ، صالحة للنشر ، لكنك
نسيت تذييلها باسمك ، والى ان يصلنا الاسم
لك تحياتنا .

● الصديق خ . ع . - بدو .

" كلمة حب ووفاء " نحن واثقون انك
تمتلك القدرة على كتابة افضل من هذه
القصيدة ، نحن بانتظار قصيدة اخرى ولك
تحياتنا ومحبتنا .

● الصديق ت - د . - رام الله .

قصيدتك - مرحى لتأدية التحية - تبدو



الثقافة والانسان في حرب
لبنان باعتبارها المختصر
الدموي لتناقضات المجتمع
والتراث والتوجهات في
المشرق العربي "

"كتاب جديد عن سياسة الارهاب الامريكية

● موسكو - "نوفوستي -
صدر عن احد دور النشر
الموسكوفية كتاب تحت عنوان
"فيتنام ، ولاوس وكمبوتشيا
بالامس وغرينادا ولبنان اليوم
وماذا غدا .." يتضمن عدة
مقالات بقلم العلماء
والصحفيين السوفيت الذين
يتتبعون الاحداث الدولية .
وتبين الوقائع التي يذكرها
الكتاب ان سياسة الارهاب
الرسمي التي تمارسها واشنطن
ترتدى طابعا غاية في الخطورة
في الوضع الدولي المتوتر
الحالي .

ويشير مؤلفو الكتاب الى
ان الفلسفة "الهراوة الكبيرة"
تهدد البشرية جمعا وتتناقض
مع الاعراف القانونية
والاخلاقية العامة .

صدي الوثبة

● اصدت رابطة الطلبة
العراقيين في امريكا وكندا ،

"المسلك"

● عنوان مجموعة قصصية
للقاص رياض بيدش صدرت
مؤخرا عن الانترميديا بالقدس
، واشتملت المجموعة على
احدى عشرة قصة قصيرة .
الجدير بالذكر ان القاص
رياض بيدش كان قد نشر معظم
قصصه في مجلة الجديد وكذلك
في الاتحاد ، والكاتب ، كما
كان قد نشر مجموعته الاولى
الجوع والجيل " عام ١٩٨٠ .
المسلك عمل جديد . لكاتب
جيد ، يسحق القراءة والاهتمام .

"عروش الجمر" كتاب جديد

لمحمد علي فريحات
● "عروش الجمر - عن
الثقافة والانسان في حرب
لبنان" ، كتاب جديد لمحمد
علي فريحات صادر عن دار
"التنوير" في بيروت ، وهو في
ثلاثة اقسام : ثقافة في حرب ،
دائرة الجنوب ، من كلام
السعي . في كلمة الناشر :
بين كتب سياسية وعسكرية
كثيرة عن حرب لبنان ، يتفرد
هذا الكتاب بتناول زاوية

فرع اتحاد الطلبة العام في
الجمهورية العراقية نشرتها
الدورية " صوت الوثبة" .
وتضمنت " الوثبة" مجموعة من
المقالات والاخبار والمعالجات
الصحفية لموضوعات التعليم
والطلاب الثانويين والجامعيين
في معاهد التعليم العراقية ،
كما وحفل العدد بمقابلة
صحفية مع الفنان اللبناني
التقدمي مارسيل خليفة تحدث
خلالها عن " الفن ونهج
الالتزام بالنسبة للفنان " .
كما ونشرت " الوثبة"
باقة من " اخبار الوطن"
العراقي .

وفاة الكاتب الفرنسي

جان جنييه

● توفي في ١٦ نيسان
١٩٨٦ الكاتب الفرنسي الكبير
جان جنييه (٧٦ عاما) .

ويعتبر جان جنييه من
اشهر الكتاب المسرحيين في
فرنسا في القرن العشرين . وكان
صديقا للشعب الفلسطيني وله
عدة كتابات عن القضية
الفلسطينية .

وقد عرف جان جنييه في
حياته التشرد والفقر والسجن .

يكون قصة كل شهيد، قضى في سبيل انقاذ فلسطين او استردادها والعبر في هذه القصة كثيرة والعامل الشجاع من يعتبر .

ذاكرة المطر

● عن دار الاسوار بعكا - صدرت مجموعة شعرية جديدة للشاعرة الفلسطينية "شوقية عروق" وكان قد صدر للكاتبة ثلاث مجموعات الاولى قصصية بعنوان "امرأة بلا ايام" والثانية بعنوان "خطوات فوق الارض العارية" قصص ومجموعة بعنوان النبض في جوف محارة واسمها همسات .

تقع هذه المجموعة في ٥٩ صفحة من القطع الصغير وقد ضمتها سبعة عشر عنوانا منها: قراءة في شرايين معين بسيسو، مربية لعلي فودة الى مارسيل خليفة: جيفارا، عن زياد ابو عين الفلسطيني وعناوين اخرى .

الملتقى للانتباه، هذا الحشد من الاسماء في قصائد شوقية عروق تتناول فيه الشهداء، لا تفرق بين غسان كنفاني ومعين بسيسو وجيفارا الفلسطيني. فالانسان يعني في هذه المجموعة انسانية الانسان حتى التاريخ القديم لم يخل

● تحتفل الاوساط الثقافية والادبية اللبنانية بالذكرى المئوية لميلاد الاديب والفكر اللبناني الراحل مارون عبود الذي اسهم في تأسيس الصحف اللبنانية الاولى، كان رئيسا لتحرير مجلات وصحف النصارى "الحكمة" في اوائل القرن وكتب القصة والنقد الادبي وتوفي سنة ١٩٦٢ .

عبد القادر الحسيني

● كتاب وثائقي صدر عن دار الاسوار للكاتب نبيل خالد الاغا يقع الكتاب في ٢٠٨ صفحات ومن القطع المتوسط يحكي سيرة شهيد من شهداء فلسطين، يدلل فيها على مدار تعلق الفلسطيني بتراب وطنه لا فرق في ذلك بين مدني وقروي، جاهل ومتعلم . وهي قصة احد الشهداء

المثقفين الذين آثروا ان يحملوا البندقية في وجه المستعمر الانكليزي الغاشم على حمل القلم . ومجابهتهم بالرصاص دون مجابهتهم بالكلمة ذلك ان المستعمر الذي اغتصب البلاد بالقوة لا يفهم غير لغة القوة .

واذا كان الكتاب يدور حول قصة رجل بعينه فانه يكاد

احمد فؤاد نجم يشكل فرقة مسرحية عربية ويكتب قصيدة جديدة عن عبدالناصر ● يجرى الشاعر الكبير احمد فؤاد نجم، تجارب على مسرحيته الغنائية الجديدة "العربانة" مع فرقة "المسحراتي العربي" التي شكلها في سوريا من عدد من الفنانين العرب الشبان، ينتمون الى سوريا والعراق وليبيا وفلسطين . . وقد لحنها ملحن سوري شاب .

فرقة "المسحراتي" التي شكلها نجم تقوم الان بتقديم حفلات للغناء السياسي . فاصدر احمد فؤاد نجم ديوانين جديدين في دمشق، هما " الفاجوميات " و " أهيم شوقا " كما تصدر دار طلاس في دمشق ، خلال الشهر القادم ، الاعمال الكاملة ل احمد فؤاد نجم في ثلاثة مجلدات .

طلب نجم من بعض اصدقائه في القاهرة، ان يبحثوا مشروع قيام "فرقة المسحراتي العربي" بتقديم عروضها وسهراتها على احد مسارح القاهرة . .

هذا وانتهى "احمد فؤاد نجم من كتابه المقطع الاول من قصيدة "زيارة الى ضريح عبد الناصر" .



شأناه ٤٢٧ صورة من التاريخ
الفلسطيني للشخصيات
والاحداث والمؤسسات والمدن والقرى
والمعارك التي جرت في تلك
الفترة، مع شرح موجز لكل
صورة .

الحياة للأطفال



● ولنا العدد الثاني من
مجلة الحياة للأطفال وقد جاء
العدد غنياً بالمواد المفيدة
للأطفال، كما اشتمل على
العديد من الرسومات والصور
والمسابقات الذهنية والانغاز
والاحاجي . بالإضافة الى
قصة للأطفال بعنوان " عصا
الراعي النعسان " .
من جهة اخرى ، اعلنت
هيئة التحرير عن مسابقة
الرسم السنوية الاولى للأطفال
، والتي حشدت من اجلها
عشرات الجوائز القيمة .

المحلي لرفائيل بولس بولس
ويتحدث الكاتب بأسلوبه
المتع عن تاريخ كفر ياسيف
بشكل شامل وعام من سنة ٣٠٠
ق.م وحتى عام ١٩٨٥ . ويضم
الكتاب الكثير من الجوانب
الاقتصادية ، السياسية

الاجتماعية والثقافية والسياسية
بالاضافة لاسماء كل المشاهير
في تاريخ القرية والشخصيات
العالمية التي زارت قرية كفر
ياسيف . ويقع الكتاب في
٢٨٥ صفحة من الحجم المتوسط

الموسوعة الفلسطينية

● عن منشورات دار الاسوار
بعكا صدرت الموسوعة
الفلسطينية الشاملة في اربع
مجلدات كبيرة (٢٦٠٠) صفحة
، وتضم الموسوعة في اجزاها
الاربعة كل ما يريد القارئ
معرفة من جميع فروع العلم
والمعرفة المختلفة .

قبل الشتات

التاريخ المصور للفلسطينيين

١٨٧٦ - ١٩٤٨

● صدر هذا الكتاب عن
معهد دراسات فلسطين في
واشنطن عام ١٩٨٤ ، وهو من
اعداد وتقديم د. وليد
الخالدي ويقع في ٣٥١ صفحة
من الحجم الكبير ، ويضم بين

من تلك الصورة طارق بن زياد
وارشيف الشهداء .

من " أبو علي المهاجر
دوماً الى الوطن ، الى مملكة
الفقراء .

هذه المجموعة تستحق
القراءة كما تستحق النقد .

وثيقة سفر فلسطينية

● وعن دار الاسوار بعكا
صدرت الطبعة الثانية لوليد
رياح وهي مسرحية من القطع
المتوسط تقع في ٦٤ صفحة
وتتكون من ثلاثة فصول وتحكي
قصة الصراع العربي الفلسطيني
من خلال تنقل الفلسطيني في
مراحل المعاناة فمن الزنازين
في الفصل الاول سنة ١٩٦٠
الى الفصل الثاني في الطريق
الى يافا وسلامات الاهل الى
ذويهم في بلاد الغربة بعد
عام ١٩٦٧ وفي الفصل الثالث
التي تعود الى اجواء الحرب
اللبنانية في بيروت والارض
القريبة ، ويحاول هنا ان يقدم
نوعاً من المسرح التجريبي .
رغم تعدد الفصول والمشاهد .

كفر ياسيف ، بين اصالة
الماضي ووبوعة الحاضر

● كتاب صادر عن قسم
المعارف في مجلس كفر ياسيف





AL-KATED

For human culture
and progress

Editor- Ass'd Al-Ass'd
P.O.Box 30499
Jerusalem

Tel: 856931

الكتاب 74
للتقارير السنوية والتقييم